الحدائق

في المطالب العالية الفلسفية العويصة

لأبي محمد عبد الله بن محمد بن السيد
البطليوسي الأندلسي

٤٤٤ - ٥٢١ هـ

قدم له الأستاذ الدكتور
عبد الكريم اليافي

اعتنى به
الدكتور محمد رضوان الداية

دار الفكر
دمشق - سورية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحدائق

في المطالب العالية الفلسفية العويصة

مكتبة لسان العرب
رابط بديل
lisanerab.com
أ. علاء الدين شوقي
www.lisanarb.com

الحدائق

في المطالب العالية الفلسفية العويصة

لأبي محمد عبد الله بن محمد بن السيد
البطليوسي الأندلسي

٤٤٤ - ٥٢١ هـ

قدم له الأستاذ الدكتور
عبد الكريم اليافي

اعتنى به
الدكتور محمد رضوان الداية

دار الفكر
دمشق - سورية

الكتاب ٧٧٦

الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ = ١٩٨٨ م

جميع الحقوق محفوظة

يمنع طبع هذا الكتاب أو جزء منه بكل طرق الطبع والتصوير والنقل والترجمة والتسجيل المرئي والمسموع والحاسوبي وغيرها من الحقوق إلا بإذن خطي من دار الفكر بدمشق

سورية - دمشق - شارع سعد الله الجابري - ص.ب (٩٦٢) - برقياً: فكر
س . ت ٢٧٥٤ هاتف ٢١١٠٤١ ، ٢١١١٦٦ - تلكس FKR 411745 Sy

الصف التصويري: دار الفكر بدمشق

الطباعة (أوفست): المطبعة العلمية بدمشق

بِسْمِ اللهِ الرحمن الرّحيم

الكلمة الأُولى

يُعَدّ ابنُ السِّيدِ البَطْلَيْوسِيّ في رؤوس عُلَماء الأَندلس وأدبائها في القرنين الخامس ، والسّادس ، فقد عاش من سنة ٤٤٤ هـ إلى أن وافاه الأَجَلُ سنة ٥٢١ هـ . وتجاوزت شُهْرَتُه الأَندلس ، وبلغت المغربَ والمشرق . وتداولَ النّاسُ كتُبَه ورسائِلَهُ ، ورُزِقَت قَبُولاً من العُلَماء والمتعلّمين . وكان ابنُ السِّيد أُستاذاً فائق الأُستاذيّة ومعلّماً بارعاً ، وكاتباً طاع له القَلَمُ في الموضوعات التي عالجها على اختلاف وجهاتها وعلى كثرة تَنَوُّعِها .

ومؤلّفات ابن السِّيْد موزّعة على كثير من أبواب الثقافة العَربيّة : في النّحو واللُّغة والنّقد ، وفي الأُصول ، والكلامِ ، والفلسفة وعلوم الأوائل ؛ ذلكَ أنّه تَلقّى عن شيوخ الأَندَلُسِ الكبار العلوم النقلية ، والعلوم العقليّة ثم تفنّن صُعداً في الإبداعِ والتّوْليد حتى بلغ درجة الأساتذة الكبار ، وصار مع طبقتِه من الأُدباء والعلماء حلقة جديدة من حلقات العلم والثقافة في ديار الأَندلس ذات العزّ الباهر .

وكان ابنُ السِّيد ـ إلى جوانِبِه العلميّة الغَزيرة ـ مُشاركاً في الشّعر ، متفنّناً في الكتابة ؛ وهو ـ وإن لم يكن معدوداً في شعراء الطبقة الأُولى ـ معدود في شعرائهم وكُتّابهم ؛ ولكنّ صُورتَهُ الحقيقية مثبتة في جوانب الثّقافة والعلم فإنه بلغ القِمّة .

وكنتُ ـ قبل نشرِ كتابِ الحَدائِق هذا الّذي بين يَدي القارئِ الكريم ـ

نشرتُ لـه كتـاب : **الإنصاف في التنبيـه على المعـاني والأسبـاب التي أوجبت الاختلاف بين المسلمين في آرائهم**[1] ؛ واعتنيتُ ببعض شعره ـ الذي لم يُنشر ؛ ثم ضممت إليه شعره المتفرّق ، في المظان المختلفة ، وشرحتُهُ ، عسى أن أصْدِرَهُ محققاً مشروحاً ؛ إسهاماً في بعث تراث ابن السّيْد البَطَلْيَوْسي ووضْعاً لأشعار الأندلسيين بين أيدي الدّارسين .

وكتابُ الحدائق الذي ننشره اليوم معروفٌ مجهول .

هو معروف لأنّه نُشِرَ مرّتين بعناية عالِمَيْن كبيرين[2] ؛

ومَجْهولٌ ـ أو كالمجهول ـ لأنّه مفقود من التداول منذ زمان بعيد من جهة ، ولأنّه لم ينتشر على الوجه الذي يستحقّه ، نَنْشُرهُ لأهميَّتهِ ، وفائدته ، ومَوْقعه من البحث الفلسفي في التراث الأندلسي من جهة ، والبحث الفلسفي في تاريخ الفكر العربي عامّة .

وكنتُ مُنذ اعْتَنَيْتُ بِشَخصيّة ابن السّيْد وآثاره قَرأتُ كتابَ الحدائق ، في طبعتَيْه ، وعلّقت عليهما تعليقاتٍ هنا وهناك ممّا يَدْخُل في طبيعةِ النّص وقراءَته حتى حصلتُ على نسخةٍ مخطوطةٍ حَسنة من الكتاب ، فرجعت إلى النّسختين المَطْبُوعتين ، وجَعَلْتُهما نُسَخاً ثانية . وأَعَدْتُ تحقيق النصّ على الوجه الذي يراه القارئ الكريم .

ولم أتدخّل في حواشي النّصّ بأكثر من إثبات فرُوق النّسخ ، إلاّ في مواضعَ يَسيرة جدّاً لاتُحْتَسب ، فالكتابُ مُيَسّر للقُرّاء تيسيراً ، ومقرّبٌ تقريباً . واستَغْنَيْتُ عن ذلك بمقدّمةٍ كَتَبها أُستاذي وشيخُ جيلي وأجيالٍ سَبقتني ولَحِقَتْني : **الدكتور عبد الكريم اليافي** ؛ مُتكرّماً متفضّلاً ، أكرمه الله وأعزّه ، وأدامه ؛

---

(١) صدرت منه الطبعة الثالثة في دار الفكر بدمشق : ١٩٨٧

(٢) وسنصف الطبعتين في مقدمة التحقيق ، مع صفة المخطوطة المعتمدة .

وأتبعتُها بمقدّمةٍ لطيفةٍ كانَ قدّم بها الشّيخُ محمّد زَاهد الكَوْثري للطّبعة القَاهرية من : الحدائق . والشيخ الكوثري (١٢٩٦ هـ - ١٣٧١ هـ ، ١٨٧٩ م - ١٩٥٢ م) فقيه من عُلَماء جامع الفاتح بالآستانة ؛ لجأ إلى مصر من اضطهاد الكماليّين (١٣٤١ هـ - ١٩٢٢ م) واشتغل موظفاً في دار المحفوظات لترجمة مافيها من الوثائق التركية إلى العربية ، وكان يُتقن العربية والتركية والفارسية والجركسيّة . وألّف في موضوعات شتى من الفقه والتراجم والرجال والحديث ، وكانت له مشاركات في الأدب[1] .

ونقلت ما كتبَهُ - مختصراً - أُستاذي الدكتور عمر فرّوخ رحمه الله وأوسع له في الجِنَان ؛ فإنه مَرَّ بكتاب الحدائق ، وبابن السّيْد البَطَلْيَوسي في كتابه : **تاريخ الفكر العربي** ؛ (على الصفحتين ٦٠٥ - ٦٠٦) ؛ وكنت قد تلقّيت مع الجيل الّذي تتلمذ له في دمشق محاضرات مهمّة في تاريخ الأندلس السّياسي والحَضاري ، وكان - رحمه اللهُ وأجْزَل مَثُوبَته - قد عَرَّفَنا بأشهر فلاسفة الإسلام في الأَنْدلس قبل أنْ يَظهر كِتابُه الذي نقلتُ عنه بِعَددٍ من السِّنين .

وها هُوذا كتابُ الحدائق نقدّمه إلى المشتغلين بقضايا الفلسفة ، وعلم الكلام ، والفكر العربيّ ، كما نقدّمه إلى محبّي التّراث الأندلسي خاصة والتراث العربي عَامّة ؛

وأدعو الله تعالى أن ينفعَ به ، وأن يهدينا سواء السبيل .

دوما - دمشق : جمادى الثانية ١٤٠٨ هـ
شباط ١٩٨٨ م

د . محمد رضوان الداية

(١) ترجمة الزركلي للشّيخ الكوثري في الأعلام ٦ : ١٢٩

تقديم الأستاذ الدكتور عبد الكريم اليافي

الدّكتور مُحَمّد رضوان الدّاية ، أستاذ الأدب الأندلسي ونَقدِه بكليّة الآداب في جامِعَة دمشق . وهو من أعلام الأساتذة والمُحَقّقين في سورية ، اتّجه خاصّة ـ فوقَ تدريسِه ونشاطه اللُّغويّ والأدبيّ الواسع ـ إلى تحقيق كُتب التّراث الأندلسي ، فأصْدَر عدداً منها مرموقاً في اللّغة والأدب والتّاريخ . وها هوذا يُحقّق كتاب « الحدائق » لأبي محمّد عبد الله بن السّيد البطليوسي .

وهو كتاب ذو شأن في التراث الفلسفيّ العربيّ .

بحث المؤلّف فيه قضايا فلسفيّة وميتافيزيائيّة وكلاميّة مُهمّة ، تناقَلها الفلاسفَةُ والصُّوفيّةُ والحكَماءُ تناقُلاً واسعاً ، وعَرَضُوها في أساليبَ مُختلفة تَسْتغلقُ تارةً وتَلتوي تارةً أخرى .

وقد استوعَب العَلاّمة ابنُ السّيد البطليوسيّ تلكَ القَضايا ، فعمَد إلى شَرْحِهَا شَرحاً بَسيطاً واضحاً لا لبسَ فيه ، وبدِقّةٍ كافية ، حتّى إذا قَرأها طالبُ الحِكمَةِ والفَلسفةِ استطاعَ أن يَسلكَ كُتبَ الصّوفيّة المتأخّرة المعقّدة والكتبُ الفلسفيّة المشتبكة وعندَهُ زادٌ من المعرفةِ يُخَوّلهُ أن يتفهّم تلكَ القَضايا ويُتابعَ مُؤَلّفيها متابعةً مُفيدة .

أهمُّ تلكَ القَضايا : مراتبُ الموجُودات عن السّبب الأوّل ، ومَبْدَؤُها ومَرْجعُها ، ومُقَايَسةُ مبلغِ ذاتِ الإنسانِ بعدَ مماته بدرجةِ علمه في حَياته ، وتشبيهُ تلكَ المَراتب بمراتبِ الأعدادِ الصّادرَةِ عن الوَاحدْ الّذي هُوَ عِندَهُمْ ليس بعَدَدٍ ؛ ومَسألةُ صِفات الله : هل يُقْتَصرُ فيها على وَجْهِ السّلْب أم يُعتَمدُ التّشبيه ، وكذلكَ قضيّةُ معرفة الله تَعالى نَفسه ، ومَسْألة إحاطَة علمه بالكُلّيّات أو

بالكُلّيّات والجُزئيّات ، وبقاءُ النَّفْسِ النّاطقة حيّةً بعدَ الموت ؛ وكُلُّها شؤونٌ ذواتُ بالٍ في تاريخِ علمِ الكلام والميتافيزياء والفَلْسَفة .

بَيْدَ أنّ العلماءَ لا يتورّعون عن تجشُّمِ العقباتِ في البَحْثِ عن حَلِّ القضايا المُعقّدة وجَلائِها ما استَطاعوا إلى ذلك سَبيلاً . وهُم في بُحوثِهم هذه يَرْغَبون في بَثِّها وشَرْحِها لِطُلّابِهم ومُريديهم ، ولكنّهُم يَلْزَمونَ الحذَرَ دَفْعاً للاتّهامِ ، وتَحامِياً للأقاويل ، وتَجَنُّباً لاحْتِمال النَّبْذِ والتَّضْييق .

وعِنْدَنا أنّ ابنَ السّيد البَطَلْيَوْسيَّ قد أقْبلَ في كتابِه « الحَدائق في المَطالِب العالِيَةِ الفَلْسفيّة الغويصَة » على عَرْض ما استَوْعبه من تلك المَطالب عَرْضاً واضحاً سَلِماً ، مع الحذَرِ الشّديد من اتّهامِه بالمُروق ؛ فهو يُدافِعُ عن حَصيلةِ الفَلْسَفةِ اليونانيّةِ التي انسابَت إلى آراءِ المُفكّرين المُسْلمين ، ويُبَرِّئُ أرسْطو وأفلاطُون من القَوْلِ بأزَلِيّةِ العالَم وقِدَمِه ، ويتلطّفُ في عَرْض آرائهما كما وصَلَتْ إلَيْه ، ويُحاولُ أن يَكْشِفَ عمّا يَراهُ من الحَقائق ، على أن لا يحيد عن حُدود شَرْع الله ما استَطاع .

ولكنّ هذه الحقائقَ التي عَرضها - مع فائِدَتها في جَلاءِ القَضايا الفَلسفيّةِ - ربّما لا توافِقُ علماءَ الكلامِ الأشاعِرَة والماتُريديّة ، الذين يَعْتَمِدُونَ فِكْرةَ الخَلْقِ بَدَلاً من الفَيْض ، ولا يَرْغَبون في تشبيهِ الواحِد العَدديّ بالواحِد الأحد الميتافيزيائيّ ، إلى غيْرِ ذلك من الأمور الّتي تَحْتاجُ إلى الإيضاح في عَقيدة أهْلِ السُّنّةِ والجَماعة .

وعِنْدَنا انّ الاختلافَ إنْ وقع فمَرَدّهُ إلى اختِلافِ وجهاتِ النّظر ، وإلاّ فإنّ التأمُّلَ الميتافيزيائيَّ والدّينيَّ إنّما يُعَبّرانِ عن الحَقيقةِ الواحِدَة . وفي بعضِ الأحيانِ يَغْدو التّعبيرُ اللّفظيُّ والرّياضيُّ تقريباً للفِكْرَةِ من الأفْهام .

هذا وقد دَخَلَتْ تيّاراتُ الفَلْسَفةِ اليونانيّة والمَشْرقيّة إلى الأنْدلُس بدخولِ الكُتُبِ المؤلّفةِ فيها ، كَكُتبِ الفارابيّ وابنِ سينا ورسائلِ إخوانِ الصّفا ، وأمْثالِها .

وفي أواخرِ دَولـة الْمَرابطينَ نفقَتْ كتبُ المـذهَبِ المـالكيِّ وفروعِـهِ ، وعُمِلَ بمُقْتَضَاها ، ونُبِـذَ مـاسِوَاهـا ، كما يُحـدِّثُنـا عبـد الواحـد الْمَرّاكِشيُّ في كتـاب : « الْمُعجب في أخبارِ المغرب » ، ووصل الأمْرُ في زَمَنِ أميرِ المؤمنين ملكِ المرابطين أبي الحسنِ عَليّ بن يُوسف بن تـاشفين التقيّ الصّـالـح الْمُتبَتّـل الّـذي عـاصَر البَطَلْيَوسِيّ « إلى تقبيح عِلْمِ الكَلام ، وكرَاهةِ السّلَف له ، وهَجْرِهم مَنْ ظهَرَ عليه شيءٌ منه ، وأنّه بِدْعَةٌ في الدِّينِ ، وربَّما أدّى أكثَرُه إلى اختلالِ العَقائـدِ ، في أشبـاهٍ لهـذه الأقوال ، حتّى استَحْكَم في نفسِـه (نَفسِ أميرِ الْمُؤمنين) بُغْضُ عِلْمِ الكَـلام وأهْلِهِ ؛ فكانَ يُكتبُ عنه في كلّ وقتٍ إلى البلاد ، بـالتّشـديـد في نبـذِ الْخَوْضِ في شيءٍ منه وتوعُّدِ مَنْ وُجِدَ عنـده شيءٌ من كُتُبـه » . حتّى إنّـه أمرَ بـإحراقِ كُتُب أبي حامِـد الغَزالي لَمّـا دَخلت الْمَغْرِب « وتقـدَّم بـالوعيـدِ الشّـديـدِ : مِن سفـكِ الدَّم ، واستئصال المال ، إلى مَنْ وُجِدَ عنده شيءٌ منها » .

وإذا كانت الأُمور على هذهِ الحال في شأنِ عِلم الكلام ـ وهو من بعْضِ الوجوه يُعتَبَرُ من العُلـوم الشّرعيـةِ والنَّقْليّـة (كما يَعُـدّه ابنُ خَلـدون إذ كانَ مُتفرّعـاً عن الشّريعة) ـ وفي شأنِ كُتبِ الغَزالي الذي هـاجَم هُوَ الفلْسَفـةَ في كتـابـهِ « تهـافتُ الفلاسفة » ، فما بالُنـا بـالفَلْسَفَـةِ نَفْسِهـا وَقضَـايـاهـا الْمُسْتَفَـادَةِ من عُلوم اليُونـان وآرائِهم الّتي قد تبعدُ عن صَفاء الدِّين وبَساطَتِهِ ؟

وأيّاً كان الأمرُ ، فإنّ الاعتبـاراتِ الّتي وردت في كِتَـاب « الْحَـدائق » ـ على صِغرِ حَجْمِـه ـ من أَهَمّ القَضـايـا الفِكْرِيّـة الّتي تَهُمّ البـاحِثَ في الْميتـافيزيَـاء وفي التُّراثِ الفَلْسَفيّ العَرَبيّ والإنسانيّ .

هذا وإن نَشْر كتابِ « الْحَدائق » مُجدَّداً ومُحقَّقاً يَقْتَضِي الثَّناء والتقريـظ ؛ لأنّـه تيسيرٌ لفهم تلـك الشّؤون الفلسفيّـة في التُّراثِ الإسلامِيّ الْمُؤثّل ، وإيضـاحٌ لعلاقاتِ بعضِها بِبَعْض .

مقدمة الشيخ محمد زاهد الكوثري رحمه الله

يتَصَوَّرُ الفلاسِفَةُ الإشراقيُّونَ والصّوفيّةُ دائرةً وهميّةً في ترتيبِ الموجوداتِ الصّادِرَةِ عن الْمُبْدِعِ الحكيم جَلّ جلاله ، ويَعتبرونَ أنّها تَبتدئُ من نُقطةٍ مَرْجِعُها إليها ، ويتلونَ في ذلك قولَه تعالى : ﴿ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴾ ، ويُشيرُ إليها أغْلَبُ مَن كتبَ في « الْمَبْدَأ والمعَاد » من أمثال عزيز النّسفي الباطِني ، وابنِ سينا الحكيم المشهور ، والصّدْرِ الشّيرازي ، والصّدر الشّرواني ، وصاحب « مَعرفتنامة » ، والبُرهان الكوراني في « الْمَسلك الْمُختار في أوّل صادرٍ من الواجبِ بالاختيار » ، وكذلك الكتبُ الْمُؤلّفة في مَراتِب الوجود .

وبين هؤلاء مَن يَنْحو ناحية التّناسُخِ في البدء والعَوْدِ ، ويَضِلُّ عن الجادَّة ، ويغْتَاصُ على كثيرٍ من الباحثين وَجْهُ الصّوابِ في تلكَ الْمَطالب ، فيحمل بَعْضُهم الكلامَ على غيرِ مَحْمَلِهِ تذرُّعاً بالإجمالِ القائم فيه إلى تأويلٍ باطل .

ومن ادّعاءاتهم بلوغُ ذاتِ الإنسانِ بعد الْمَماتِ إلى حيثُ يبلغُ عِلْمُه ، ويتصوّرون في ذلك أيضاً دائرةً وَهْمِيّة ، كما يتصوَّرُونَ دائرةً كذلك في الأعدادِ ، ويقولونَ : إنّ العَقْلَ الْجزئيَّ قد يتصوّرُ بصورةِ العَقْلِ الكُلّي ، وتلك مباحثُ توجِبُ التمهيدَ لها بإيضاحِ مَغْزاهم في العُقول العَشْرة وما إليها .

ومن الآراء المعزوّة إلَيْهم : دعوى أنّ البارئ جلّ شأنه لا يصحُّ أنْ يُوصَف بصفاتٍ إلاّ على طريق السَّلْب ، وأنّه تعالى لا يَعْلَمُ إلاّ نفسه ـ سبحان الله عن إفكِ الأفّاكين ـ وقد سُئل المؤلّفُ عن تلك الْمَشاكل وعن البُرهانِ على بقاء النّفْسِ الناطِقَةِ بعدَ الموت .

وتلك ـ كما يقولُ المؤلِّفُ ـ مطالبُ ضيِّقةُ المَسالك ، وكثيراً ما تُؤدّي بسالِكِها إلى المَهالك ، وقد أجابَ المؤلّف في هذا الكتاب عن تلكَ الأسئلةِ العَويْصَة ، إجابةَ خِرِّيت[1] ، خبيرٍ بتلكَ المضائق ، بَصيرٍ بوجوه الكشفِ عن الحقائقِ ، وسَعى في ألاّ يحيدَ في بيانِه قِيْدَ شعرةٍ عن حُدودِ شَرْعِ اللهِ بقَدْرِ ما استَطاع ، ولمباحثِه صلةٌ وثيقةٌ بمباحث « اللُّمَعَة » وأجادَ في بيانِ آراء الفَلاسِفَةِ في تلكَ المَطالِب .

وقد صَدق الفتحُ بن خاقان في « قلائِد العقيان ومحاسن الأعيان » حيث قال في ترجمة المؤلِّف : « وله تَحقُّقٌ في العلومِ الحديثةِ والقَديمة ، وتصرُّفٌ في طُرقها القَويمة ، ما خرجَ بمعرفتِها عن مضمارِ شَرْع ، ولا نَكَبَ[2] عَنْ أصلٍ للسُّنَّةِ ولا فَرْع ، وتآليفه صُنوف ، وهي اليومَ في الآذانِ شُنوف » . كما صَدق ابنَ خَلِّكان وابن فَرْحُون وغيرُهما من المُتَرْجمين له حيث قالوا : « كان حَسن التّعليمِ ، جيِّدَ التَّفْهِيم ، ثِقَةً ضابطاً » .

فها هو كتابُه هذا ، تجدُه إليه المُنْتَهى في حُسن البيان وجودةِ التَّفهيم لتلك المَسائل العَويصة ، فيجعلُها سَهْلةَ التَّفَهُّم لِكُلِّ مَن ألقى إلى كلامِه سَمْعَهُ ووَجَّه إليه بَصيرته .

وكتابه « التّنبيه على الأسباب الموجبة للخلاف بين الأمّة » لم يُؤلَّف مثلُه في موضوعه على صِغَرِه ؛ وشَرْحُه على سَقْطِ الزَّند يفضِّلُه ابنُ خَلِّكان على شرح المعرّيّ نفسِه عليه ، وكتابُه في المُثَلَّثات العربية إليه المُنْتَهى في الإجادة عندهم ، وله شرحُ أدب الكاتب المشهور بالاقتضاب ، والحُلل في شرح أبيات الجمل ، وإصلاح الخلل الواقع في الجُمَل ، وشرحُ ديوان المُتَنبي ، والمسائل المَنْثورة ، وشرحُ المُوَطَّأ ، وغيرُ ذلك .

---

(١) الخِرِّيت (على وزن سِكِّيت) : الدليلُ الحاذق .

(٢) نكَب عن الشيء : عدَل عنه .

ومن شُيوخِهِ أبو عليّ الغَسّاني الحافظ ، كان عالماً باللغة والأدب مُتَبَحّراً فيهما ، فقيهاً ، وكان لَهُ يدٌ في الفَلْسَفةِ والعُلوم القَديمة ، وله أشعارٌ رنّانة ذُكِرَتْ في قلائد العِقْيان ووفيات الأعيان نماذجُ منها كافية .

وُلِدَ في بَطَلْيَوْس بفتحتين فسكون سَنَةَ ٤٤٤ هـ ، وتُوفّي ببلنسية في رجب سنة ٥٢١ هـ ، وكلتاهما من بلادِ الأندلس ، والسِّيْد بكسر السين وسكون الياء من أسماء الذئب في اللغة ، سُمّي به جَدُّه . سامَحه الله وأعلى منزلته في الْجَنّة .

ملاحظات الدكتور عمر فرّوخ على كتاب الْحَدائق

هذا كتاب فيه استِعراضٌ لعددٍ من وُجوه الفَلسفة القديمة : (الفَيْض والنَّفس وقواها) ووجوه الفلسفة في الإسلام : (في صِفات اللهِ والْخُلود) .

ويبدو أنَّ ابن السِّيْد يَقْبَلُ بالقَوْلِ بالفَيْض والعَقولِ الثَّواني ، ويذكرُ أنَّ ذلك كان مذهب أرسطاطاليس وأفلاطون وسُقراط وغيرهم من مشاهير الفلاسفة وزعمائهم القائلين بالتَّوحيد . وهو يرفضُ رأي الفلاسفة الْمَجُوس (الدَّهرية) ويعدّه كُفْراً بحتاً عند أرسطاطاليس لأن ذلك يوجب استحالة الباري ، أي : إنكار وجود الله (راجع كتاب الحدائق ، ص : ٤٦) ويبدو أيضاً أن البَطَلْيَوْسِيّ مُقتنعٌ بنظرية العَدد عند فيثاغوراس وصلتها بالفَيْض (الحدائق ، ص : ٣٩) ولعلّه عرف ذلك من رسائل إخوان الصَّفا . وهو يُنكر أن يكون الله صورةً لِلعَالَمِ أو أنه مجموع الوجود على ماذكره ثاليس وزينون الإيلي مثلاً (الحدائق ، ص : ٨٥ ـ ٨٦) .

ثم هو ليس معتزليّاً ، وليس خَصْماً لهم ؛ ولكنّه أمْيَلُ إلى الأشعرِيّة في جَعْلِه صِفات اللهِ قديمةً ، وأنَّ الاستدلالَ عليها يكونُ بالشَّرع وممّا ذكره الله تعالى عن نفسه .

وكذلك نجدُ لابن السِّيْد البَطليوسيّ ميلاً إلى قول أهل الظاهر (الحدائق ، ص : ٤٨ وما بعدها) .

من كتابه : تاريخ الفكر العربي إلى أيام ابن خلدون ص : ٦٠٥ ـ ٦٠٦

مُقَدّمَةُ التّحْقِيق

مدينة بطليوس التي يُنسب ابن السّيْد إليْها(1)

مؤلف هذا الكتاب أبو محمد عبد الله بن السّيد البَطَلْيَوْسِيّ نسبةً إلى مَدينة بَطَلْيَوْس إحدى مُدنِ الأندلس الكبرى ـ وهي اليوم عند الْحُدود الإسبانيّة البرتغاليّة ، وترسم باللغة الإسبانية Badajos وتنطق باداخوس . وهي مدينةٌ كبيرة ، على مدى الحكم العربي الإسلامي في الأندلس ، وتقع في مُنْحَنى وادي آنه (أو وادي يانة) عند ملتقى رافده : سو . وكانت محسوبة من إقليم ماردة .

وَبَطَلْيَوْس مدينة مُحْدَثَة (عربية) بناها عبد الرحمن بن مروان المعروف بالجيليقي أيام الأمير عبد الله (أحد أمراء دولة بني أميّة في القرن الثالث) .

---

(1) ترجمة ابن السّيد البَطَلْيَوْسي في أزهار الرّياض ٣ : ١٠١ (وفيه ترجمة مطولة نقلها عن كتيِّب خاص بابن السيد لابن خاقان) وقلائد العقيان ١٩٣ ، والصلة ١ : ٢٩٢ ، وبغية الملتمس ٣٢٤ (التّرجمة : ٨٩٢ : وقال فيه : وكان ثقةً مأموناً على ماقيّد وروى ونقل وضبَط) والمغرب في حُلى المغرب ١ : ٣٨٥ ، والديباج الْمُذهب ١ : ٤٤١ ، ونفح الطيب ١ : ١٨٥ ، و ٦٤٣ ـ ٦٤٩ ، ووفيات الأعيان ٣ : ٩٦ (ووصفه ابن خلّكان بالنحوي وقال فيه : كان عالماً بالآداب واللغات متبحّراً فيها ، مُقَدّماً في معرفتها وإتقانها ؛ وكان الناس يجتمعون إليه ويقرؤون عليه ويقتبسون منه ، وكان حسن التعليم جيّد التفهيم ثقةً ضابطاً . ألّف كتباً نافعةً ممتعة ... وبالْجُملة فكلّ شيء يتكلّم فيه فهو في غاية الجودة) . ومرآة الجنان ٣ : ٢٢٨ ، والبداية والنهاية ١٢ : ١٩٨ ، وغاية النهاية ١ : ٤٤٩ ، وبغية الوعاة ٢ : ٥٥ ، وشذرات الذهب ٤ : ٦٤ ، وشجرة النور الزكية ١ : ١٣٠ ، وكشف الظنون ٤٨ :٦٠٢ ، وهدية العارفين ١ : ٤٥٤ ، وروضات الْجنّات ٤٥٠ ، وسير أعلام النبلاء ١٩ : ٥٣٢ (ووصفه بصاحب التصانيف) .

عصر الطوائف على أيامه

وفي فترة دول الطّوائف (نحو سنة ٤٠٠ هـ إلى نحو سنة ٤٨٤ هـ) قامت في بطليوس ومنطقتها دويلة لبني الأفْطَس . فقد كانت في مُدّة الفتنة تحت ولاية سابور الفارسي أحد أعوان فائق الخادم مولى الحكم المُستنصر يساعده في إدارة المنطقة وزيره عبد الله بن محمد بن مسلمة . ولما توفّي سابور سنة ٤١٣ هـ - وترك ولدين - استبد بالأمر ابن الأفْطس : وهو من قبيلة مكناسة البربرية (على أنّهم نسبوا أنفسهم إلى قبيلة تُجيب العربية) وتلقب بالمنصور وكانت وفاته سنة ٤٣٧ هـ فخلفه ابنه محمد ، وتلقب بالمظفّر (وكان عالماً فارساً شجاعاً) .

وفي مدة المظفّر استولى فرناندو بن سانشو ملك قشتالة وليون على عدد من المُدن المهمة من الأراضي التي تحت نظر بني الأفطس مثل مدينة مليقة (لاميجو) وبازو - وهما في شمال البرتغال - واستولى على مدينة قُلُمريّة سنة ٤٥٦ هـ وارتكب الفظائع في حق أهلها .

وتوفي المظفر سنة ٤٦١ هـ وخلفه ابنه يحي الملقب بالمُنْصور ، ولكنه توفي فجأة سنة ٤٦٤ هـ ، وحكم أخوه عمر - الذي كان ينافسه - وتلقّب بالمتوكل ووزر له ابن عبدون الأديب الشاعر المشهور .

وفي هذه المدّة كان يحكم طليطلة بنو ذي النُون الذين أضاعُوا مدينة طليطلة سنة ٤٧٨ هـ ؛ استولى عليها ألفونسو السادس ملك قشتالة . واشتهر في بني ذي النون المأمون (توفي ٤٦٧ هـ) وخلفه حفيده يحي القادر ، وكان ضعيفاً متهاوناً . وفي أيّامه سقطت طليطلة في يد ألفونسو السّادس - حليفه القديم ! -

وكان في قرطبة بنو جهور استمروا من سقوط دولة بني أمية إلى أن داهمهم المعتمد ابن عبّاد فضمّ مملكتهم إلى مملكته الواسعة سنة (٤٢٢ هـ - ٤٦٣ هـ) .

وكانت إشبيلية عاصمة لدولة بني عَبّاد أكبر دويلات الأندلس في مدّة الطوائف ، وكان أمراؤها يسعون إلى ضم الأندلس تحت رايتهم بوسائل مختلفة أهمها القوّة والحرب من جهة والمكايد من جهة أُخرى .

وكانت مدينة (السَّهْلَة)[1] ومنطقتها في يد بني رزين : حكمها هذيل بن عبد الملك (سنة ٤٠٣ ـ ٤٣٦ هـ) ثم ابنه أبو مروان عبد الملك (سنة ٤٣٦ ـ ٤٩٦ هـ) ثم يحيي بن عبد الملك وأنهى المرابطون دولتهم سنة ٤٩٧ هـ .

وكانت سَرَقُسْطَة في يد بني هُود الذين واجهوا مملكة أراجون وأمراء برشلونة .

وغرناطة في يد بني زيري (من البربر) وكان أكثر دويلات جنوبي الأندلس إمارات تحت نظرهم .

أمّا شرق الأندلس فكان تحت نظر الفتيان الصَّقالبة وخلفائهم ؛ ثم آلت مدينة المرية إلى بني صُمادِح التُّجيبيّين وتولى أمر المرية ومنطقتها أبو الأحوص معن بن صمادح وتلقّب بالمعتصم (سنة ٤٣٣ ـ ٤٨٤ هـ) . وضبط بنو طاهر مدينة مُرْسِيَة .

وحكم مجاهد العامري : دانية والجزائر الشرقية (البااليار) توفي سنة ٤٣٦ هـ ، وخلفه ابنه عليّ وتلقب بإقبال الدّولة ، ثم استولى المقتدر بن هود صاحب سرقسطة على دانية سنة ٤٦٨ هـ ، وانتهت الدولة المجاهدية .

وحكم بلنسية في أول الفتنة مُبارك والْمُظَفَّر من مَوالي العامِريّين . ثم قدّموا عبد العزيز بن عبد الرحمن المنصور العامريّ (حكم من سنة ٤١٣ ـ ٤٥٢ هـ) وخَلَفَهُ وَلَدَه عبد الملك (تلقّب بنظام الدولة ، وبالمظفر) ، ولكن المأمون بن ذي النون ضمّ بلنسية إليه سنة ٤٥٧ هـ وعَهد بتَدْبيرها إلى أبي بكر محمد بن عبد العزيز الّذي أعلن استقلاله في سنة ٤٦٧ هـ في ظَرْفٍ مُواتٍ . وأصهر سنة ٤٧٧ هـ إلى المؤتمن من بني هود

(١) ويقال فيها شنترية الشرق تميزاً لها عن شنترية الغرب : (وهي اليوم سانتا ماريّا) .

فزوج ابنته من ابنه المستعين بن المؤتمن . وتوفي أبو بكر سنة ٤٧٨ هـ وخلفه ابنه أبو عمرو عثمان بن أبي بكر . ولكن القادر بن ذي النون لم يلبث أن دخل بلنسية مؤيداً من الفونسو حليفه القشتالي ! على أنّ ابن جحّاف القاضي البلنسي تولى الأمر في المدينة سنة ٤٨٥ هـ وقتل القادر لخيانته البلاد وتآمره مع النصارى . واحتل السّيّد القمبيطور (الكمبيادور) وهو مغامرٌ أفّاق قشتالي سفّاك للدّماء سنة ٤٧٨ هـ . واسترجع المرابطون المدينة وما احتلّه ذلك المغامر سنة ٤٩٥ هـ .

وكان المرابطون قد دخلوا الأندلس سنة ٤٧٩ هـ مُنْجدين البلاد والعباد ، وكان نصر الزلاقة الشهير ضد قوات ألفونسو وتحالف الدول الشمالية والقوّات الأوربية التي أنجدتهم في الحرب الصليبية الطويلة التي التفتت إلى الغرب الإسلامي كما التفتت إلى الشرق الإسلامي أيضاً .

ابن السّيد وأسرته وشيوخه وأحواله

مؤلّف الكتابِ هو أبو محمّد عبدُ الله بن محمّد بنِ السّيْد البَطَلْيَوْسِيّ ، واشتهر بلقب النّحوي . ونعرف من أسرته أخاه أبا الحسن عليّ بن محمد ، وكان أسنّ من أبي محمّد ، ويعدّ أحد أساتذته ، ولعلّه كان معلمه الأوّل وراعيه ، وموجّهه ؛ وفي ترجمته أنه كان مُقَدّماً في علم اللغة ، وحفظها ، والضبط لها « وأخذ عنه أخوه أبو محمد كثيراً من كتب الأدب وغيرها » . وكان أبو الحَسن قد وقع في قبضة ابن عكاشة والي قلعة رباح وبقي في اعتقاله حتى توفي قريباً من سنة ٤٨٠ هـ .

ولد أبو محمد في مدينة بَطليوس سنة ٤٤٤ هـ[1] ؛ في هذه المدة القلقة من

---

(١) أصل أسرته من شِلْب في غرب الأَندَلُس ؛ وأبُوه هو الذي انتقل إلى بطليوس ، وليس له ذِكر في كتب التراجم أو في أخبار ابن السّيْد ولده ؛ غير أن عنايته بأولاده - وعرفنا منهم اثنين - وتخريجهم في فنون العلم يدلّ على التفاتٍ منه إلى الثقافة واهتمام بها ، وتوجيه لأولاده إليها .
وكأنّ عدم امتداد جُذور أبي محمد بن السّيد في بطليوس هو الذي هوّن عليه الاغتراب عنها نهائياً - بالإضافة إلى عوامل أُخَر -

الناحية التاريخية والسّياسية والعسكريّة والاجتماعيّة . وقضى طفولته وفتوّته في هذه المدينة . وكانت بطليوس وناحيتها تحت نظر بني الأفطس كما ذكرت . وكان الحاكم وقتها المظفر محمد بن عبد الله بن الأفطس (حكم سنة ٤٣٧ ـ ٤٦١ هـ) وفي زمانه سقطت مدينة مليقة (لاميجو : ٤٤٩) ومدينة قُلمرية (سنة ٤٥٦ هـ) ونكب أهلها نكبة مروّعة على يد فرناندو ، وحاكمها سسندو (يسمّيه العرب ششند) وكان مُستعرباً (من نصارى الأندلس) خدم القشتاليين وأسرف في التنكيل والقتل والتشريد والسبي (راجع مثلاً : عصر الطوائف لمحمد عبد الله عنان : ٨٤ ـ ٨٦) ثم حكم المنصور (سنة ٤٦١ ـ ٤٦٤ هـ) ثم عمر الملقب بالمتوكل (سنة ٤٦٤ ـ ٤٨٧ هـ) . (راجع هذه التواريخ للمقارنة في معجم زامبادر ١ : ٨٩) .

وسقطت طليطلة سنة ٤٧٨ هـ وابنُ السّيد البَطَلْيَوْسِيّ في نَحو الرابعة والثلاثين من عمره وكان نصر الزلاّقة سنة ٤٧٩ هـ وهو ابن خمس وثلاثين سنة .

فهو إذن شَهِدَ مدّةَ دُول الطوائف في عِزّ اصطراعها : وكانت دولةُ بني الأفطس مهاجِمَةً حيناً ومهاجَمةً حيناً آخر وكانت مطامحهم ومطامعهم لا تتجاوز أن ينال أحدهم من أراضي صاحبه ومناطق نفوذه : يتشدّد بعضهم على بعض و يستخذون جميعاً أمام ملوك قشتالة وغيرها من الدول المعادية المُحاربة .

ولا شكّ في أن هذه الظروف القاسية كانت في جملة الحوافز التي حفزت ابن السيد على مُغادرة بَطَلْيَوْس إلى أكثر من مدينة وبلد : ونقرأ في شعره قوله من قصيدة :

فَسِرْنا وما نلوي على متعَذّرٍ إذا وَطَنٌ أقْصاكَ آوتْكَ أوطانُ !

على أنّ « ملوك » الطوائف وأمراءهم ومتغلّبيهم ، وإن اتّسم كثير منهم بالْجَهْل أو البُعد عن الثقافة : قرّبوا العلماء والأُدباء : إمّا معرفة بحقوقهم ومكانتهم ، وإمّا مباهاةً ورغبة في استكمال هالة السلطة والإدارة . على أن

تقريب العلماء والأدباء والشعراء لم يكن حكماً عاماً دائماً ، ولكنه غالبٌ . ويختلف معنى (التقريب) أو (العناية) بين مكان وآخر ، وحاكم وآخر من حكام ذلك الزّمان .

● وفي شيوخه من أهل بطليوس : أبو بكر عاصم بن أيّوب البَطليوسي أحد أئمة اللغة والأدب روى علماً غزيراً ، وألف كتباً نافعة وصل إلينا بعضها ؛ وهو ممن عني بشرح الأشعار الستّة . وهو توفي سنة ٤٩٤ هـ .

وفيهم : أبو الحسن علي بن أحمد بن حمدون المعروف بابن اللّطينة ، وكان من القراء المشهورين ، وكانت وفاته سنة ٤٦٦ هـ في بطليوس .

وفي شيوخه أبو الفضل محمد بن عبد الواحد البغدادي الدّارمي التّميمي ، وهو مشرقيٌّ دخَل المغرب والأندلس ، وتوفي في طُليطلة سنة ٥٠٥ هـ . وكان أبو الفضل لقي أبا العلاء المعري وروى عنه ونقل معه كتبه ، وكان من أهل الأدب والعلم .

وفيهم أبو القاسم عبد الدائم بن مرزوق بن خير القيرواني من أئمة اللغة والنحو والأدب وكانت له عناية بكتب أبي العلاء المعرّي ، وكانت وفاته بطليطلة سنة ٤٧٢ هـ .

وفيهم أبو الحسين بن محمد بن أحمد الغسّاني الْجَيّاني من العلماء الأدباء ، وأحد علماء الحديث ، (توفّي سنة ٤٩٨ هـ) .

ولا شكّ في تلقيه عن غير هؤلاء ، وروايته عن عدد كبير من رجال عصره . ومعلوم أن القرن الخامس الهجري كان عصر ازدهار فكري وحضاري ، وزمان قطف ثمرات طيبة من زرع الحضارة الأندلسيّة أيام الدولة الأمويّة . وأفاد ابن السّيد أيضاً من التّراث الأندلسي الغزير في الفنون المختلفة إضافة إلى التراث المشرقي الذي استمرّت العناية بروايته جيلاً بعد جيل .

وحَفظت كتب التراجم أسماء عدد من تلاميذته النّابهين الذين نبغوا في اللغة والنحو والأدب والشعر وغير ذلك .

● وأدّى تنقّل ابن السِّيد في بلدان الأندلس إلى وفرة أصحابه وأصدقائه وكثرة تلامذته ، وخصوصاً في المرحلة الأخيرة من حياته حين انقطع إلى العلم والتعليم . وتدل أخباره الباقية وصِلاتُه برجال عصره من ذوي الشأن السياسي ومن العلماء أنه أقام مدداً مختلفة في عدد من عواصم الأندلس آنذاك : قرطبة والسهلة وبلنسية وطليطلة وبطليوس وسرقسطة وغيرها . ولقي فيها الشيوخ في عملية مستمرّة للرواية ، وبثّ العلم ، وتثبيت الصّلات مع طبقة الكتّاب والوزراء ومن في منزلتهم . وله مقارضات شعرية مع كبار رجال زمانه كابن خفاجة وابن العريف وابن لبون وابن أبي الخصال .

بعد مرحلة الطفولة والفتوة ، وفيها الدّرْسُ والطلب ولقاء الشيوخ للتعلم والحفظ والرّواية استوى ابن السيد على عوده ، واشتهر بين شباب عصره واجتذبه ما اجتذب غيره من قصور الحكام ودواوينهم ؛ ولخّص ابن خاقان هذه المرحلة من حياته بقوله : « خَدَمَ الرِّياسات وعلم طرقَ السِّياسات ، ونفق وكسَد ، ووقف وتوسّد » .

ونعرف له صلة ببني ذي النون أصحاب طليطلة ، ولقاءً بالقادر بن ذي النون (حكم في طليطلة سنة ٤٦٧ ـ ٤٧٨ هـ ، ثم انتقل إلى بلنسية سنة ٤٧٨ ـ ٤٨٣ هـ) ، وله قصيدة في أزهار الرياض (٣ : ١٠٧) ذكر فيها مجلس الناعورة من قصر القادر ، وفيها : [من المنسرح]

يا مَنظراً إنْ رمَقْتُ بَهْجَتَهُ أذكرني حُسْنَ جَنَّةِ الْخُلْدِ

.. وصلة بابن رَزِين صاحب السّهلة (وهي شنترية الشرق) . والمقصود بابن رزين هو أبو محمد هُذَيل بن عبد الملك ، ولقبه عزّ الدولة . واستمرّ في الحكم

من سنة ٤٣٦ ـ ٤٩٦ هـ أي نحو ستين عاماً كما يفهم من الحلة السّيراء لابن الأبّار . وكان ابن رزين هذا ينظم الشعر ، ولكن ابن رزين الذي أحسن استقباله نقم عليه ، واستعطفه ابن السّيد عسى أن يعود إلى رضاه ، ويبدو أنّ ابن السيد يئس من صفاء الحال معه ، فغادر إلى سرقسطة .

واتصل بالمُستعين بن هود صاحب سرقسطة وهو المستعين الثاني منهم ، واسمه أحمد بن يوسف (حكم سنة ٤٧٨ ـ ٥٠٣ هـ) ويعرف أيضاً بالمستعين الأصغر .

ووصفت دولة بني هود بأنها كانت مركز حركة علمية وأدبيّة زاهرة ، وأنهم كانوا من حماة العلوم والآداب .. « وقد اشتهرت سرقسطة في هذا العصر ـ بنوع خاص ـ بالدراسات الفلسفية والرياضية ، وكان من أعلام أبنائها في هذا العصر فيلسوف من أعظم فلاسفة الإسلام وعلمائه هو أبو بكر بن محمد بن الصائغ المعروف بابن باجّة .. » كما في عصر الطوائف : ٢٨٣ .

واتصل ببني عبد العزيز أصحاب بلنسية .

وبعد تَطْوافِه في بلدان الأندلس ، عاملاً في دواوين بعض أمراء الطوائف أو في رعايتهم التي تعلو وتهبط ، وترتفع وتنخفض وتسلس القياد وتصعب ، وتكون حسنة حيناً وخطيرة وعرة إلى درجة خطر الموت ... استقر في مدينة بلنسية يؤلف ويدرّس ويلتقي بأهل العلم وينشر مؤلّفاته ، ويرويها عنه تلامذته وأصحابه .

وكانت وفاته سنة ٥٢١ هـ وقد استقر حال بلنسية في ظل حكم المُرابطين .

مؤَلّفاته

تناولت تآليف ابن السّيد أغراضاً شتّى من اللغة والنحو والفقه والأصول والأدب والفلسفة والتاريخ ، وله رسائل وأشعار .

ووصل إلينا قَدْرٌ صالح من مؤلفاته ، وطُبع أكثرها .

فمن كتبه الباقية : **الاقتضاب في شرح أدب الكُتّاب** ، طبع في مجلد واحد سنة ١٩٠١ م في بيروت ، ثم طبع في القاهرة في ثلاثة أجزاء .

و **الحُلل في شرح أبيات الجُمَل** ، شرح فيه شواهد جُمَل الزّجّاجي (وهو أبو القاسم الزجاجي : ت ٣٣٩) وكتابه الجُمَل مشهور ، كان له تداول كبير في الأندلس ، واعتنى به عدد من علماء الأندلس شرحاً وتعليقاً وتنبيهاً . وطبع الكتاب في مصر (القاهرة ١٩٧٩ م) .

و **إصلاح الخَلَل الواقع في شرح الجُمَل** ، وطبع في بغداد سنة ١٩٨٠ م بعنوان : كتاب الحُلَل في إصلاح الخلل من كتاب الجُمَل .

وكان كتاب الجُمَل كتاباً مقرّراً يدرسه الطلبة قبل الاستبحار في دراسة النحو والتوسع فيه . وهو كتاب مُخْتَصر في النّحو . ووجد ابن السّيد ملاحظات مختلفات قال في المقدّمة : « ... وليس غَرَضي أن أستوفي مالم يذكره من أنواع هذا العلم وأقسامه ، وإنما غَرَضي أن أنبّه على أغلاطه والمختلّ من كلامه ؛ فإنه أصّل أصولاً لاتصحّ مع الاعتبار ، واختار في أشياء ماليس بالمُختار ، وربّما تناقض كلامه من حيث لا يَشْعُر ، وخفي عليه منه ما يبدو لغيره ويظهر .. » .

و **الفَرْق بين الحُروف الخمسة** ، طُبِع أوّل مرة في القاهرة ١٩٨٢ م طبعة سقيمة جداً ، ثم طبع ع ثانية في دمشق ١٤٠٤ هـ ـ ١٩٨٤ م .

و **المُثَلّث** ، كنت حقّقته مع د . هـ . حمودي يوم كُنت في وهران بالجزائر ، وبقي عنده زماناً على ذمّة النشر . ثم نُشِر في بغداد ، في جزأين ، تسبقه دراسة فيها طول : ويبدو أن محقّقه نال به درجةً جامعية (١٤٠١ هـ ـ ١٩٨١ م) وأجرى عليه د . حمودي مراجعةً مطوّلة كما أخبرني ولعلّه نشرها .

و الانتصار مِمّن عدل عن الاستِبْصار ، ردّ فيه على اعتراضات أبي بكر بن العربيّ . وطبع في القاهرة سنة ١٩٥٥ م في سفر صغير .

و الإنصاف في التّنبيه على الأسباب الّتي أوجبت الاختلافَ بين المُسلمين في آرائهم ، طبع في القاهرة سنة ١٣١٩ هـ بعناية الشيخ عمر المحمصاني . ثم حقّقتهُ وطبع في دار الفكر (انظر منه الطبعة الثّالثة الصادرة سنة ١٩٨٧ م) .

و الْحَدائق ، وهو هذا الكتاب الذي ننشره .

و شرحُ سَقْط الزّند ، طبع طبعة قديمة ، الأولى بتبريز كما ذكر بروكلمان سنة ١٢٧٦ هـ . والثانية في القاهرة سنة ١٩٤٠ م وضمّ إلى شرحه شرحان آخران : للخوارزمي والتبريزي .

و شَرْحٌ على قصائد من لُزوميّات أبي العلاء ، طبعت في مصر في جزأين بعنوان : شرح المختار من لزوميات أبي العلاء سنة ١٩٧٠ م ، ثم ١٩٨٤ م .

و رسالة الاسم والمُسَمّى ، وهي من رسائله (المسائل والأجوبة) طبعت في مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق المجلد ٤٧ ، الجزء الثاني ص ٣٣٠ ـ ٣٤٣ .

ونشر قطعاً من المسائل والأجوبة الدكتور إبراهيم السامرائي في كتابه : نصوص ودراسات عربية وإفريقية في اللغة والتاريخ والأدب ص ١٤٠ ـ ١٨٩ ، قال المحقق الفاضل ص ١٤١ : « .. وهو الكتاب الذي نُعْنى بنشر مختاراتٍ منه في هذا المجموع ... » .

● وفي بعض المكتبات العامّة بعض رسائله وآثاره الْمَخْطُوطة مما ينتظر التحقيق والطباعة ، أمّا كتبه المفقودة فكثيرة ، وهي تدور في الفلك الذي ذكرناه ، وهو فلك واسع .

كتاب (الحدائق)

نشر كتاب (الحدائق) أول مَرّة المستشرق الإسباني آسين بلاثيوس مع ترجمة إسبانية للكتاب[1] ، وأصدره في عدد من مجلة (الأنْدَلُس AL ANDALUS) سنة ١٩٤٠ م .

ونوّه آنخِل جُنثالث بالَنْثيا في كتابه : تاريخ الفكر الأندلسي ، (ترجمة الدكتور حسين مؤنس ، ص ٣٣٤ ـ ٣٣٥) بصنيع بلاثيوس ، ونقل عنه قوله :

« إن كتاب الحدائق لا يُمكن اعتباره مجرّد كتاب سهل الاستعمال يُعينُ جُمهورَ غير المتخصّصينَ في الفَلْسَفَةِ على معرفةِ المبادئ الفلسفيّة : بل لَهُ ـ بِفَضْلِ طابعهِ السَّهْلِ المُبسّط ـ أهميّةٌ أُخرى ؛ وهي أنّه يعرض علينا صورةً صادقةً إلى حَدٍّ كبيرٍ للحالة التي كانت عليها المعارفُ الفلسفيّةُ في إسبانية الإسلامية في الفترة التي أُلِّفَ فيها . فقد كُتِبَ في الوقت نفسه الذي كان ابن باجّة[2] يُؤَلِّفُ فيه كُتُبَه ، وقبل أن يفكّر ابن طُفَيل ، وابن رُشد في شرح مؤلفات فيلسوف اسطاغاريا (أي أرسطو) .

وممّا يزيدُ في أهمّيته أن ابنَ السّيد يوردُ فقراتٍ بنصّها من مُحاورة تِيماوُس (طيماوس) لأفلاطون ؛ وهذه الفقرات التي يوردُها ابنُ السّيد من تلك المُحاورة لا تتّفقُ مع نصّها اليوناني المعروف ، ممّا يثير مُشكلات متعدّدة تتعلق بالمراجع الخاصّة بدراسة أفلاطون ، وهي مشكلات جديرة بأن يناقشها المتخصّصون في

---

(١) تفضل الدكتور سيمون حايك بترجمة مقدمة المحقق ووصلت متأخرة فجعلناها مُلحقاً (انظر ص ١٤١ ـ ١٥٢)

(٢) ابن باجّة : أبو بكر محمد بن يحي الصّائغ (الملقب بابن باجّة) المُتوفّى ٥٣٣ هـ . أحد فلاسفة الأندلس ، أديب ، شاعر ، موسيقيّ ، طبيب ، رياضي ، من علماء الطبيعة . قال فيه الدكتور فرّوخ (تاريخ الفكر العربي) : « أول الفلاسفة العقليين على الحصر ، أخذ بالفلسفة منفصلةً عن الدين ومعزولة عن العامّة ثم أقامها على أساس من الرياضيات والطبيعيات ... وهو أشبه بالفارابي من الإسلاميّين ، وبأرسطو من القدماء » .

ـ واشتهر له كتابه : تدبير المتوحّد .

الفلسفة وفَوْقَ ذلك كُلّه فإنَ كتابَ الحدائق يُعْتَبَرُ أوّلَ محاولةٍ للتوفيق بين الشريعة الإسلامية والفكر اليونانيّ » .

وفي سنة ١٣٦٥ هـ الموافق ١٩٤٦ م صدر (كتاب **الحدائق في المطالب العالية الفلسفية العويصة**) في القاهرة في سلسلة « كتب نادرة » التي كان يُصْدِرُها السيد عزّة العطار الْحُسَيني ـ رحمه الله ـ ، وكان له ولع بنشر التراث الأندلسي . وأوكل مهمة مراجعة الكتاب والنَّظرِ فيه والتَّقديم له ومقابلة المطبوع بالمخطوط[١] إلى (صاحب الفضيلة الشيخ محمد زاهد بن الحسن الكوثري : وكيل المشيخة الإسلامية في الخلافة العثمانية ـ سابقاً) .

وصَدَر في نحو سبعين صفحة من القطع الصَّغير .

ونقلنا في مقدّمات طبعتنا للكتاب ما كتبه الشيخ الكوثري رحمه الله وأجزل ثوابه .

ولم تَخْلُ الطبعتان من أخْطاء ، مرجعها في الأغلب إلى أمرين :

ـ طبيعة النسخ التي اعتمد عليها المحققان الفاضلان .
ـ وكثرة أخطاء الطباعة .

وتبيّن لي من مُقابلة مخطوطتنا بالنّسختين المطبوعة سقوط سُطورٍ أو كلمات ، من بَعْضِ الأصول : فكان للمقابلة فائدة تقديم نَصٍّ حسن جداً .

والنسخة المخطوطة التي اعْتمدنا عليها مدرجة في رسائل ابن السّيد المعروفة بالمسائل والأجْوبة . وتقع في ثمانٍ وثلاثين صَفْحة :

---

(١) جاء في خاتمة طبعة القاهرة ما نصه : « وهنا يجدر بنا أن نتقدم بجزيل الشكر لحضرة الأخ الأستاذ محمد نجيب أمين الخانجي صاحب المكتبة المشهورة لتكرّمه علينا بنسخة خطّية من هذا الكتاب راجعنا عليه نسختنا الأصلية » . انتهى .

تبدأ بالبسملة واسم المؤلف : « قال الفقيه الأستاذ أبو محمد عبد الله بن محمد بن السِّيد البطليوسي رحمه الله : سألتني أبان الله لك الْخَفِيّات ... » إلخ الرسالة . فلما انتهت الرسالة قال بالقلم نفسه الذي كتبت به : « كملت المسائل الفلسفية : والحمدُ لله كثيراً » .

وفي الورقة ٢٥ سطراً في المتوسط ، في السطر نحو ١٢ كلمة . وكتبت النسخة بخطّ أندلسي جيّد مضبوط بالشَّكل . وميّز الناسخ العناوين بخط كبير وقلم غليظ .

والنسخة على جهة العموم حسنة الضبط والشُّكل . ونـدَّ عن الكاتب (الناسخ) أمران :

أحدهما : أنه قد يُسْقِطُ سَطْراً بنقلة عَيْن .

والثاني : أنه رُبّما سها عن حرف بحرف أو شكل بشكل ؛ على أن هذا الأمر الثاني قليل جداً ، بل هو نادر ، ولكنّ الأمانة اقتضت التنبيه عليه . على أن إسقاط بعض السُّطور كان سيشوّه الرسالة لو لم نستدركها من المطبوع .

وجعلت النسخة المخطوطة أصلاً . وقابلت النَّصين المطبوعين عليها . ورمزت لما اتفقا عليه برمز (ط) فإذا ما اختلف شيءٌ ذو بال بينهما بيّنت طبعة بالاثيوس من طبعة مصر .

والخلاف بين مطبوعة مجلة الأندلس وطبعة القاهرة يسير جداً ، يرتد أكثره إلى الأخطاء المطبعية أو إلى ما تنبّه إليه الشيخ الكوثري فأصْلَحَهُ من مخطوطة الخانجي أو بما هو لازم من قراءة النص وسياقه .

ولم أخرج عمّا في النّسخة المخطوطة إلا في حالتين :

أ ـ إرجاع السُّطور الضائعة إلى مواضعها ، نقلاً عن المخطوط .

٢ ـ عند التّصحيف الظّاهر والخطأ البيّن الذي تُصلحه النسختان المطبوعتان . ونبّهتُ إلى ما صَنَعْت في مواضعه . وجعلتُ المعقوفتين [ ] دلالة على مانقلته من المطبوع (ط) إلى المخطوط (خ) ، سواءً نبّهت على ذلك أم اكتفيت بالمعقوفتين رمزاً على النقل والاستدراك من المطبوع .

وأمّا ما سقط من المطبوع ـ وهو كثير ـ وورد في الأصل المخطوط فأشَرْتُ إليه باستعمال رقم بين قوسين (   ) أذكره في أول الكلام الضائع من (ط) ثم أذكره نفسه ثانيةً في آخر الكلام .

ورقّمت المواضع التي تحتاج إلى حواشٍ بأرقام متسلسلة تبدأ مع أوّل الباب وتنتهي في آخره .

فإذا بدأ الباب التالي بدأت بالترقيم من الرقم الأوّل (الواحد) ومضيت بأرقام متسلسلة حتى ينتهي الباب ، ويأتي بابٌ آخر ، فنبدأ ثالثةً وهكذا .

وصنعت للكتاب فهارس فنية تساعد القارئ الكريم على استخراج ما يطلبه من موادّ الكتاب ، وتيسّر له الاستفادة ممّا فيه .

والحمد لله ربّ العالمين

معنى الحياة الجسمانية عند مقارنة النفس للجسم واستعمالها اياه ومعنى الموت مفارقة النفس اياه وترك استعماله وقال من زعم ان النفس حالّة بملايم الجسم معنى ان تكون النفس ذات حس ومعنى الموت ان تعدم الحس فنسألهم عن الحس الموجود للنفس كقول مفارقة الجسم هل يخلو من ان يكون ذاتيا لها او عرضيا فيها فان كان ذاتيا لها بطل ان تعدم الحس بمفارقتها الجسم وان كان عرضيا فيها فلا يخلو من ان يكون مستفادا من الجسم او من جوهر اخر مصاحب له فان كان الجسم هو الذي يفيدها الحس وجب ان لا يعدم الجسم اذا فارقته النفس وهذا خلاف ما نشاهده من حالها وحال جسمها وان كانت النفس انما تستفيد الحس من جوهر اخر روحاني متصل بها وجب ان نسألهم عن ذلك الجوهر الاخر هل هو حساس بذاته ام بجوهر اخر ايضا ويستمر ذلك الى ما لا نهاية له وما لا نهاية له بالفعل محال فثبت ان النفس حساسة بذاتها وجوهرها وما كان حساسا بذاته وجوهره بطل ان يعدم الحياة فالنفس اذن حية بعد فراق الجسم وقد استدل الحكماء على بقاء النفس الناطقة بادلة كثيرة غير هذه وفيما ذكرناه منها مقنع وبالله التوفيق

كملت المسايل الفلسفية والحمد لله كثيرا

بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على النبي محمد وآله وسلم

قال الفقيه الاستاذ ابو محمد عبد الله بن السيد البطليوسي رحمه الله

سألتني قرن الله لك بالحق محبة وجعلك من الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه عن قول الكتاب في صدور كتبهم بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على محمد وذكرت ان قوما من نحويي زماننا [illegible] الصلاة [illegible] يزالون [illegible]

[illegible]

قال الفقيه [illegible]

[illegible] رحمه الله

[illegible] أبقاك الله لنا الحيات وعصمك من الشبهات وأمدك بنور من العقل [illegible] عين بصيرتك ظلم الجهل حتى ترى بعين لبك مراتب المعقولات [illegible] تعين جسمك مراتب المحسوسات عن معنى قول [illegible] ان ترتب الموجودات عن السبب الأول على دائرة وهمية تبتدئ من نقطة وترجع [illegible] في صورة الإنسان وعن قولهم ان الانسان تبلغ ذاته بعد [illegible] تبلغ علمه في حياته وان علمه ابتداء [illegible] دائرة وهمية [illegible] قولهم ان قوة العقل الجزئي ان تتحد في صورة العقل الكلي وعن [illegible] ان العدد دوائر وهمية دائرة الآحاد ودائرة العشرات [illegible] المئين ودائرة الألوف فما زاد وعن قولهم ان صفات الباري تعالى لا يوصف بها الا على طريق السلب وعن قولهم ان الشريعة [illegible] النفس وما البرهان على بقاء النفس [illegible] بعد الموت [illegible] وفي ذلك [illegible] صفة المسائل وكثيرا ما تقضي مسائله إلى [illegible] ينتهي إليه علمي وأداه إليه فهمي وبالله أعتصم من الخطأ [illegible] أسأل التوفيق إلى الصواب من القول والعمل

الباب الأول في شرح قولهم ان ترتب

الموجودات عن السبب الأول على دائرة وهمية [illegible] الإنسان [illegible] قول [illegible] على جهة [illegible] ان [illegible] يسمونه السبب الأول [illegible] يسمونه العلة الأولى ويسمونه علة العلل [illegible] من موجودات [illegible] كل موجود منها [illegible] وجوده [illegible] تكون كلها [illegible] واحدة [illegible] بعضها [illegible] من بعض [illegible]

الحدائق

في المطالب العالية الفلسفية العويصة

لأبي محمد عبد الله بن محمد بن السِّيد البطليوسي الأندلسي

٤٤٤ ـ ٥٢١ هـ

بسم الله الرَّحْمنِ الرَّحِيم

وهو حَسْبِي

قال عَبْدُ اللهِ بنُ محمّد بنِ السّيد البَطَلْيَوْسِيّ[١] ، رَحْمَةُ اللهِ عَلَيْه : سَأَلْتَني - أبانَ اللهُ لكَ الْخَفِيّات ، وعَصَمكَ من الشُّبُهات ، وأمَدّك بنُورٍ من العَقْلِ يَجْلُو عن عَيْنِ بَصيرَتِكَ[٢] ظُلَمَ الْجَهْل ، حَتّى تَرى بِعَيْنِ لُبِّكَ مَراتِبَ الْمَعْقُولات ، كما رأيْتَ بِعَيْنِ جِسْمِكَ مراتبَ الْمَحْسُوسات - عن مَعْنى قَوْلِ الْحُكَماء : إنَّ تَرْتيب الْمَوْجُودات عن السَّبب الأوَّل يحكي دائرةً وَهْمِيَّةً ، تبدأ من نُقْطَةٍ ، وتَرْجِعُ إلَيْها ، ومَرْجِعُها في صُورَةِ الإنسانِ .

وعن قَوْلِهم : إنَّ الإنسانَ تَبْلُغُ ذَاتُه بَعْدَ مَماتِه إلى حَيْثُ يَبْلُغُ عِلْمُه في حَياتِه ، وإنّ عِلْمَهُ يَحْكِي أيْضاً دائرةً وهميّةً .

وعَنْ قَوْلِهِم : إنَّ في قُوَّةِ العَقْلِ الْجُزئيّ أنْ يَتَصوَّر بِصُورة العَقْلِ الكُلّي .

وعن قَوْلِهم : إنّ العَددَ دائرةٌ وهميّةٌ كدائِرةِ الآحادِ والعَشَرات ، ودائرةِ المئات ، ودائرةِ الأُلوف .

---

(١) انظر ترجمته ، ومصادرها في ذيل مقدّمة التّحقيق .

(٢) في ط : يجلو عن بصيرتك ظلمة ..

وعن قَوْلِهم : إنَّ صفاتِ البـاري ـ تَعـالى ـ لا يَصِحُّ أنْ يوصَفَ بهـا إلاّ عن طَرِيقِ السَّلْب .

وعن قَوْلِهم : إنَّ البارِئ تَعالى لا يَعْرِفُ إلاّ نَفْسَهُ .

وما البُرْهانُ على بَقاء النَّفْسِ النَّاطِقَةِ بَعْدَ الْمَوْتِ ؟

وهـذِه ـ أعـزَّك اللهُ ـ مَطـالِبُ ضَيِّقَـةُ الْمَسـالِـك ، وكَثيراً مـا تُفْضِي بسالِكِها إلى الْمَهالِك ! وسأقُولُ فيها بِمَـا انْتَهى إلَيْـهِ عِلْمي ، وأَحَـاطَ بـه فَهْمِي .

وباللهِ أَعْتَصِمُ من الْخَطَأ والزَّلَلِ ، وإيَّاهُ أَسْأَلُ التَّوفيقَ إلى الصَّواب من القَوْلِ والعَمَلِ ، [لا رَبٌّ غَيْرُه][1] .

---

(١) العبارة من : ط .

الباب الأوّل

في شَرْحِ قَوْلِهِمْ : إنّ تَرْتِيبَ المَوْجُودات عَنِ السَّبَبِ الأوّل يَحْكي دائِرَةً وَهْمِيَّةً مَرْجِعُها إلى مَبْدَئِها في صُورَةِ الإنْسَان

أقول[١] ـ وباللهِ أعْتَصِمُ ـ مُخْبِراً عن أغْراضِهم ومَقاصِدِهم ـ وإنْ كُنْتُ اسْتَعْمَلْتُ على جِهَةِ التّقريبِ ألفاظاً غَيْرَ ألفاظِهم ـ : إنّ البارئَ تعالى ـ وهو[٢] الّذي يُسَمُّونَهُ السَّبَبَ الأوّل ، والعِلّةَ الأولى ، وعِلّةَ العِلَل ـ لمّا كانَ هُوَ الّذي أفاضَ الوجُوداتِ وأعْطى كُلَّ مَوْجُودٍ منها قِسْطَهُ من الوُجُودِ ، ولم يَجُزْ في الحِكْمَةِ أنْ تكونَ كلُّها في مَرْتَبَةٍ واحدةٍ ، صارَ بَعْضُها أرْفَعَ من بَعْضٍ ، وبعضُها أحَطَّ من بَعْض ؛ وصارَ وُجود أقْرَبِها مَرْتَبةً منهُ وَساطَةً[٣] لِوُجودِ [٢] [أبْعَدِها ، فلا يوجَدُ أبْعَدُها منهُ إلاّ بوجودِ أقْرَبِها منهُ وتَوسُّطه][٤] .

وَلستُ أُريدُ بِذكْرِ القُرْبِ والبُعْدِ إثباتَ مَكانٍ ، لأنَّ البارئَ

---

(١) في ط : فأقول .

(٢) في (ط مصر) : فهو .

(٣) في المطبوع : عِلّة .

(٤) ما بين معقوفتين من (ط) فقط .

عَزَّ وجَلَّ[٥] لا يوصَفُ بالمكانِ ولا بالزَّمان[٦] ؛ وكذلكَ كُلّ معقولٍ لا مادَّةَ له . وإنّما أُريدُ بذكرِ القُرْبِ والبُعْدِ مراتِبَها في الوُجود .

وأقْرَبُ ما يُمَثَّلُ بهِ وجودُ الموجُوداتِ عنهُ تَعالى وُجودُ الأَعدادِ عن الواحِدِ ؛ وإنْ كانَ البارئُ تَعالى لا يجوزُ أنْ يُشَبَّهَ بشَيْءٍ . وكذلكَ صِفاتُه وأفعالُه ؛ ولكنَّهُ على جِهَةِ التَّقريب . فكَما أنَّ الثَّلاثَة لاتوجَدُ عن الواحِدِ إلا بتوسُّطِ وُجود الاثنين ، كذلك[٧] الأَرْبعَةَ لاتوجَدُ إلاّ بتَوسُّطِ وُجود الثّلاثة[٨] والاثنين ، ولا تُوجَدُ الْخَمْسَةُ إلا بتوسّط وُجودِ الأَرْبَعةِ والثّلاثَةِ والاثنَيْنِ ، وكَذلكَ سائِرُ الأَعْداد .

ولِهذا صَارَ وجودُ كُلّ واحِدٍ عِلَّةً لوجودِ مابَعْدَهُ مع كَوْنِ الواحِدِ علَّةً لِوُجودِ جميعها ؛ إذْ كانَ لا يَصِحُّ وُجُودُ الأَبْعَدِ إلاّ بِوَساطَةِ وُجودِ[٩] الأَقْرب . فَكَذلِكَ[١٠] يُمَثَّلُ بالتَّقْرِيبِ وُجودُ الْمَوْجُوداتِ عَنِ البارئِ تَعالى لا عَلى الحقيقة .

ومَعْلُومٌ أنَّ الشَّيْءَ لا يُشَبَّهُ بِغَيْرِهِ مِن جَميعِ جِهاتِهِ ، إنّما يُشَبَّهُ بِهِ في بَعْضِ مَعانيه وصِفاتِهِ . فلَمّا كانَ وُجودُ الْمَوْجُوداتِ عنهُ تَعالى على هذه

---

(٥) في (ط) : لآن البارئ تَعالى .

(٦) قوله : « ولا بالزمان » سقط من (ط) .

(٧) في (ط) : « وكذلك » . والوجه هنا حذف الواو .

(٨) بالاثيوس : « وجود ثلاثة والاثنين » ؛ وهو سهو .

(٩) في ط : إلا بوجود الاقْرَب .

(١٠) في ط : وكذلك .

الصِّفَةِ كانَ كالُ كُلِّ مَوجودٍ على قَدْرِ مَرْتَبَتِهِ منهُ في الوُجود : [فكانَ أكْمَلَها وُجوداً وأقَلَّها نَقْصاً المَوْجُودُ الّذي هو في مَرْتَبةِ الاثنينِ تَمْثيلاً وتَقْريباً لِمَا قدَّمناه من العَددِ في ذلك][11] . ثُمَّ الثَّالث أنْقص مِنَ الثَّاني ، ثم الرَّابِع أنْقص من الثَّالث ، وهكَذا لم تَزلْ المَوْجُودات تنقُص مَرْتَبةً مَرْتَبةً[12] على قَدْرِ بُعْدِها من المَرْتَبةِ الأولى حَتّى انتهَتْ إلى أنْقصِها مَرْتَبةً الّذي لا أنْقصَ منه ؛ إذْ كانَت مَراتِبُ المَوْجُودات مُتَناهِيَةً ، وكانَ إثباتُ ما لا نِهايةَ لهُ بالفِعْلِ منَ المُحال ، وإنَّما يصحُّ إثباتُه بالقُوَّة والإمكان ، ثمّ تنعَكِسُ المَوْجُوداتُ متصاعِدَةً من أدْناها مَرْتَبةً إلى أعْلاها ، إلى أنْ تَنْتَهِيَ إلى أكْمَلِ المَراتب الّتي جُعِلَ[13] لَها بالطَّبْعِ أنْ تَبْلُغَها وتَسْلُكَ في تصاعُدِها المَسْلَكَ الّذي سَلكَتْهُ في تَسافُلِها ؛ أعْني أنَّها لا تَصْعَدُ إلى المَرْتَبةِ الثَّانية إلاّ بَعْدَ الأولى ، ولا الرَّابعةِ إلاّ بَعْدَ الثَّالثة .

وبيانُ ذلكَ أنَّ البارئَ تَعالى لهُ المَرْتَبةُ الأولى من الوُجودِ ، وهوَ مُتَوحِّدٌ بِوُجودِه لا يَشْرَكُه في وُجودِهِ شَيْءٌ ، كَما لا يَشْرَكُه [٢] في شَيْءٍ من صِفاتِه[14] .

---

(١١) أثبتُّ هنا ما في (ط) . وها هو ذا نصُّ النسخة (خ) : « فكانَ أكملُها وُجوداً أقلُّها نقصاً في الوُجود فكان أكملها في مرتبة الاثنين تمثيلاً وتقريباً كما قدَّمنا مِنَ العدد في ذلك » .

ـ والذي في مطبوعة القاهرة هنا : « تمثيلاً وتقريباً لِمَا قدَّمناهُ من العُذْر في ذلك » .

(١٢) في ط : تنقص مرتبةً على .

(١٣) في ط : حصلت .

(١٤) في ط : كما لا يشركه شيءٌ في صفاته .

وأوّلُ مَوْجُودٍ أَوْجَده وأبْدَعه تعالى : المَوْجُودات الّتي يُسَمُّونَها الثّواني ، ويُسَمُّونَها العُقولَ المُجرَّدة عن المادّة ، وهي تِسْعَةٌ على عَدَدِ الآحادِ التّسعة ؛ تَرتَّبَتْ في الوُجودِ عَنْهُ كَمراتِب الأعْدادِ : أوّل ، وثانٍ ، وثالث ؛ إلى التّاسِع الّذي هو نِهايَتُها ، كما صارَ التّاسِعُ من العَدَدِ نهايةَ الآحاد .

وأوّلُ هذِه الثّواني بالنسبة[15] إلى الله تعالى في مرتبة الاثنين على وجه[16] التقريب [وبالنّسبةِ إلى الموجُوداتِ المُبْدعات في مَرْتَبة الواحد ، لأنّ البارئ تعالى بائنٌ عن المَوْجُوداتِ][17] ، غيرُ مَوْصُوفٍ بِشَيْءٍ من صِفاتِها ؛ وكُلّ واحدٍ من هذه التّسعَةِ مَوجُودٌ عن البارئِ تَعالى بتوسُّطِ وجودِ كُلّ واحدٍ مِن هذه التّسْعَة .

[ثُمّ تَلِي مَرتبة هذِه الثّواني التّسعة][18] في الوُجودِ مَرْتَبةُ العَقْلِ المُوَكَّلِ بِعالَم العَناصِر ؛ وهو الّذي يُسَمُّونَهُ العَقْلَ الفَعّال ؛ وهو يُوافِقُ المَوْجُودات الثّواني التّسْعَة في أنّهُ عَقْلٌ مُجَرَّدٌ مِنَ المادّة[19] مِثلها ، وإنّما فَصَلُوه مِنها وجَعَلُوه لها[20] مَرْتَبةً عاشرةً على حِدَةٍ لِوَجْهَيْن :

---

(١٥) في ط : وأوّلُ النّسبة إلى الله تعالى .

(١٦) في ط : على جهة التّقريب .

(١٧) هذا السّطر من : ط : مستدرك على خ .

(١٨) سقط الكلام من : خ .

(١٩) في خ : مجرّد عن المادّة .

(٢٠) في ط : وجعلوا له مرتبة .

أحدها : أنّ الثّواني التّسْعَة مُوَكّلَةٌ بالأفْلاكِ التّسْعَة ؛ والعَقْلُ الفعّالُ مُوَكّلٌ بِعالَمِ العَناصِر .

والوَجْهُ الثّاني : أنّ هذا العَقْلَ الفعّال تَسْرِي قُوّتُه في الأجْرامِ النّاطِقَةِ الّتي دونَ فَلَكِ القمَر ، كما يَسْري نُورُ الشّمس ؛ وعَنْهُ يحصلُ النّطق في كُلِّ مُكَوّن ، مُستعدّ لِقَبُول القُوّة النّاطِقَة . وكُلّ ما تجَوْهَر من الْمَوْجُوداتِ الطّبيعيّة فهو به مُلْحَق[٢١] . وهذا الْمَعْنى ليْسَ بِمَوْجُودٍ في الثّواني .

وذَكَرُوا أنّ فَيْضَ العُقولِ الْمُجَرّدة انْقطَعَ عندَ العَقْل الفَعّال ؛ فلَيْسَ بعدَ مَرْتَبتهِ إلاّ مَرْتَبةُ النّفْسِ النّاطِقَة ؛ وإنّما وجَبَ أن يَنْقَطِعَ فَيْضُ العُقُولِ الْمُجَرّدة عِنْدَهُ لأنّهُ اجْتَمعَتْ فيه قوى العُقولِ التّسْعَة كُلّها ، فصارَ مَبْدأً لِمَا دُونَهُ من الْمَوْجوداتِ كما اجْتَمعت قُوَى الآحادِ التّسْعَة من العَدَدِ في العَشْرة ، فَصارَت بِذلكَ مَبْدأً لِمَا عَداها مِنَ العَشَرات .

ولِذلكَ جَعَلُوا هذا العَقْلَ الْمُجَرّد عن المادّةِ في مَرْتَبةِ العَشْرة [من العَدد][٢٢] . ألا تَرى أنّ العَشْرةَ في مَرْتَبة الواحِد ، والعِشْرين في مَرْتَبة الاثْنَيْن ، والثّلاثين في مَرْتَبة الثّلاثة حتّى تَصيرَ التّسْعُون في مَرْتَبة التّسْعَة ، فَيَنْتَهي وُجودُ العَشراتِ في التّسْعين ، وتَصيرُ المِئَةُ في مَرْتَبةِ الواحِد .

---

(٢١) في ط : فبمرتبه يلحق .

(٢٢) مابين معقوفتين مستدرك من : ط .

وسَنَزِيدُ هذا بياناً عِندَ ذِكْرِنا دَوائِرَ العَددِ الوَهْمِيَّة ؛ إن شاءَ اللهُ تَعالى .

[٤] ثم تَلِي مرتبةَ العَقْلِ الفَعَّال في الوُجود مَرْتَبةُ النَّفْس ، وهي مُوافِقَةٌ للعُقولِ المُجَرَّدةِ من المادَّة[٢٣] في أنّها لَيسَتْ بِجسْمٍ ، كما أنَّ تلكَ لَيْسَت أجْساماً ؛ وهي مُخالِفَةٌ لَها في أنّها تُوْجَدُ مع الجِسْمِ وتَقْتَرِنُ به[٢٤] ، فأكْسَبَها ذلكَ كَدَراً وظُلْمَةً ؛ ولذلكَ صارَت نَفْسُ الإنْسانِ تَجْهَلُ ذاتَها ، ولا تَراها حَتّى تَسْتَضيءَ بنورِ العَقْل .

وهي ـ في ذلك ـ بِمَنزِلة رَجُلٍ حَصَل في ظُلْمَةٍ ، فهو لا يَرى جِسْمَهُ ولا غَيْرَهُ ، فإذا أضاءَ له الجَوُّ ، وسَرى في عَيْنيهِ نُوْرُ الشَّمْس رَأى حِينئذٍ جَسَدَهُ وما حَوْلَهُ من الجُسْمان ؛ كَذلكَ النَّفْسُ تَمْنَعُها ظُلْمَةُ الجَهْلِ من رُؤيةِ ذَاتِها ، ورُؤيةِ الصُّوَر العَقْلِيّةِ المُجَرَّدة . فإذا أفاضَ العَقْلُ نُوْرَهُ رَأَتْ ذاتَها وغَيْرَها من المَعْقولات .

ولَها مَراتبُ كثيرةٌ كما كانَ لِلعُقولِ المُجَرَّدةِ المَذْكُورة مَراتِب . فَمِن الحُكَماء مَنْ رأى أنَّ مَراتِبَها اثْنَتا عَشْرة[٢٥] : تِسعٌ للأفْلاكِ ، وثَلاثٌ لِمَا تَحْتَ فَلَكِ القَمَر ؛ وهي :

---

(٢٣) في ط : المجرّدة عن المادّة .

(٢٤) في ط : وتقرن به .

(٢٥) في ط : منْ رأى مراتبها اثْنَتَيْ عشرة .

النَّفْسُ النَّباتيّةُ ؛
والنَّفْسُ الحيَوانيّةُ ،
والنَّفْسُ الناطقةُ .

ومِنْهم مَنْ جعَلَها خمْسَ عَشْرَة مَرْتَبةً : تِسْعٌ للأفْلاكِ ، وخَمْسٌ لِمَا تَحْتَ فَلَكِ القَمَر ؛ وهي :

النَّفْسُ النَّباتيَّة ؛ وهي أدْنَاها مَرْتبةً ؛
وفوقَها : النفس الحيوانيّة ؛
وفوقها : النَّفْسُ النَّاطِقَةُ ؛
وفوقَها : النَّفْسُ الفَلْسَفِيَّة ؛
وفَوْقَها : النَّفْسُ النُّبَويّة .

فهذه[٢٦] أرْبَع عشرةَ مَرْتَبةً ، والخَامِسَة عَشْرَة مَرْتَبَةُ النفس الكُلّيـة . ونحن نذكرُ خَواصَّ كُلِّ واحِدَةٍ مِن هذه النُّفوسِ وفصُولَها لِيَتبيَّنَ[٢٧] صِحَّةُ هذا التَّقْسِيم إذا فَرَغْنا من هذا البابِ إنْ شَاءَ اللهُ تَعالى .

ونَرْجِعُ إلى ما كُنّا فِيْهِ من مَراتِبِ المَوْجُوداتِ فَنقُول : إنَّ الَّذِي يَلِي مَرْتَبةَ النَّفْسِ[٢٨] في الوُجودِ مَرْتَبَةُ الصُّورةِ ، ثم يَلِي مَرْتَبة الصُّورةِ مَرْتَبَةُ

---

(٢٦) في ط : فهي أربع عشرة .
(٢٧) في طق : لتتبيّن . وفي بلاثيوس : ليبيّن .
(٢٨) قوله (النفس في) سقط من : ط .

الجَوْهَرِ الحامِلِ للصُّورة .] وإنَّما جُعِلَتْ مَرْتَبة الصُّورة قَبْلَ مَرْتَبةِ الجَوْهر الحَامِلِ للصُّورَةِ][29] بوجهين[30] :

أحَدُهما : أنَّا بَدأنا[31] من أعْلى مَراتِبِ المَوْجُودات مُنْحَدِرينَ إلى أدْنَاها ، فكانَتِ الصُّورةَ عَلى هذا التّرتيب قَبْلَ الجَوْهَرِ الحامِلِ لَها . ولو بَدَأنا مِنْ أدْنى مَراتِب[32] المَوْجُوداتِ مَتَصاعِديْنَ إلى أعْلاَها لَكانَ الجَوْهَرُ[33] الحامِلُ للصُّورةِ قَبْلَ الصُّورة فِي الرُّتْبَة[34] .

وهذا الجَوْهَرُ[35] الحامِلُ للصُّورَةِ صِنْفَانِ :

أرْفَعُها الجَوْهَرُ الّذي يَحْمِلُ [صُورَةَ الأفْلاكِ ومَا فِيْها ، وأدْنَاها الجَوْهَرُ الَّذي][36] يَحْمِلُ الصُّورةَ الّتي تَحْتَ فَلَكِ القَمَرِ . وهذا [٥] الجَوْهَرُ[37] الحامِلُ لِصُورَةِ المَوْجُودات الّتي دونَ فَلَكِ القَمرِ يُسَمُّونَهُ الهَيُولى وإنَّما فُصِلَ هذا الجَوْهَرُ مِن الجَوْهَرِ الحامِلِ لِصُورَةِ الأفْلاكِ وما فيها من

---

(٢٩) سقط من : خ ، واستدركناه من : ط .

(٣٠) في ط : لوجهين .

(٣١) في ط : لأن ابتداءنا .

(٣٢) كلمة (مراتب) سقطت من ط .

(٣٣) في ط : الجوهر الذي هو الحامل .

(٣٤) في ط : في المرتبة .

(٣٥) في ط : ولهذا الجوهر .

(٣٦) ما بين معقوفتين مستدرك من : ط .

(٣٧) في ط : فهذا الجوهر .

الكواكِبِ ، وإن كانَـا قَـد اتَّفَقـا في أنَّ كُـلَّ واحِـدٍ مِنْهُمَـا جـوهَرٌ حـامِـلٌ للصّور ؛ لأنَّ صُوَرَ الأفلاكِ[٣٨] والكَواكب ثـابتَـةٌ في مَوْضُوعـاتِهـا ؛ وهـذا الجَوْهَرُ الآخَرُ صُورةٌ غيرُ ثابتَة ، لأنَّهُ يَلْبَسُ الصُّورة تارةً وَيَخْلَعُهَا تـارَةً : فهو مُستَحِيْلٌ مُتَغَيِّرٌ بجُمْلَتِه . وذلكَ إنّما يَتَغَيَّرُ ويستحيلُ بالمكانِ ومَا فيـه من اخْتِلاَفِ[٣٩] النّسَب .

وهـذه الهَيُولى[٤٠] عِنْـدَهُم أخَـطُّ المَوجُـوداتِ وأنْقَصُهـا مَرْتَبـةً . ومنْهـا [تَبْدَأ][٤١] المَوْجُوداتُ الطَّبِيْعِيَّةُ بالتّرقي صـاعِـدَةً نحو أعْلَى مَراتِبهـا بعكسِ حالِهَا حين انْحَـدرتْ إلى أدْنى مراتِبهـا . وإنَّما يكون[٤٢] ذلـكَ لِـدَوَران[٤٣] الأفلاكِ حَـوْلَهـا ولِبَـاسِهَـا للصُّوَرِ الّتي كانتْ فِيهـا بـالقُـوّة ، ثم تَخْرُجُ بِدَوَرَانِ[٤٤] الأفْلاكِ إلى الفِعْلِ كَما شاءَ بارِئُها ـ لاإلَهَ إلاَّ هُو ـ .

فـأوّلُ صُـورةٍ لَبِسَتْهـا الهَيُـولى صُـوَرُ[٤٥] الأرْكانِ الأرْبَعـةِ الّتي هي :

---

(٣٨) في ط : حامل للصورة : لأنّ صورة الأفلاك .

(٣٩) في ط : من الاختلاف اختلاف النّسب .

(٤٠) في بالاثيوس : وهذا الهَيُولى : وصوَّبها في : طبعة مصر .

(٤١) سقطت الكلمة من : خ .

(٤٢) في ط : وإنّما كان ذلك ... وإلباسها للصورة .

(٤٣) في خ : كدوران .

(٤٤) في بالاثيوس: لدوران .

(٤٥) في ط : صور الأركان .

الأَرْضُ ، والمَاءُ ، والهَواءُ ، والنّار : فكانَ[٤٦] ذلكَ أوَّلَ كمالٍ لَحِقَها . ثم لَبِسَتْ صُوَرَ المَعادنِ بوساطةِ[٤٧] صُوَرِ الأركانِ ، ثم صُوَرَ[٤٨] النَّباتِ بوساطةِ صُوَرِ المَعادنِ وصُوَرِ الأركانِ ؛ ثم صُورَ الحيَوان غيرِ النّاطِق بوساطةِ صُوَرِ النَّباتِ ، وصورَ المَعادنِ وصُوَرَ الأركانِ : ثم صُورةَ الإنسانِ الّذي هو حَيوانٌ ناطِقٌ بتوسُّطِ صُوَرِ الحَيوان غيْرِ النّاطِق ، وصُوَرِ النَّباتِ ، وصُوَرِ المَعادِنِ وصُوَرِ الأَرْكان .

فكانَتْ صُوْرَةُ الإنسانِ أكْمَلَ الصُّوَرِ الطبيعيّة ، ولا مَرْتَبَةَ بَعْدَها إلاّ أن يَتَجَوْهَر الإنْسَانُ بالمَعارِفِ ، فَيلْحَقَ[٤٩] بمَرْتَبةِ المَعْقولاتِ المُجَرَّدةِ من الهَيُولى ، والمادّة الشَّبيهة بالهَيُولى ؛ أَعْني مَوْضوعَ صُوَرِ الأفْلاكِ وما فيْها . فإذا حَصَلَ بالتَّجَوْهُر في مَرْتَبةِ المَعْقولاتِ حَصَل في المَرْتبةِ التي مِنْها انْحَطّت النَّفْسُ النّاطِقةُ إلى الأجْرامِ وهي مَرْتَبَةُ العَقْلِ الفعّال : فَصارَتِ المَوجُوداتُ بهذا الاعتبارِ كدائرةٍ اسْتَدارتْ حَتّى الْتَقى طَرَفاها ، وصارَ الإنسانُ آخِرَ الدّائرَةِ الّذي يَرْجِعُ عَلى أوّلِها . إلاّ أنّ الإنْسانَ عِنْدَهُم لا يَلْحَقُ عِنْدَ تَجَوْهُرِه بأوّل الثّواني الّذي هُوَ أعْلاها مَرْتَبةً ، وإنّما أقصى كَمالِه أنْ يَلْحقَ بالمَرْتَبةِ العاشِرَة ، وهي مَرْتَبَةُ العَقْلِ الفَعّال .

---

(٤٦) في ط : وكان .

(٤٧) في ط : بواسطة (في الفقرة كلّها) .

(٤٨) في ط : ثم لبست صور المعادن ... ثم صور النّبات .. ثم صور الحيوان .

(٤٩) في ط : فيلتحق .

فَهذا مَـذْهَبُ أرسطـاطـاليس[٥٠] وأفلاطون[٥١] وسُقراط[٥٢] وغيرهم من

(٥٠) أرسطو طـاليس يلقّب بـالمعلم الأوّل ، وبصاحب المنطـق ؛ أعظم الفـلاسفـة وأبعـدهم صيتـاً . ولـد سنـة ٣٨٤ ق . م لأب طبيب مشهور ؛ وتتلمـذ لأفلاطـون إلى وفـاتـه . وتولّى تربية الاسكندر المقدوني مدّة من حياته . وفتح في أثينـا مـدرسـة بـالقرب من معبد أبولون اللوقيوني فعرفت باسم اللّوقيون ونـافست أكاديميـة أفلاطون التي كان على رأسهـا أكسينوقراط : فـدرس فيهـا ١٢ سنـة . ولمـا مـات الاسكنـدر سنـة ٣٢٣ انتقل أرسطـو إلى بلـدة والـدتـه خلقيس ، وكانت وفـاتـه سنـة ٣٢٢ ق . عن اثنتين وستين سنة . ولأرسطو مؤلفات كثيرة شهيرة في المنطق والطبيعـة ، والميتـافيزيقـا والأخلاق والشعر (راجع مقـالـة أرسطو في موسـوعـة الفلسفـة ١ : ٩٨ ـ ١٣٢) وقـال د. بـدوي ص ١٠٤ « .. وهكذا ينتهي أرسطو إلى التوحيد » بعد عَرْضٍ مطوّل لآرائه .

(٥١) أفلاطـون : فيلسوف يونـاني مشهور ولـد سنـة ٤٢٨ ق . م تتلمـذ على سقراط . وقـام برحلات خارج اليونان ، ونزل صقلية مدّة . وعاد إلى أثينا بعد ظروف صعبـة ٣٨٧ ـ ٣٨٨ ق . م وأنشـأ الأكادميـة (بـالقرب من ضريـح أكاديمـوس) ومن هنـا سمّيت الأكاديميّة ، فكانت أول جامعة علمية في أوربة : ودرّست فيهـا العلوم المختلفـة . وكان لأفلاطون محاورات (وصلت إلينـا) ودروس ألقـاهـا على الطلبـة (لم تصل) وأعظم تلامذته أرسطو طاليس الذي التحق بالأكاديمية سنة ٣٦٧

ورحل أفلاطون إلى صقلية رحلتين أُخْرَيين ٣٦٧ و ٣٦١ وعـاد ٣٦٠ إلى أثينـا . ومـات سنة ٣٤٧ ق . م) قـال د. بـدوي في موسوعـة الفلسفـة ١ : ١٥٦ « وقـد نسب إليـه في العربية كتب ورسـائل عـديـدة غير (المحـاورات) اليونـانيـة ؛ ومن المقطوع بـه أنهـا منحولة إلى أفلاطون ... » .

(٥٢) سقراط فيلسوف يونـاني مشهور ولـد نحو ٤٧٠ ق . م في أثينـا ، تتلمـذ لـه أفـلاطـون وكثير غيره من مشهوري عصره . « ولم يؤلف سقراط كتـابـاً ولا ترك أثراً مكتـوبـاً » وعُرفت آراؤه من كتـابـات أكسينوفـون وأفلاطـون وأرسطـو . وأخـذت على سقراط مآخذ ، وحوكم سنة ٣٩٩ ق . م وحكم عليه بأنه يتناول السُّمّ فمات على هذا الوجه .
ـ قال د. بدوي إنهم حاكوه وقتلوه لأنه : جلب على نفسـه عداوة عامـة القوم لِمَا دأب =

مَشاهير الفَلاسِفَة وزُعَمائهم القائلين بالتَّوْحيد .

وأمَّا فلاسِفَةُ المَجُوس(☆) فزَعَمُوا أنَّ العُقولَ المُفارِقَةَ [٦] لِلمـادَّة يَتَرَقَّى بَعْضُها إلى مرتبـة بعض(٥٣) حتَّى يصيرَ أعْلاها في مَرْتَبَـةِ البـارئ عَزَّ وجَلَّ ـ تعـالى اللهُ عمّـا يقولُ الجـاهِلُوْنَ عُلُوّاً كبيراً ـ وهـذا القولُ كُفْرٌ مَحْضٌ(٥٤) عند أرْسطا طاليس وجميعِ مَنْ ذكرناهُ : لأنّـه يوجِبُ اسْتِحـالَـة البـارئ ، تَعالى عَنْ قَوْلِهم .

فإنْ قالَ قـائلٌ : فكَيْفَ صـارَ كالـدَّائرةِ ؟ وإنَّما لَحِقَ(٥٥) بمرتَبـةِ العَقْلِ الفَعّال على رَأيِ أرِسْطُو : وهي المرتَبةُ العـاشِرة ، وإنمـا كانَ حُكْمُـهُ إذا كانَ كالدَّائرة أنْ يَرْجِعَ إلى الثّاني(٥٦) الّذي هُو أوّلُ موجودٍ بَدَأ منهُ الفَيْض ؟

فَالجوابُ عن هذا مِنْ وجْهين :

أحَدهما : أنَّ العقْلَ الفَعّال(٥٧) هو في المَرْتَبَـةِ العـاشرةِ عنـدهم ، وهو(٥٧)

= عليه من بيان جهلهم ، وعلاقته بألقبيارس الذي صار ديكتـاتوراً وبـأقريطس الـذي أخضع أثينا لحكم الديماغوجيـة أي حكم العـامّـة ؛ ومـا أشـاعـه أرسطوفـانس وأبرزه في مسرحية (السُّحب) من أن سقراط لم يكن يؤمن بالعقائد الشعبية .

(☆) في ط : الفلاسفة المَجُوس . والفلاسفة المجُوس : الدهريّة ، كما فسرّهـا الـدكتور فرُّوخ (انظر مقدّمات هذا الكتاب) .

(٥٣) في ط : تترقّى أيضاً بعضها إلى مرتبة بعض .

(٥٤) في ط : كفر بحت .

(٥٥) في ط : وإنما نحن .

(٥٦) في ط : إلى الباري تعالى .

(٥٧ـ٥٧) مابين هذين الرقمين سقط من : ط .

آخِرُ المَعْقُولات المُفَارِقَةِ عنـد انحدارِ الوجودِ ؛ وهـو أوّلُهَـا عنـد تَصـاعُـدِ الأشْيَـاء ؛ فـإذَا بلغَ العَقْلُ الإنسـانِيُّ تلـكَ المَرْتَبَـة كانَ بمنزلـةِ رُجوعِ أحـدِ طَرفَي الدّائرةِ على الآخَرِ[٥٨] .

والوَجْهُ الثّاني :

أنّ العقْلَ الإنسـانِيّ ليسَ مَبْـدَؤُهُ مِنَ الثّواني عنـدهُم ؛ إنّما مَبْـدَؤُه مِنَ العَقْلِ الفَعّال ، فإذَا عادَ إليه كانَ بمَنزلة الدّائرَة .

وقَد وجَبَ عَلَيْنا أنْ نَصِلَ بِهذا البـابِ ذِكْرَ خَواصّ النُّفوسِ الخَمْسِ التي قَدّمْنا ذِكْرَها لِيتبَيّنَ الفَرْقُ بَيْنَها إذْ كانَت الخاصّيّة[٥٩] قد تَقُومُ مَقَامَ الفَصْلِ الجَوهريّ فيما يَتعَذّرُ تَحْديدُه[٦٠] .

خَوَاصُّ النَّفْسِ النّباتِيّة
وتُسَمّى الشّهوانِيّة

خواصُّ هذِه النَّفْسِ النّزاعُ[٦١] إلى الغِذاء وطَلَبِه ، والالْتذاذُ بوجودِه إذا وجَدَتْهُ ، والاستِضْرارُ بفَقْدِه إذا فَقَدتْهُ ، واستِدْعـاءُ المُوافقِ مِنَ الأَغْـذِيَـةِ ، ودَفْعُ المُخالِف ، وحِفْظُ الشّيء بشخصِه ونَوْعِه .

---

(٥٨) في ط : إلى الآخرة .

(٥٩) في ط : الخاصّة .

(٦٠) في ط : فما تتعدى سدده .

(٦١) في ط : النّزوع .

أمّا حِفْظُ شَخْصِهِ فإنَّهُ يكُونُ بالغِذَاء ؛ وأمّا حِفْظُ نَوْعِه فبالتَّوْلِيد . ويُسَمَّى هذا الحِفْظُ : التَّقْوِيمَ الطَّبِيعيّ ؛ ولها الهياكِلُ غيرُ اللَّحْمِيَّة ، والأَعْضاءُ المُتَشابِهَةُ [الأَجْزاء][٦٢] ولها سَبْعُ[٦٣] قوىً :

جاذِبَةٌ ؛

ومُمْسِكَةٌ ؛

وهاضِمَةٌ ؛

ومُغَذِّيَةٌ[٦٤] ؛

ودافِعَةٌ ؛

ومُنَمِّيَةٌ ؛

ومُصَوِّرة .

ولَها مِنَ الشُّعورِ والإحساسِ تَمييزُ الجِهاتِ السّتّ ، وإرْسالُ العُروقِ نَحْوَ المَواضِع النَّدِيَّة ، وتَوْجِيهُ الفُروعِ والأَغْصانِ[٦٥] نَحْوَ المواضِعِ المُتَّسِعَة[٦٦] ، والانْحِرافُ عن المَواضِعِ الضَّيِّقة .

---

(٦٢) الكلمة من : ط .

(٦٣) في ط : ولها من القوى : جاذبة وممسكة ... الخ .

(٦٤) في ط : ودافعة وغاذية ... الخ

(٦٥) في ط : والأغصاب .

(٦٦) في ط : المنبعثة .

خَواصُّ النَّفْسِ الحَيوانِيَّة

وتُسَمَّى الغَضَبِيَّة

خَــواصُّ هــذهِ النَّفْسِ شَهْــوةُ النِّكاحِ ، وشَهْــوَةُ الانْتِقــامِ ، وشَهْــوَةُ الرِّياسَةِ ، [٧] والغَلَبة . ولها الهياكِلُ اللحميّةُ والـدَّمَوِيَّـة . وقـد يُوْجَـدُ مِنْ هَيـاكِلها مَـالا دَمَ لـه . ولَهـا الأَعْضَـاءُ الآلِيَّـةُ ، والحَرَكَـةُ الإرادِيَّـةُ الاختياريّةُ ، ولَها الحَواسُّ الخَمْسُ .

ومنها ما يَنْقصُه بَعْضُ الحَواسِّ .

ولها اللَّذَّة والأَلَمُ .

ويُوْجَدُ[٦٧] لِبَعْضِهَا التَّخَيُّلُ والوَهْم .

خَواصُّ النَّفْسِ الإنْسانِيَّة

وهيَ النَّاطِقَة[٦٨]

خَواصُّ هذه النَّفْسِ : الرَّوِيَّةُ[٦٩] ، والفِكر ، ومَحَبَّـةُ العِلْمِ والمَعْرِفـة ، ولها الهَياكِلُ المُنْتَصِبَةُ ، والعَمَلُ باليَدَيْن[٧٠] .

---

(٦٧) في ط : فيوجد .

(٦٨) في ط : وتسمّى الناطقة .

(٦٩) في ط : الرُّؤية .

(٧٠) في ط : بالقدر .

خَوَاصُّ النَّفْسِ الحِكَمِيَّةِ الفَلْسَفِيَّة

خَواصُّ هـذِه النَّفْسِ مَحَبَّـةُ العُلُومِ النَّظَرِيَّةِ[٧١] التي لا يُرَادُ منهـا أكْثَرُ من الوقـوفِ على حَقـائِقِها فقـط ، والحِرْصُ عَلى مَعْرِفَـةِ أسْبـاب الأشيـاء وعِلَلِهَـا ، والاستِـدْلال بِظَواهر الأُمور[٧٢] على بَـواطِنهـا ، ومَعْرِفَـةُ مراتب المَوْجُودات في الـوُجـود ، وكَيْفَ انبعثَتْ عن البـارئ عَـزَّ وجَـلَّ ، وكيف انْبَعثَ[٧٣] بَعْضُهـا من بَعْض بِما سَرى[٧٤] فِيهـا مِنْ وحـدانِيَّـةِ الله تَعـالى التي حصَلَتْ لكلّ موجودٍ ذاتٌ يَنْفَصِلُ بها من ذَاتِ مَوْجُودٍ آخَر .

وبهـا يكونُ وُجودُ الصُّوَرِ في الهَيُولى ، وَفي المَوْضُوع الشَّبِيْـهِ بـالهَيُولى ، وهو الجَوْهَرُ الحـامِلُ[٧٥] لِصُوَرِ الأفْلاكِ والكـواكبِ . وهـل العـالَمُ قـديمٌ أو مُحْدَثٌ ؟ وما الفَرْقُ بينَ الأَزَلِيّ والمُحْدَث ؟

وما الفَرْقُ بين الأَزَلِيّ المُطْلَقِ ، والأَزَلِيّ المُضَاف ؟

وما الفَرْقُ بَيْن المُبْدَعِ والمُكَوَّن ؟

وكَيْفَ صارَ المُبْدَعُ واسِطَةً بَيْنَ الأَزَلِيّ والمُكَوَّن ؟

---

(٧١) في ط : العلوم الفلسفيّة .

(٧٢) في ط : بظواهر الصور .

(٧٣) في خ : انبعثت .

(٧٤) في ط : بعضها عن بعض لما سرى فيها وحْدانيّة من الله تعالى حصل لكلّ موجودٍ ذاتٌ ينفصل بها من ذاتِ موجودٍ آخر .

(٧٥) في ط : الحاصِلُ .

وهل خالِقُ العالَمِ واحِدٌ أو أَكْثَرُ مِنْ واحِد ؟

وإقامَةُ البَراهين على أَنَّهُ لا يَصِحُّ أَنْ يكونَ إلاّ واحداً لا يُشْبِهُ شيئاً ولا يُشبههُ شيء .

وما الحِكْمَةُ في وُجُودِ الأَشياء عَلى ماهِيَ عَلَيْه ؟

وما المكَوَّنُ منها وما المُبْدَعُ ؟

وما الفَرْقُ بين الفاعِل على الحَقِيْقَةِ والفاعِلِ عَلى المَجاز ، والفَاعل المُطْلَق[٧٦] [وما الحِكْمَةُ][٧٧] في دَورانِ الأَفْلاكِ حَرَكَةً مُسْتَديْرَةً غَيْرَ مُسْتَقِيمة ؟

ومَا الواجِبُ ، وما المُمْكِنُ[٧٨] ، وما المُمْتَنِعُ ؟

وكَيْفَ صارَ مافَوْقَ الأَرْبَعَةِ الأَرْكَانِ من حَيِّزِ الوَاجِب وما تَحْتَ الأَرْكانِ[٧٩] من حَيِّزِ المُمكن ؟

وما المَوجُوداتُ الَّتي أُوْتِيَتْ كَمالَها في جَواهِرِها وأَفْعالِهَا ؟

وما المَوجُوداتُ الَّتِي لم تُؤْتَ كَمالَها لا في جَواهِرِها ، ولا في أَفْعَالِها ، فَهُما طَرفان ؟

---

(٧٦) في ط : والفاعل على الإطلاق .

(٧٧) مابين معقوفتين مستدرك من : ط .

(٧٨) في ط : وما الواجب ، والممكن ، وما الممتنع .

(٧٩) في ط : وما تحت الأفلاك .

ومـا المَوجُودات[٨٠] التي أُوْتِيَتْ كَمالَها في جَواهِرها ولم تُؤْتَ كمالَها في أفْعالها [٨] فصارَتْ مُتوسّطةً بينَ الطَّرَفين ؟

ولِمَ سَكَنَ الصِّنْفُ الأوَّلُ فلم تكُنْ لَهُ حَرَكَةٌ[٨١] ، وتَحَرَّكَ الصِّنْفَانِ الآخَران ؟

ومـا الحِكْمَـةُ في وُجُودِ النَّواميسِ[٨٢] والنُّبُوّاتِ في عالَمِ الكَوْنِ والفَساد ؟

وما الفَرْقُ بَيْنَ النُّبُوَّةِ والسِّحْرِ ؟ والكَهانَةِ والفَلْسَفَةِ ؟

وكَيْفَ تفيضُ قُوَّةُ الوَحْيِ على الأنْبياء ؟

وما الفَرْقُ بَيْنَ الإنسانِ الَّذي يُوْحى إلَيْه والَّذيْ لا يُوْحى إلَيْهِ ؟

ولِمَ صَارَ الإنْسانُ مَأموراً مَنْهيّاً دونَ غَيْرِه ؟

وَلِمَ سُمّيَ عالَماً صَغيْراً ، وسُمّيَ العَالَمُ إنْساناً كَبِيراً[٨٣] ؟

وما السِّياسَةُ ؟ وكَمْ أنْواعُها ؟

فَهذِهِ الأُمورُ كُلُّها : مِنْ خَاصّةِ النَّفْسِ الفَلْسَفِيّةِ [أنْ تَعْرِفَها :

---

(٨٠) في ط : والموجودات .

(٨١) في ط : « ولِمَ لم يكن للنصف الأول حركة . ويتحرك النصف الآخر ؟ » وفي حاشية (مـط) يعني بـالنصف الأول : مـافوق العقـل الفعـال ، وبـالثـاني : مـادون العقـل الفعّال .

(٨٢) في ط : وما الحكمة في النواميس .

(٨٣) في ط : ولم يُسَمّى ... ويُسَمّى .

بَعْضُها][84] على جِهَـةِ التَّصَوُّر ، وبَعْضُهـا على جِهَـةِ التَّصْـدِيق[85] من غير تَصَوُّر ؛ ولكنْ لَيْسَت كُلُّ نَفْسٍ تتعاطى الفَلْسَفَةَ يَتَهَيّأُ لها أَنْ تَعْرِفَ ذلـكَ كُلَّه ، ولكنْ تَعْرِفُ بَعْضَهُ .

وإنّما تَتَهيّـأُ مَعْرِفَـةُ هـذِه الأُمـورِ عَلى كَمالِهـا للنَّفْسِ الّتي اتَّفـقَ لَهـا في فِطْرَتِهَا وكَوْنِهَا أَنْ فُطِرَتْ وفيها[86] استِعْدادٌ لِقَبُولِ ذلك ، وكانتْ هـاجِرَةً لِلَّـذاتِ مُميتَـةً للشَّهـوَاتِ ، زاهِـدَةً في الـدِّينـارِ والـدِّرْهم ، مُحِبَّـةً للخَيْرِ وأَهْلِه ، مُبغضةً للشَّرّ وأَهْلِه ، مُرْتَبِطَةً بـالنَّواميس ، مُكْتَسِبَـةً للفَضـائِل ، مُطَّرِحَةً لِلرَّذائِل ، قد اجتمعَ لها العِلْمُ والعَمل ؛

فَهـذا هُـو الفَيْلَسُـوفُ الحَـقُّ عنـد أَرِسْطُـو[87] ، وأَفْـلاطُـون ، وزُعَماء الفَلاسِفة .

ومَنْ لَم[88] يكُنْ عِنْدَهُم بهذه الصِّفَـةِ فَلَيْسَ بِفَيْلَسُوفٍ ؛ ولِـذلـكَ قـال أَرِسْطُـو[89] : لَيْسَ الغَرَضُ أَنْ تَعْلَمَ فَقـط ، وإنّما[90] الغَرَضُ أَنْ تَعْلَمَ وتَعْمَلَ ، وتَكُونُوا أَخْياراً فُضَلاءَ مُرْتَبِطينَ بالنَّوامِيس .

---

(84) مابين معقوفتين مستدرك : من ط .

(85) في ط : التّحقيق .

(86) سقط من ط عبارة : أن فُطِرَتْ وفيها .

(87) في ط : أرسطا طاليس

(88) في ط : فمن لم ..

(89) في ط : أرسطاطاليس

(90) في ط : إنّما .

وقال : اقْتُلُوا مَنْ لا دِيْنَ له .

وقال أَفْلاَطُون : من أرادَ قراءَةَ الفَلْسَفَةِ فَلْيُطَهِّرْ أَخْلاَقَـهُ من الرَّذائِل ؛ فإِنَّهُ لا يَتَعَلَّم الفَلْسَفَـةَ الطَّـاهِرَةَ من كانَ نَجِسـاً : كما لا يُمْكِنُ أحـدٌ[٩١] أن يَرى وجهه في ماءٍ كَدِر ، ومِرْآةٍ صَدِئَة .

خَواصُّ النَّفْسِ النَّبَوِيَّة

خواصُّ هذه النَّفْسِ الشَّرِيفة تَلَقِّي الوَحْيِ والإِلْهَام ، والاتِّصَالُ بالعَقْلِ الفَعَّـال ، وتقويمُ سَـائِرِ النُّفوسِ الْمُنْحَرِفَـةِ عَنِ الحَـقّ ، وتَسْـدِيـدُ الإنسـانِ حَتّى يَفْعَل ما يَنْبَغِي ، على الوَجْهِ الَّـذي يَنْبَغِي مِنَ الوَجْـهِ الَّـذي يَنْبَغِي مِنْ أَجْـلِ مـا يَنْبَغِي ، في الـوَقْتِ الـذي يَنْبَغِي ؛ وإِكْمال الفِطَرِ النَّـاقِصَـة بِـوَضْـعِ السُّنَنِ والـوَعْـظِ والتَّـذكِيرَ ، والتَّرغِيب والتَّرْهِيب ، والإِخبـار بالأَشياء التي لَيْسَتْ في قُوَّةِ النَّفْسِ [٩] الفَلْسَفِيَّة أَنْ تَعْلَمَها ؛ لأَنَّ النَّفْسَ الفَلْسَفِيَّةَ إِنَّما تَتَعاطى النَّظَرَ فِي الكُلِّيَاتِ خَاصَّة ؛ ولذلكَ قالَ أَفْلاطون :

نَحْنُ عـاجِزُون عَنْ فَهْمِ مـا جَـاءَتْ بِـهِ الشَّرائِـعُ . وإِنَّما نَعْلَمُ من ذلـك يَسِيْراً ، ونَجْهَلُ كثيراً . ولِذلكَ كانَ أَرِسْطَو يَأْمُرنَا بالتَّسْلِيم لِمَا جاءَتْ بِـهِ الشَّرائِـعُ ، ويَـأْمُرنَـا بِتَـأديبِ مَنْ تَعَرَّضَ لِتَعْلِيـلِ[٩٢] أَوَامِرهـا ونَـواهِيْهـا وتَعاطِي الخَوْضِ فيها .

---

(٩١) في خ : أحداً .

(٩٢) في ط : كان أرسطو يأمر بالتسليم لما جاءت به الشرائع ، ويأمر بالتأديب لمن تَعَرَّض لتعليل أوامرها ..

وهـذِه النَّفْسُ أشْرَفُ النُّفوسِ التي في عـالَمِ الأَركان ، وأَعلاهـا ، وهي السّائسةُ المدبّرةُ لسياسَةِ النُّفوس ؛ ولا يَتَّفِقُ أن تُوْجَدَ هذه النَّفْسُ الشريفـة إلاّ في ذَوي الفِطَرِ الكامِلَة .

وهذِه النَّفْسُ لاتَحْتاجُ إلى اكْتِسـابِ الْمَعـارِفِ والعُلُومِ بـالمقـاييسِ[٩٣] والْمُقَدِّمـات كما تحتـاجُ النفسُ الفَلْسَفِيّـةُ ؛ لأنّ الْمَقـاييْسَ العِلميّـةَ إنّما هِيَ قوانينُ وضَعَها ذوو الفِطَرِ الكاملة تَسْديداً وتَقْوِيماً لِذَوِي الفِطَرِ النّاقِصَة .

فَإِذا اتَّفَقَ للإِنْسانِ فِي أَصْلِ مَوْلِدِهِ أَنْ يُعْطى فِطْرَة كامِلَةً استَغْنى عن تلكَ المقاييس ووجَدَ الأُمورَ العَقْلِيّةَ كأَنّها مُصَوَّرةٌ في نَفْسِه .

وكَما أَنّا نَجِدُ فِي الفِطَرِ[٩٤] الإنسانيّة فِطَراً في نِهَايةِ النَّقْصِ قَرِيبةً من فِطَرِ البَهائمِ كذلكَ[٩٥] لا مَحالةَ أَنْ نَجدَ فيها فِطَراً في نهايـةِ الكَمالِ قريبـةً مِن فِطَرِ الْمَـلائِكَـةِ ؛ فتكـونُ هـذه الفِطَرُ[٩٤] لاتَحْتـاجُ [إلى تَقْـوِيمٍ بالْمَقاييس العلميّةِ كما لاتَحْتاجُ الْمَلائكةُ][٩٦] بَلْ يكفيها أَقَلُّ إِشـارَة وأَيْسَرُ عبارة ، ويكونُ اللهُ ـ تَبارَكَ وتَعـالى ـ قـد أكْمَل هـذِه الفِطَرَ[٩٤] في أَصْلِ خِلْقَتِها لِتَسُوسَ[٩٧] العَالَم بِوَساطَتِهَا .

---

(٩٣) في ط : وهذه النفس لاتحتاج في اكتساب المعارف والعلوم إلى المقاييس ، كما تحتـاجُه النفوس الفلسفيّة .

(٩٤) في ط : في الفِطرة .

(٩٥) في ط : فكذلك .

(٩٦) مابين معقوفتين من : ط .

(٩٧) في : ط : ليسوس العالم بواسطتها .

وهذا يُوجِبُ أنْ تَكُونَ النُّبُوَّةُ إلهاماً لا اكْتساباً .

خَوَاصُّ النَّفْسِ الكُلِّيَّةِ[٩٨]

مَرْتَبَةُ هذه النَّفسِ الكُلِّيةِ[٩٩] عند مَنْ أثْبتَها مِنَ الفلاسِفَةِ تَحْتَ أُفُقِ العَقْلِ الفعَّالِ ؛ والعَقْلُ مُحِيطٌ بِهَا من جَميعِ جِهاتِها ؛ وهي مُحِيْطَةٌ بِكُرَةِ الأَفْلاكِ .

ولَها ـ فيما زَعَمُوا ـ دائِرتانِ ، وخَطٌّ مُسْتَقِيم ؛

فالدَّائرةُ الأُولى مُتَّصِلَةٌ بالفَلَكِ الْمُحِيط ، وهو طَرَفُها الأعلى ؛

والدَّائرةُ الثَّانيـةُ هيَ الطَّرفُ الأَدْنى ، ومكانُهـا مَرْكَزُ الأرض . وهـذا تقريبٌ لأَنَّ الجَواهِرَ الْمَعْقُولَةَ[١٠٠] لا تُوصَفُ بالأَمْكِنَةِ ولا بالْجِهَاتِ السِّتّ[١٠١] . وزَعَمُوا أنّ بَيْنَ طَرَفِهَا الأعلى وطَرَفِهَا الأَدْنى خَطّاً يَصِلُ بَيْنَ الدَّائرتَيْنِ ، يُسَمُّونَهُ : سُلّم الْمِعْراجِ[١٠٢] ؛ وبه[١٠٣] يَتَّصِلُ الوحْيُ بالأَنْفُسِ

---

(٩٨) في : ط : خاصيّة .

(٩٩) « الكلية » لم ترد في : ط .

(١٠٠) في : ط : العقليّة .

(١٠١) في : ط : والوَجهات .

(١٠٢) في ط : سُلّم المعارج .

(١٠٣) سقطت كلمة (به) من : ط .

[١٠] الجُزْئيَةِ الطَّاهِرَةِ ، وبِـه تَنْزِلُ الملائكَـةُ وتَصْعَـدُ الأرواحُ الزَّكِيَّـةُ إلى العَالَمِ الأَعْلى .

ولَهُمْ فيها كلامٌ طويلٌ اقْتَصَرْنَا منهُ عَلى هذِه الجُمْلَـةِ ؛ لأنَّ غَرضَنـا في هذا الكِتَابِ غيرُ ذلك .

الباب الثاني

فِي شَرْحِ قَوْلِهِم : إنّ الإنسانَ يَحْكي دائِرةً وَهْمِيّةً ، وإنّ ذاتَهُ تَبْلُغُ بَعْدَ مَماتِه إلى حيثُ يَبْلُغُ عِلْمُهُ فِي حَيَاتِه

قد تأمّلْتُ ـ أرْشَدَنا اللهُ وإيّاك إلى صَواب القول والعَمل[١] ، وعَصَمنا من الخَطإ والزَّلَل ـ هذا الّذي قالُوه ، واعْتَبَرْتُ ماذَكَرُوهُ فوجَدْتُه يَحْتَمِلُ تَأويلين :

أحدهما : أنّ الإنْسانَ يَفْتَحُ نَظَرَهُ بِشَيْءٍ لا مادَّةَ لَهُ ، ويَنْتَهي نظَرهُ[٢] إلى شيءٍ لامادّة له : فَيكون مَرْجِعُ عِلْمِه ونَظره إلى مِثْلِ مَبْدَئِه[٣] ، كَما أنّ مَبْدأ صُورَةِ الإنسانِ مِن شَيءٍ لامَادَّةَ له ، وغايَتُه أنْ يعودَ شيئاً[٤] لا مادّة له . ولَسْتُ أعْنِي مَبْدأ صُورةِ جسمِهِ[٥] التي هي شَكْلُ هَيُولاهُ : لأنّ هذه : مَبْدؤها المَادّةُ وإنّما أعْنِي مَبْدأ [صُوْرَتِهِ][٦] النّاطِقَة التي بها

(١) في ط : إلى الصواب في القول والعمل .

(٢) في ط : وينتهي إلى شيء .

(٣) في ط : فيكون مرجع نظره عليه إلى مبتدئه .

(٤) في ط : أن يعود إلى شيء .

(٥) في ط : ولست أعني بمبتدئه صورة جسمه ..

(٦) ذهب معظم الكلمة بأثر محو . وهي واضحة في : ط .

صَارَ الإنسانُ إنْسَانـاً ، وانْفَصَل عن الحَيوان الـذي لانُطْقَ لَـهُ ؛ لأنَّ هـذه الصُّورةَ مَبْدَؤُها من العَقْلِ [الفَعَّال][7] ومَرْجِعُها إليه .

وشَرْحُ هذهِ الجُمْلَةِ أنَّ[8] مَبدأ عِلْمِ الإنْسَانِ : الأَعْدَادُ الَّتي لاتَحْتَاجُ فِي تَفَهُّمِهـا إلى مـادَّة . ثم يَترقَّى مِنْهـا إلى النَّظَرِ في الأَعْظـامِ التي تَحْتَـاجُ في تَفَهُّمِها إلى المادَّةِ[9] ، غَيْرَ أنَّ ما يَحْتاجُ إليه في بَعْضِها مِنَ المـادَّة[10] أقَلُّ مِمّـا يَحْتاجُ إليه في بعضٍ ؛ لأنَّ مَبْدأَ الأَعْظـامِ النُّقطـةُ التي هِيَ مَبْـدأُ الخَـطِّ ، ولا بُعْدَ لَها ؛ ثُمَّ الخَطُّ الـذي هُوَ مَبْـدأُ السَّطْحِ ؛ ثم السَّطْحُ الـذي هُو مَبْـدأُ الجِسْمِ . وهـذِهِ يُحْتَـاجُ فِي تَفَهُّمِهـا[11] إلى مَـادَّةٍ يَسِيرةٍ . فـإذا انْتَهى إلى النَّظَرِ في الجِسْمِ استَغْرق في المـادّة وحَصَـل بِنَظرِهِ في العِلْمِ الطَّبِيعيِّ ، ثمَّ يَبْـدَأُ[12] ينسَلِخُ من المَـادَّةِ قَليـلاً قَليـلاً عَلى تَـدَرّجٍ كما تَرقَّى إلَيْهـا قليـلاً [قليلاً][13] عنـد نَظَرِهِ فِي النُّقْطَـةِ والخَـطِّ والسَّطْحِ : فلا يَـزالُ كـذلـكَ حَتّى يُفارِقَ المادّةَ قليلاً ! وذلكَ أنَّهُ إذا نَظَر في العَناصِر والمَعَـادِن فـإنَّمَـا يَنْظُرُ في أجسامِ غَضَّـةٍ[14] ليسَ فِيهـا مَبْـدأٌ غَيْرَ الطَّبِيعـة . فـإذا صـارَ إلى

(٧) في ط : العقل الفَعّال . وفي خ العقل ؛ والمثبت من : ط .

(٨) صُحّفت العبارة في : ط إلى « وسنشرح هذه الجمليات . مبدأ علم ... الخ » .

(٩) في ط : التي تحتاج إلى تفهيم المادّة .

(١٠) أثبتنـا روايـة ؛ ط . والـذي في خ هنـا : غير أنـه يحتـاج في بعضهـا من المـادة أقلّ مما ... الخ .

(١١) في ط : وهذه تحتاجُ في تفهيه إلى ...

(١٢) في ط : ثم يبتدئ ينسلخ .

(١٣) قليلاً الثانية من : ط .

(١٤) في : ط : أجسام مُحيطَةٍ .

النَّظرِ في النَّباتِ وجَدَ فيه مبدأ من مبَادئِ النَّفْسِ ؛ وتُسَمّى هذه[١٥] : النَّفْسَ النَّبَاتيّة ، فيكونُ قد ابْتَدأ بالانسلاخِ من المادَّةِ قليلاً قليلاً[١٦] [١١] فإذا صارَ إلى النَّظرِ في الْحَيوانِ غَيْرِ النَّاطِقِ وجَدَ أمْرَ[١٧] النَّفْسِ فيهِ أقْوى ؛ وتُسَمّى هذه[١٨] : النَّفْسَ الحَيوانِيَّة ، فيكونُ قد انْسَلخَ من الْمَادّةِ أكْثَر ؛ فإذا صارَ إلى النَّظَرِ في الحَيوان النَّاطِق وجَد فيه أمْرَ[١٩] النَّفْسِ أقْوى ، ووجَد فيه[٢٠] مَبْدأ آخَرَ غير النّفسِ الحَيوانِيّة[٢١] ، وهو الاستِعْدادُ لِقَبُول الأُمور المَعْقُولات .

ثم يَشْرَعُ بالنَّظَرِ في أمورِ النَّفْسِ فَيصِيْرُ مُتَوسّطاً بَيْنَ الأُمُورِ العَقْلِيَّةِ الْمُجَرَّدَةِ مِنَ الْمَادّةِ ، وبَيْنَ الأُمور الجِسْمَانِيّة ذَواتِ الْمَوادّ ؛ فإذا أمْعَنَ في النَّظَرِ في أمْرِ النَّفْسِ [الناطقةِ][٢٢] لاحَتْ إليه[٢٣] المبادئُ العَقْلِيَّةُ الَّتي لَيسَتْ بِمَادّةٍ[٢٤] ؛ فيكونُ قد انْسَلخَ من الْمَادّةِ كُلّها ، وحصَل في أوّلِ مَرَاتِبِ العِلْمِ الإلّهيّ .

---

(١٥) في ط : هذه النفس : النفس النباتية .

(١٦) في ط : « قليلاً » . ولم يكرر الثانية .

(١٧) في ط : وجد أثر النفس .

(١٨) في ط : وتسمّى هذه النفس : النفس الحيوانية .

(١٩) في ط : وجد أثر النفس فيه أقوى .

(٢٠) في خ : وجَدَ منه . وأثبت مافي (ط) مجازة للعبارات المماثلة السّابقة .

(٢١) « الحيوانية » من ط .

(٢٢) « الناطقة » من ط .

(٢٣) في ط : لاحت له .

(٢٤) في ط : ليست في مادّة .

ثُمّ يَشْرَعُ بـالنَّظَرِ في الأُمورِ العَقْلِيّـةِ المُفـارِقـةِ للمـادّةِ ؛ فـأَوّلُ مَعْقُولٍ يُصادِفُهُ ، باعتبارِهِ عندَ صُعودِهِ ، العَقْلُ الفَعّال .

فإذا أَكْمَلَ النَّظَر فيهِ وعَلِمَ مَرْتَبَتَهُ مِن المَعْقُولاتِ المُفارِقَـةِ ، وأَنّـهُ في المَرْتَبَةِ العاشِرةِ صَعد بالاعتبارِ إلى النَّظَرِ في التاسع[٢٥] ثُمّ إلى الثّـامِن ، ثُمّ إلى السّابِع ، ثُمّ إلى السّادِس حتّى يَصِيْرَ بفكرِه إلى المَعْقُول[٢٦] الأَوّل الّذي هو في مَرْتَبَـةِ الواحـدِ فيجـدُهُ[٢٧] نِهَـايـةَ الموجُودات الـذي أَفـاد كُـلّ شيءٍ الوجُودَ ؛ وكُلُّ موجود مُفْتَقِرٌ إلَيْه مُقْتَبِسٌ الوجودِ مِنْهُ ، فيكونُ قد انْسَلخ من النَّظَرِ في الثَّـواني التّسعـة والعَقْـلِ الفَعّـال ؛ وهـذه هِيَ الّتي تُسَمّى بالْمَلائكَةِ[٢٨] الْمُقَرّبين ، والكَرُوبيّيْن ؛ ويكونُ قَد انْتَهى باعْتِبَارِه وفِكْرِه إلى البـارِئ تعـالى فَيَشْرع حِيْنَئِـذٍ بـالنَّظَرِ[٢٩] في صِفـاتِـه ، ومـا يَجُـوزُ أَنْ يُوصَفَ بهِ ، ومالا يَجُوز ؛ وكيفَ انبعَثَتْ الْمَوْجُوداتُ عَنْـه ؛[٣٠] وعَلى أَيّ جِهَةٍ يَصِحُ أَنْ يُقالَ : إنّهُ فاعِلُها وعِلّتُهـا حتّى لا يَلْحَقَـهُ نَقْص[٣١] ؛ وكَيْفَ دَبّرَ عَالَم الأَفْلاكِ بِتَوسُّطِ الثّواني ، والعَقْلِ الفَعّال ، ودَوران الأفلاك حَوْلَ

---

(٢٥) في ط : « في التاسعة ثم إلى الثامنة حتى يصل بفكره » وأسقط قولـه : ثم إلى السـابع ثم إلى السادس » .

(٢٦) في ط : إلى المعقولات الأُول التي هي مرتبة الواحد .

(٢٧) في ط : فيجد نهاية الموجودات .

(٢٨) في ط : تسمّى الملائكة .

ـ والكروبيُّون ـ كما في متن اللغة (ك ر ب) ـ : سادة الملائكة ، وهم المُقَرّبون .

(٢٩) في ط : فيشرع حينئذ النّظر .

(٣٠ـ٣١) مابين الرقمين سقط من : ط .

الأَرْكانِ الأَربَعـة فَيقَع في العِلْمِ السِّيـاسِيِّ والنَّوامِيْس . ولا يَزالُ[٣٢] يَنْحَـدِرُ حَتّى يَرْجِعَ[٣٣] إلى الأشْخاصِ الْمَحْسُوسَةِ التي منها بدأ بالنَّظرِ عند صُعودِهِ بالاعْتِبار .

فشَبَّهت الحُكَماءُ رُتْبَةَ هذا النَّظَرِ والاعتبارِ بالـدّائِرَةِ : لأَنَّـهُ يَنْظُرُ[٣٤] في الْمَـوْجُـوداتِ عنـد انْحِـدارِهِ غَيْرَ النَّظرِ الّـذي يَنْظُرُ فِيهـا في حِيْنِ صُعودِهِ ، كما يَبْـدأُ خَـطُّ الـدّائرةِ مِن نُقْطَـةٍ ثم يَعُودَ إليهـا [١٢] على غَيْرِ الجِهَةِ الّتي ذهبَ مِنها .

ويُسَمّى النَّظَرُ الأَوّلُ[٣٥] : الإنْسـانِيّ ، والنَّظر الثّـاني : الإلَهيّ . ويُسَمُّونَ النَّظَرَ الأَوّلَ : الطَّريقَ إلى الله تعالى .

فكَما أَنَّ مَبْدأَ الإنْسانِ[٣٦] من مَعْقُولٍ ومُنْتَهاه إلى مَعْقُول ، وهو مـابَيْنَ الطّرفين مَحْسُوسٌ ، فكَـذلـكَ عِلْمُـهُ يَبْـدَأُ من معقولٍ ويَنْتَهي إلى مَعْقُول بَيْنَهُما العِلْمُ الْمَحْسُـوس[٣٧] . فيكـونُ مُنْتَهى عِلْمِ الإنسـانِ هـو مُنْتَهى[٣٨]

---

(٣٢) في ط : ولا زال .

(٣٣) في ط : حتى يصل إلى ...

(٣٤) في ط : لأنّ نظره في الموجودات عند النزول غير نظره الذي نظره حين الصعود .

(٣٥) في ط : ويسمّى النظر الأوّل : النظر الإنسـانيّ ، والطريـق إلى الله تعـالى ، والنظر الثاني النظر الإلهي .

(٣٦) في ط : فكمـا أن مبتـدأه يكون من معقول ومُنتهـاه إلى معقول ، وهو فيما بين الطرفين محسوس .

(٣٧) في ط : ومابينهما العلوم المحسوسة .

(٣٨) في ط : منتهى علم الإنسان منتهى ذاته .

ذَاتِه ، فَيَصِلُ إلى عَالَمِ العَقْلِ في حيَاتهِ الأولى بِعلْمِـه ونَظرِه ، وفي حيَـاتِـهِ الثَّانية بذاتهِ وجَوْهَرِهِ .

فهذا هو الْمُراد بِقَوْلِ مَنْ قال : إنَّ ذاتَ الإنسـان[٣٩] تَصِلُ بعـد مَماتِـهِ إلى حَيْثُ وَصَـلَ عِلْمُـه في حَيـاتِـهِ ؛ إلاَّ أنَّـهُ لا يَتَجاوَزُ[٤٠] مَرْتَبَـةَ العَقْـلِ الفَعّال ، وهي المرتبةُ العاشِرَةُ من مَرْتَبةِ السَّبَبِ الأوَّل .

وقالَ بَعْضُهم : إنَّ غايَتَـهُ أن يَلْحَقَ بمرتَبـةِ النَّفْسِ الكُلِّيَّـة ، ومرتَبَتُها دونَ مَرْتَبَةِ العَقْلِ الفَعَّال كما ذكرْنَا فيما تقدَّم .

فهذا ماظهر إليَّ في شَرْحِ[٤١] كلامِهمْ الَّذي سَأَلْتَ عَنْهُ .

وهـاهُنـا[٤٢] وجْـهٌ آخَرُ ، وهو : أنَّ كُلَّ مَوْجُودٍ يُوْصَفُ بـالنُّطْقِ[٤٣] ؛ فـإنَّ تَجَـوْهُرَهُ لا يَكْمـلُ إلاَّ بـأنْ يَعْقِـلَ السَّبَب الأوَّل الَّـذي منـهُ انْبَعَثَت الموجوداتُ ؛ إلاَّ أنَّ كُلَّ مَوْجُودٍ تَبْعُـدُ مَرْتَبَتُـهُ من مَرْتَبَتِـهِ لا يُمْكِنُ[٤٤] أن يَعْقِلَهُ حَتَّى يَعْقِلَ مابَيْنَهُ وبَيْنَهُ من الْمَوْجُوداتِ السَّابقةِ لَهُ بالْمَرْتَبةِ[٤٥] .

فـالْمَـوْجـودُ الثَّـاني الَّـذي هُـوَ أقْرَبُ الْمَـوْجُـوداتِ إلَيْـهِ بـالْمَرْتَبَـةِ[٤٦]

---

(٣٩) في ط : إن نفس الإنسان متّصل .

(٤٠) في ط : لا يجاوز .

(٤١) في ط : فهذا ماظهر من شرح كلامهم (بسقوط : إليّ) .

(٤٢) وثبت هاهنا وجهٌ آخر .

(٤٣) في خ : « يوصف بالنظر » . وأثبتنا ما في ط لرجاحته .

(٤٤) في ط : لا يُمكنه أن يعقله .

(٤٥ـ٤٦) سقط مابين الرقمين من ط . بنقلة عين لتكرر كلمة المرتبة . وفي ط هنا : الرُّتبة .

لا يَحْتاجُ في تَكْمِيل تَجَوْهُرِه[٤٧] إلى واسِطَة .

وأمّا الموجودُ الثَّالِثُ فإنَّه لا يَعْقِلُ الأوّل إلاّ بتوسُّطِ الثَّاني .

فكذلك الموجودُ الرّابِعُ لا يُمْكِنُ أن يعقلَهُ[٤٨] إلاّ بتوسُّط الثَّالِث والثَّاني ، وكذلكَ ما بَعْدَ ذلك .

ولا يحتاجُ[٤٩] مُوجودٌ من هذه الْمَوْجُودات غير النَّاطقة[٥٠] في كَمالِ تَجَوْهُرِه إلى أن يَعْقِلَ ما دُونَهُ في مَرْتَبَتِه[٥١] إلاّ الإنسانُ وَحْدَهُ ؛ فإنَّهُ يَحْتاجُ في كَمالِ تَجَوْهُرِهِ إلى أن يَعْقِلَ ما فَوْقه[٥٢] وما دونَهُ ؛ ولذلك احْتاجَ في كَمالِ تَجوهُرِه إلى أن يَعْقِلَ جَمِيعَ الْمَوْجُودات ؛ والعِلَّةُ في ذلك أنَّ مَرْتَبَتَهُ مِنَ[٥٣] الوجودِ الفائض مِن السَّبَب الأوَّل تعالى آخِرُ الْمَراتِب ؛ لأنَّهُ إنّما يكونُ بَعْدَ تقدُّمِ الْحَيوان غيرِ النّاطق ، والنَّباتِ والْمَعادن ، والأرْكانِ ، والْهَيولى . فَصَارَتْ هذه الأشياءُ أسْبَقَ مِنْهُ بِمَرْتَبَةِ[٥٤]

---

(٤٧) في خ : جوهره . وأثبتنا ما في ط ، لانسجامه مع ما في الفقرة السّابقة : « فإن تَجَوْهُرَهُ لا يَكْمُلُ إلا بأن يعقل السببَ الأول ... إلخ » .

(٤٨) في ط : وكذلك الرابعُ لا يمكنُه أن يعقل .

(٤٩) في ط : فلا يحتاج .

(٥٠) في ط : من هذه الموجودات الناطقة في تكميل تجوهرها .

(٥١) في ط : يعقل ما هو دونه في المرتبة إلا الإنسان وحده .

(٥٢) في ط : إلى أن يعقل مادونه في الشرف ومرتبة العقل كما يحتاج أن يعقِل مافوقه ، ولذلك ...

(٥٣) في ط : مرتبته في الوجود الفائض عن السّبب .

(٥٤) في ط : بالمرتبة إلى الوجود .

الوجُود ، وإنْ كانَ هو أفْضَلَ منها ؛ لأنَّ النَّفْسَ النّاطِقَـة [١٣] صُورَةٌ في النَّفْسِ الْحَيوانيّة ؛ والنَّفْسُ الْحَيَوانيّة صورةٌ في النَّفْسِ النَّبـاتيّـةِ ؛ والنَّفْسُ النَّبـاتيّـة صـورةٌ في الْمَعـادِن ، والمَعَـادِنُ صـورةٌ في الأرْكان الأربعـة ، والأرْكان(٥٥) الأربعةُ صورةٌ في الْهَيُولى .

فلَمَّا كانت هذه الأشياءُ كُلُّها قَبْلَهُ في رُتْبَةِ الوُجود ، وكانَ لاسبيلَ لَـهُ إلى أنْ يَعْقِلَ السَّبَبَ الأوَّلَ حتّى يَعْقِـلَ مـابَيْنَـهُ وبَيْنَـهُ من الْمَـوْجُـوداتِ احْتَاجَ إلى أن يَعْقِلَ مادُونَهُ كما احْتَاجَ إلى أن يَعْقِلَ مافَوْقَهُ .

ولَمّـا(٥٦) كانَت الْمَوْجُـوداتُ الفَـائِضَـةُ من السَّبب [الأوَّل](٥٧) شكلُهـا شَكْلُ دائرةٍ آخِرُها الإنْسانُ ـ كما ذَكَرْنا في البَـابِ الأوَّل ـ احْتَـاجَ الإنسـانُ إذا سَلَكَ عَلى رُتْبَةِ(٥٨) وجُودِه أنْ يعكسَ الدّائِرَةَ عندَ الاعْتِبَار فَيَنْحَـطُّ من مَرْتَبَتـهِ في الوُجودِ إلى مَرْتَبـةِ الْحَيوانِ غيْرِ النّـاطقِ الّتي هِيَ أدْنى الْمَراتِبِ إلَيْهِ ثمّ إلى النَّباتِ ثمّ إلى الْمَعادِنِ(٥٩) ثمّ إلى الأرْكان ثمَّ إلى الْهَيُولى .

فإذَا بَلَغَ إلى الْهَيُولى كانَ قَـدْ(٦٠) وَصَلَ إلى أحَـطِّ الْمَوْجُودَاتِ مَرْتَبَـةً في

---

(٥٥) ضبطهـا في خ هكـذا ، على الاستئنـاف : والنفسُ الحيـوانيـةُ صـورةٌ ... والنفس النّباتيّةُ ... والمعادِنُ ... والأرْكانُ .

(٥٦) في ط : فلما كانت .

(٥٧) زيادة من : ط .

(٥٨) في ط : من مرتبة وجوده .

(٥٩) في ط : « ثم النبات ثم المعادن » بإسْقَاطِ (إلى) منهما .

(٦٠) في ط : فقد وصل .

الوُجودِ[٦١] فَيبدأُ بالصُّعودِ مِنها نحوَ المَبْدأ الأعْلى ، فيكونُ إلى الصُّورَةِ أوّل صُعُـودِه[٦٢] ، ثُمَّ إلى النَّفْسِ ، ثمّ إلى العَقْـلِ الفَعّـالِ ، ثُمّ إلى الثّـواني التّسْعَة[٦٣] ثُمّ إلى البارئ تَعالى . غيرَ أنّهُ إذا وَصَلَ إلى مَرْتَبـةِ العَقْلِ الفعّـال وقفَ لأنَّ قُوّتَـهُ النّـاطِقَـةَ منـهُ بـدأتْ وإلَيْـهِ تَعُـود[٦٤] . وإنّما يَحْتَـاجُ إلى معرفـةِ مـا فَـوْقَ العَقْـلِ لِتَكْمُـلَ ذاتُــه وجَـوْهَرُه[٦٥] لالتكمـلَ دائِرَةُ عِلْمِــه ونَظرِه .

ونحنُ نُكْمِلُ هذا البابَ بأنْ نُديْرَ دائِرَةً نُمَثّل بِهَا مـاذَكَرْنـاهُ ونَقْسِمُهـا تِسْعةَ أقْسَام على مَراتِب الآحادِ التِّسْعَـة ، ونجعلُ مَبْـدأهـا العقلَ الفَعّـال ، ونَتْلُوه بما يَتّصِلُ بمرتبتهِ في الوجُودِ[٦٦] ، ثُمّ ما يَلِي مُنْحَـدِراً أوْ صَـاعِـداً[٦٧] حتّى يَنْعَطِفَ آخرُ الموجُوداتِ عَلَيْه .

ولا نذكرُ في هذهِ الدّائرةِ أشياءَ مِمّا فَوْقَ العَقْلِ الفَعّال لِنُبَيِّنَ لِمَنْ رآها أنَّ الإنسانَ مَرْجِعَهُ إلى العَقْلِ الفَعّال .

---

(٦١) في ط : مرتبةً ثم يبدأ .

(٦٢) في ط : فيكون أول صعوده إلى الصورة ثم إلى النفس .

(٦٣) في ط : ثم إلى الثّواني التسعة التي تسمّى الملائكة المقرّبين .

(٦٤) في ط : بعد عبارة العقل الفعال : كملت الدائرة ولم يحتج في كمالها إلى أن يتخطى العقل الفعّال ، لأن القوّة الناطقة إلخ .

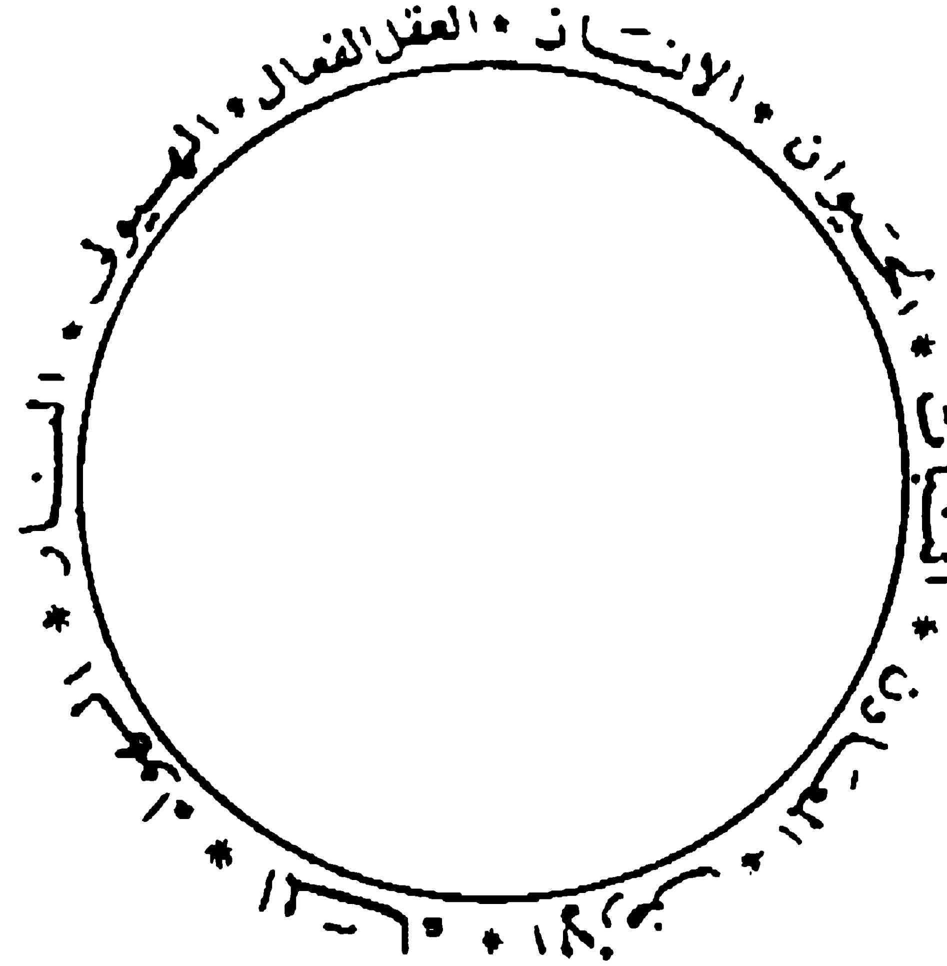
(٦٥) في ط : وتجوهره .

(٦٦) في ط : بما يتّصل مرتبته في الوُجود بمرتبته .

(٦٧) في ط : منحدراً وصاعداً .

وهذِه صُوْرَةُ الدّائرَة .

الدائرة



الباب الثالث

في شَرْحِ قَوْلِهِمْ : إنّ في قُدْرَةِ[1] العَقْلِ الجُزْئيّ أنْ يتصوّر بِصُوْرَةِ العَقْلِ الكُلّيّ

هذا - أوْضَح اللهُ لَكَ الخَفِيّات ، وأعَانكَ على فَهْمِ أسْرارِ المَوْجُودات - فَرْعٌ لطيفٌ تَحْتَهُ مَعْنىً شَرِيف ؛ ومُرادُهم بهذا أنّ الإنسانَ مُهَيّأ[2] بفطْرَتِهِ [١٤] إذا فاضَ عَلَيْهِ نورُ العقلِ فَخَرجَتْ قُوّتُه النّاطِقَةُ إلى الفِعْل لأنْ يَتصوَّرَ جميعَ المَوْجُوداتِ فَيتحَصّلُ[3] في عقلِهِ الجُزْئيّ الصُّورُ التي في العَقْلِ الكُلّي .

وذلكَ أنّ البارئ تعالى لَمّا أبْدَع العَقْلَ الكُلّيّ أفاضَ عَلَيْهِ صُورةَ[4] الأشياء التي شاءَ إيجادَها دفْعَةً بلا زَمانٍ[5] ولا حَرَكةٍ ؛ [6]وأفاضَها العقْلُ الكُلّي على النّفْسِ الكُلّيّةِ على دَفْعَةٍ أيضاً بلا زَمانٍ[7] ا وأفاضَتْها النّفْسُ

(١) في ط : إن في قوّة العقل .. إلخ .

(٢) في ط : تهيّأ .

(٣) في ط : فحصل .

(٤) في ط : صور الأشياء .

(٥) في ط : اتخاذها دفعة واحدة بلا زمان .. إلخ .

(٦-٧) مابين الرقمين سقط من : ط .

الكُلّيّةُ على الْهَيُولى بالزّمان][8] ووساطَتَهُ[9] حَرَكَةُ الفلكِ إذْ لم تكُنْ في قُوّةِ الْهَيُولى أن تَقْبلَها كُلَّها دَفْعَةً ، وإنَّما تَقْبَلُها على الْمُعَاقَبة .

وخلَقَ اللهُ تَبارَكَ وتعَالى الإنْسانَ آخِرَ الْمَخْلُوقاتِ ، وجَمَعَ في خِلْقَتِه[10] جميعَ ما في العالَمِ فصارَ مختصراً منهُ ؛ ولِذلكَ سُمّيَ : العَالَمَ الأَصْغَر[☆] .

وقيْلَ إنّه مُخْتَصَرٌ من اللّوحِ الْمَحْفُوظ ، وجَعَلَه حَدّاً بين عالَم الْحِسّ وعالَم العَقْل . فَهُوَ آخِرُ الْمَوْجُوداتِ الطَّبيعيّة وأَوّلُ الموجُودات العقليّة وهو مُعَرَّضٌ لأنْ يَعْلو فَيَلْحقَ بالعالَمِ الأَعْلى ، أو يَسْفُلَ[11] فَيَلْحَق بالعالَمِ الأَدْنى .

وقد قُلْتُ في ذلِكَ[12] :

[من الخفيف]

أنتَ وَسْطى[13] مابَيْنَ ضِدّيْنِ يَاإنْـــــسانُ رُكّبْتَ صُوْرَةً في هَيُولى

---

(٨) مابين معقوفتين لم يرد في خ ، واستدركناه من : ط .

(٩) في ط : وواسطة حركة الفلك ؛ (بحذف الضمير) .

(١٠) في ط : وجمع في خَلْقِه .

(☆) قال في كتاب (التوقيف على مهمّات التعاريف) : باب العين :
« ... والعالَمُ عالَمان : كبيرٌ وهو الفلك ، وما حواه من جَوْهَرٍ وعَرَضٍ ؛ وصغيرٌ وهو الإنسان لأنه مخلوقٌ على هيئة العالَم ، وأوجد الله فيه كل ماأوجده في العالم الكبير » .
ينظر كتاب التوقيف بتحقيقنا مطبوعاً في دار الفكر بدمشق .

(١١) في ط : بالملأ الأعلى ، ويسفل .

(١٢) القطعة في شعره المجموع .

(١٣) في ط : أنت وسط .

إنْ عَصَيْتَ الْهَـوى عَلَـوْتَ عُلُـوّاً   أو أطَعْتَ الهـوَى سَفَلْتَ سُفُـولا !

فَمِنْ أجْلِ أنّهُ جَمَع في خِلْقَـة[١٤] جميعَ مـا في العـالَمِ الأكْبَرِ صـارَ مُهَيّـأً بفطْرَتِهِ الفاضِلَةِ ، مُسْتَعِداً بِقُوّتِـه العَـاقِلَـة لأنْ يَتَصَوَّر جميعَ مـا في العـالَمِ الأكْبرِ .

وبيَانُ ذلك أنّ مُدْركاتِ الإنْسَانَ صِنْفَان :

مَحْسُوسَاتٌ ؛

و : مَعْقُولاَت .

فالأشْخَاصُ هُنَّ محسوسَاتُه[١٥] .

وأنواعها ، وأجْناسُها ، ومَبادِيها هُنّ معقولات[١٦] .

ولَهُ إدْرَاكان :

إدْرَاكٌ بالْحِسّ للأشْياء الْمَحْسُوسَاتِ[١٧] .

وإدْراكٌ بـالعَقْـلِ لـلأشيـاء الْمَعْقُـولات ؛ لأنّ كُـلّ شيءٍ إنّما يُـدْرَكُ بشَكْلِه .

---

(١٤) في ط : في خِلْقَتِه . (ويلاحظ أن مابين المطبوع والمخطوط مخالفة في هذا الموضع ، وفي الموضع السابق ـ انظر الحاشية ذات الرقم (١٠) من هذا الباب) .

(١٥) في ط : فالأشخاص هي المحسوسات .

(١٦) في ط : هي معقولاتُها .

(١٧) اخترت المحسوسات على المحسوسة التي في خ ، والذي في ط : « إدراك بالْحِسّ للأشياء المحسوسات ، وإدراك بالعقل للأشياء المعقولة » .

فإدْرَاكُه الْمَحْسُوساتِ يُسَمّى كَمَالَهُ الأَوَّلَ ، وحياتَهُ الأُولى ؛ وإدراكُه الْمَعْقُولاتِ يُسَمّى كمالَهُ الثَّاني وحَياتَهُ الأُخرى[١٨] .

فـإذا كانَ العـالَمُ كُلُّـه صِنْفَيْنِ : محسُوسٌ ومعقـولٌ[١٩] ؛ وكان كمالُ تَجَوْهُرِ[٢٠] الإنسانِ بإدْرَاكِهِما مَعاً ؛ وكانَ مُهَيّأً بفِطْرتِهِ لذلكَ صارَ الإنسـانُ إذا أَدْرَكَ الْمَحْسُوسـاتِ والمعقولاتِ فقـد[٢١] تصَوَّر بِصُورةِ العـالَمِ الأَكْبَرِ ؛ فالإنسانُ إذَنْ يَسْتَحِقُّ أن يُسَمّى عالَماً صغيراً من جِهَتَيْن :

إحداهما[٢٢] : خِلْقَةٌ لا عَمَلَ لهُ فيها .

والثانيةُ : اكْتِسَـابٌ يكتسِبُـهُ . إلا أنّ سَعـادَتَـهُ إنّما هي بـالاكْتِسَـابِ وحُصُولِ العَقْلِ الْمُسْتَفادِ .

وأمّا [١٥] الْخِلْقِيَّةُ[٢٣] فـإنّما هيَ هَيْئَـةٌ واستِعْـدَادٌ جُعِلَ مُعَرَّضـاً بهِمَـا لِنَيْـلِ السَّعـادةِ إنْ فَهِمَ ذاتَــهُ ، وعَلِمَ مرتَبَتَــه مِنَ العَــالَم ، أي[٢٤] مَرْتَبَـةَ [تَحْصِيلٍ هِيَ نَجـا وسَعِـدَ ؛ وإن جَهِلَ ذاتَـهُ ، ولم يَعْرِف مـاالغَرَضُ][٢٥]

---

(١٨) في ط : الأخيرة .

(١٩) في ط : محسوساً ومعقولاً .

(٢٠) في ط : كمال جوهر الإنسان .

(٢١) في ط : فقد ، وفي خ : قد . والمثبت من ط أقوم ، فهي في صدر جواب إذا .

(٢٢) في ط : أحدهما ... والثاني .

(٢٣) في ط : وأما خِلْقَتُه .

(٢٤) في خ بعد كلمة « مرتبة » إشـارة استلحـاق كلام ؛ ولكن لاشيءَ على هـامش النُّسخـة التي معنا (وهي صُورة) وقد يكون المستدرك على طرف غاب عن المصوّر .

(٢٥) مابين معقوفتين مستدرك من : ط .

بكونِه آخِرَ الْمَوْجُودات هَلكَ وطالَ شَقاؤه ؛ ولِذلك قـالَ النبيُّ ﷺ[٢٦] : « النَّاسُ نِيَـامٌ فـإذا مـاتُوا انتبَهُوا » . وقـال[٢٧] : « أَعْلَمُكُمْ بِنَفْسِـهِ أَعْلَمُكُمْ بربّه » ؛ وقال لعليٍّ رضي اللهُ عنـه[٢٨] : « تقرَّبْ إلى اللهِ بِعَقْلِـكَ إذا تَقَرَّبَ النَّاسُ إِلَيْهِ بأَعْمَالِهِمْ » .

ولِهذا الّذي قَدَّمْناهُ صارَ العَالَمُ خَمْسَةَ أَصْنافٍ من الوُجودِ سِوى وجُودِه في عِلْم البارئ تَعالى :

وُجودٌ في العَقْلِ الفَعّال .

ووُجودٌ في النَّفْسِ الكُلّيَّةِ .

ووُجودٌ في الْهَيُولى .

ووُجُودٌ في قُوَّةِ الإنسانِ الْمُتَخَيِّلة .

---

(٢٦) قـال في كشف الخفـا ومـزيـل الإلبـاس عمّـا اشتهر من الأحـاديث على ألسنـة النـاس ١ : ٣١٢ ، عند ذكره الكلام المشهور : الناس نيامٌ فـإذا مـاتُوا انْتبَهُوا ؛ مـا نَصُّـه : هو من قول علي بن أبي طالب ، لكنْ عزاه الشعراني في الطَّبقات لسهل التُّستري ؛ ولفظه في ترجمته : ومن كلامه : النـاس نيـامٌ فـإذا مـاتوا انتَبَهُوا ؛ وإذا مـاتوا نَـدِمُوا ، وإن ندموا لم تنفعهم ندامَتُهم .

(٢٧) في : عين الأدب والسيـاسـة وزين الحسب والريـاسـة لابن هُـذَيـل الغرنـاطي : ١٥٥ قالت عائشة رضي الله عنها : « يارسول الله مَتى يعرفُ الإنسـان ربّـه قـال : إذا عرف نفسه » .

(٢٨) روى النَّهْرَواني في كتـابـه الجليس الصـالـح الكافي والأنيس النـاصـح الشـافي عن علي رضي الله عنه بإسناد ذكره بطوله ، قال : قـال لي رسول الله ﷺ : إذا تقرب النـاس إلى خـالِقهم بأنواع البِرّ فتقرّب إليـه بـأنواع العقل تسبقهُم بـالـدرجـات والزُّلَفِ عنـد الناس في الدُّنيا ، وعند الله في الآخِرَة (١ : ٥٢٤) .

ووُجُودٌ في قُوّتِه النّاطِقَة[٢٩] إذا حَصَلَ له العَقْلُ الْمُسْتَفاد .

فيصيرُ بهذا الاعتبارِ كالدّائرةِ الّتي تَبْدأُ مِنْ نُقطَةٍ وتعودُ إلَيْها ؛ لأنَّ مَبْدَأَهُ أن يكُونَ صُورةً مُجرَّدَةً فِي العَقْلِ ، ونِهايَتَهُ أنْ يَصِيرَ صُورةً مُجرَّدَةً في العَقل . وعِنْدَ ذلِكَ يَتَصَوَّرُ العَقْلُ الْجُزْئيُّ بصُورةِ العَقْلِ الكُلّي ، ويَصِيرُ الإنْسانُ مَوْضُوعاً بصورةِ العَالَمِ يَحْمِلُ صورةً[٣٠] في ذاتِهِ كَما تَحْمِلُ الْهَيُولى الصُّوَر .

فالإنْسانُ - إذا اعْتُبِر بِهِ[٣١] الْمُعْتَبِرُ - أغْرَبُ الْمَخْلُوقاتِ صَنْعَةً ، وأكْثَرُها أُعْجوبَةً . وَلِهذا قالت الْحُكَماءُ : إنَّ الغَرضَ في وُجودِهِ كَمالُ الحِكْمَةِ ؛ لأنَّهُ انْتَظمَ بِفِطْرتِهِ[٣٢] طَرَفَيْ العالَم ، وصارَ واسِطَةً بَيْنَهُما . وكَمالُ الطَّرَفين بالواسِطَةِ التي تَنْظِمُها :

أرادُوا بِذلِكَ أنَّ البارِئَ - جَلَّ جَلالُه - لَمّا خَلَق جَوْهَراً مَعْقُولاً وجَوْهَراً مَحْسُوساً كانَ كَمالُ الخِلْقَةِ[٣٣] في أنْ خَلَق جَوْهَراً ثالِثاً يَصِلُ بَيْنَ الْجَوْهَرَيْن ، ويَنْظِمُ[٣٤] الطَّبيعَتَيْن ؛ فصارَ الإنسانُ حَدّاً بَيْنَ عالَمِ العَقْلِ وعالَمِ الحِسّ ، وصارَ من جِهَةِ صُورَتِهِ الطبيعيّة في أعْلى مَراتبِ الصُّوَرِ الطَّبيعيّة ، ومن جِهَةِ صُورَتِهِ العَقْليّة في أدْنى مَراتبِ الصُّوَرِ العَقْليّاتِ[٣٥] .

---

(٢٩) في ط : في قوّة الناطقة إذا جعل له العقل المستفاد .

(٣٠) في ط : صورته كما تحمل الهيولى الصُّورة .

(٣١) في ط : اعتبر فيه المعتبر .

(٣٢) في ط : انتظم بِقُطْرَيْهِ طَرَفَيْ العالم ، وصار بينهما . وكمال ... إلخ .

(٣٣) في ط : كمال الحكمة .

(٣٤) في ط : فينظم الطبيعتين .

وفي كُتُبِ بني إسْرائيلَ أنّ الإنسانَ خُلِقَ على التُّخومِ بَيْنَ الطَّبيعَةِ المائيَّة ، والطَّبيعةِ الَّتي لَيْسَتْ بمائيَّة . ويَدُلُّ أيْضاً على أنَّهُ واسِطَةٌ بطَبْعِه : أنَّهُ من قِسْمِ المُمْكِنِ ، والمُمْكِنُ بطَبيعَتِهِ واسِطَةٌ بَيْنَ الواجِبِ والمُمْتَنِع .

وقد قُلْتُ في ذلكَ على سَبيلِ الوَعْظ[٣٦] : [من الطويل]

تَتيـهُ وَقَـدْ أيْقَنْتَ أنَّـكَ مُمْكِنٌ فكَيْفَ لو اسْتَيْقَنْتَ أنَّكَ واجِبٌ ؟
وهَلْ لَـكَ من عَـدْنٍ إذا متَّ أو لَظىً مَحيصٌ يُرَجّى أوْ عَنِ اللهِ حاجِبٌ[٣٧]

[١٦] ومَعْنى كَوْنِ الإنسانِ مِنَ المُمْكِنِ أنَّهُ صُورَةٌ من الصُّوَرِ الّتي موضُوعُها الهَيُولى ، وبالهَيُولى قامَتْ طَبيعَةُ المُمْكِنِ لأنّها تَلْبَسُ الصُّورةَ تارَةً ، وتَخْلَعُها تارَةً ، وتكونُ فيها الصُّوَرُ[٣٨] تارَةً بالقُوَّةِ ، وتارةً بالفِعْلِ . ولَوْلا الهَيُولى لَبطلتْ طَبيعَةُ المُمْكِنِ ولم يُوجَد للأشياءِ إلاّ عُنصُران : واجِبٌ ومُمْتَنِع .

---

(٣٥) في ط : مراتب الصور العقليّة .

(٣٦) القطعة في مجموع شعره .

(٣٧) في خ : واجب : وأثبتنا ما في : ط .

(٣٨) في ط : وتكون فيها الصورة تارةً بالقوّة .

الباب الرّابع

في شَرْحِ قَوْلِهِمْ : إنّ العَدَدَ دَوائِرُ[1] وَهْمِيَّة

اعلَمْ أنّ الوَاحِدَ أصْلُ العَدَدِ وَمَبْدَؤه ؛ وهو غايَةٌ[2] لوجودِ العَدَدِ ولَيْسَ بِعَدد . وكُلُّ عَددٍ مَنْسُوبٌ إليْهِ ومُنْعَطِفٌ عَلَيْـه انْعِطـافَ آخِرِ الـدَّائِرَةِ عَلى أوَّلِها .

وللأَعْدَادِ[3] إليهِ نِسْبَتان :

إحْداهُما : نِسْبَةُ تَضْعيفٍ وتَكْثير .

والثَّانيةُ : نسبةُ تَجْزِئَةٍ وتَقْليلَ .

فأمّا نِسْبَةُ التَّكْثِيرِ فكقولِكَ[4] : واحِدٌ ، واثْنَـان ، وثَلاثَـةٌ ، وأَرْبَعَـةٌ ، وخَمْسَةٌ فَما زاد[5] ، وأمّا نِسْبَةُ التَّقليلِ فَهِي نِسْبَةُ الكُسور كَقولِـكَ : نِصْفٌ ورُبْع ، وخُمس ، وثُلث[6] ونَحْو ذلك .

---

(١) في ط : إن العدد دائرة وهميّة .

(٢) في ط : وهو علّة .

(٣) في ط : والأعداد .

(٤) في خ : « فتولنـا » . وفي ط : كقولـك . واخترتُ هنـا مـا في ط ، مع الفـاء الـلازمـة ـ بعد أمّا ـ التي في خ . وسيعيد العبارة بعد سطر .

(٥) في ط : وما زاد .

(٦) في ط : نصف ، وثلث ، وربع ، وخمس .

والنّصفُ أوّلُ مَراتِب التّجْـزئـةِ والتّقليـلِ كَما أنّ الاثنَيْن أوّلُ مَراتب التّضْعيف والتّكْثير . وهو يَـذْهَبُ في كِلْتَـا الجِهَتَيْن إلى غَيْرِ نِهـايـة ؛ غَيْرَ أنّ[7] [التّكْثيرَ يَبْتَـدِئُ من أقـل"[8] الْكَمِيّـة ويَـذْهَبُ في تَـزيُّـدٍ إلى غَيْرِ نهايةٍ ، و] التقليل يَبْتدئ من أكثر[9] الكَميّـة وهو النّصف ، ويَذْهَبُ في التّجَزُّؤ[10] إلى غَيْرِ نهايةٍ .

وإذا اعتَبَرْتَ[11] بِفِكْرِكَ الأَعْدَادَ كُلّها ، والواحِـدَ ، وجَـدْتَهـا نـاشِئَـةً منه ، وراجعَةً إلَيْه . أمّا نُشوؤُها مِنْهُ فـإنّ قُوّةُ الوَاحِـدِ تَسْري إلى الأَعْـدادِ فَتَصُوغُها[12] بِوَاسِطَةٍ وبغَيْرِ وَاسِطَةٍ . والعَدَدُ الّذي يَتَولّدُ منهُ بغَيْرِ واسِطَـةٍ هو الاثْنان . وأمّا الثّلاثَـةُ فلا تُوجَـدُ مِنَ الواحِـدِ إلاّ بتَوَسُّـطِ[13] الاثْنَيْن ، وكذلكَ الأَرْبَعَةُ لاتُوجَدُ مِنْـهُ إلا بتوسُّـطِ[14] الثّلاثَـةِ والاثْنَيْن ؛ وكَـذلِـكَ الْخَمْسَةَ لاتُوجَدُ إلاّ بتوسُّطِ الأَرْبَعة ، والثّلاثَةِ ، والاثْنَيْن ؛ وهكذا[15] كُلّ

---

(٧) مابين معقوفتين مستدرك من ط .

(٨) في المطبوع : بأقلّ الكيّة . ورجحت ماأثبت مناظرةً لِمَا ورد بعد سطر ، فإنه قابل بأكثر الكيّة . وقال : « يبتدئ من » .

(٩) في خ : « من أقلّ » وهو من اضطراب السّقط السابق ؛ والصواب ما في المطبوع .

(١٠) في ط : ويذهب التّجَزّي إلى غير نهاية .

(١١) في ط : فإذا اعتبرت .

(١٢) في ط : يَسْري إلى الأعداد فيصوغُها .

(١٣) في ط : بواسطة .

(١٤) في ط : وكذلك الأربعةُ لاتوجد إلاّ بواسطة الثلاثة .

(١٥) في ط : وكذلك كل عدد .

عَددٍ لا يُوجَدُ مِنَ الواحِدِ إلا بتوسُّطِ مابَيْنَهُ [وبَيْنَ ذاك][16] من الأَعْدادِ ؛ فيكُون العَدَدُ الّـذِي بَيْنَهما هو الّـذِي يُؤَدّي[17] إلَيْـه قُوَّةَ الوَحْـدانيّـة فيصير مَوْجُوداً بما يَسْري إلَيْهِ من تِلْكَ القُوَّةِ . فالاثْنـان يُؤَدِّيـانِ قوّةَ الواحِـدِ إلى الثّلاثةِ ؛ والاثْنان والثّلاثَةُ يُؤَدّيانِ قُوّتَـهُ إلى الأَرْبَعـة ، والاثْنـان والثّلاثَـةُ والأَرْبَعَةُ تُؤدّي قُوّته إلى [١٧] الخَمْسَةِ ؛ وهكَذا مازادَ بالِغاً مابلَغ[18] .

فهذِهِ كَيْفيَّةُ تَنَشُّؤِ[19] العَدد وتَوَلُّدِه مِنَ الوَاحِد .

وأمّـا كَيْفِيّـةُ انْعِطـافِـهِ عَلَيْـهِ كانْعِطـاف[20] أَحَـدِ طَرَفَيْ الـدّائرة على الطَّرفِ الآخَرِ فإنّ ذلكَ لا يَكُونُ إلاّ بَعْدَ تَوَلُّدِ الأَعدادِ منهُ واستِيْفـائِهـا[21] مَراتبَ الآحادِ التِّسْعَـة الّتي عَلَيْهـا تَـدُورُ مَراتِبُ الأَعْـدادِ ، ولَيْست للعَـدَدِ بَعْـدَ التِّسْعَـة مَرْتَبَـة ؛ ولكنْ كلّما بلَغَ عَـدَدٌ إلى مَرْتَبَـةِ التِّسْعَـةِ انْعَطفَ إلى مَرْتَبَةِ الواحد ؛ فصارَ دائرةً وهْميّةً .

بيانُ ذلكَ أنّ الواحِـدَ ينشَـأُ مِنـهُ الاثنـان ، وتُؤَدّي الاثنـان قُوّتَـهُ إلى الثّلاثـةُ ، [فَيكُونُ الثّلاثَـةُ من الوَاحِـد بـواسطَـةِ الاثنَيْن ؛ وكِـلاَهُما عِلّـةً لِوُجودِ الثّلاثَة] غيرأنّ الاثنَيْن عِلّةٌ قريبةٌ ، والوَاحِدُ عِلّةٌ بَعِيْدَة . ثم تُؤَدّي

---

(١٦) زادها في الطبعة المصرية فزدناها للمعنى .

(١٧) في ط : تؤدّي إليه .

(١٨) في ط : بالغاً مابلغه .

(١٩) في ط : كيفية نشوء العدد .

(٢٠) في ط : فانعطاف .

(٢١) في ط : واستبقائها .

الثَلاثَةُ ماسَرى إلَيْهـا من قُوّةِ الاثنَيْن وقوّة والواحـد إلى الأربعـةِ ، فتكونُ الأرْبَعةُ من الواحِدِ بوَساطـةِ[٢٢] الثلاثـة والاثنين . فيكون لِوُجودِ الأرْبَعَـةِ ثَلاثُ عِلَلٍ ؛ ثم يَسْتَمِرُّ الأمْرُ كذلك[٢٣] إلى أنْ تكونَ التّسْعَة بِما يَسْرِي إلَيْها من قُوّةِ الواحِدِ بِوساطةِ الثّمانِيَة .

ومُنْتَهى مراتِبِ العدَدِ التّسْعِ[٢٤] عند وُجودِ التّسْعَة ؛ فإذا تجاوَزَتْ قُوّةَ الـواحِـدِ التّسْعَـة كـوّنت[٢٥] العَشْرة بِتجـاوُزِ قُـوّة الـوَاحِـدِ إلَيْهـا مـع قُـوّةِ التّسْعَة ، واسْتَدارَ العَدَدُ دوائِرَ وَهْمِيّـةً إلى مَرْتَبـةِ الواحِـدِ لِكَمالِ الْمَراتِب ، فكانت عَشْرةٌ كواحِدٍ ، وعِشْرونَ كاثْنَيْن ، وثلاثُونَ كثلاثةٍ ؛ إلى أنْ تكونَ تِسعُونَ كتِسْعَـة ـ وتُسَمّى هـذه : دوائِرَ الْعَشَرات . ثم تَـزيـدُ عَلى التّسْعينَ تِسْعَـةَ لِتقومِ طَبيعـة العَشْرة[٢٦] الّتي بهـا يَصِحُّ وُجـودُ المِئـة ؛ فيصيرُ العَـددُ تِسْعَةً وتِسْعين .

فإذا تجـاوَزت[٢٧] قُوّةُ الوَاحِـدِ السّـارِيـةُ في الأعـداد التّسْعَـةَ والتّسْعِين قامَت طَبيعَةُ المئةِ بما انْتهى إلَيْها من قُوّة الواحِدِ وقوى التّسْعَةِ والتّسْعِيْن ؛ واسْتَدارَ العَدَدُ استدارةً وَهْمِيّةً إلى مَرْتَبَةِ الوَاحِـدِ ؛ فتكونُ مِئـةٌ كواحـد ،

---

(٢٢) في ط : بواسطة الثلاثة .. بوساطة الثانية .

(٢٣) في ط : هكذا .

(٢٤) في ط : وتنتهي مراتبُ العدد التسعة .

(٢٥) في ط : تكوّنت العشرة بتجاوز قوّةِ الواحد إليها في قوّة التسعة .

(٢٦) في ط : لتقويم طبيعة العشرة .

(٢٧) في ط : فإذا تجاوز .

ومئتـانِ كاثنَيْن ، وثلاث مئـةٍ كثلاثـةٍ ، وأرْبَعُ مئـةٍ كأرْبَعـة إلى أن تَصِيْرَ تسعُ مِئَةٍ كَتِسْعَةٍ .

وتُسَمَّى هذهِ : دَوائر المِئين . فـإذا بَلَغَ العـدَدُ تِسْعَ مئـةٍ كَمُلت مراتِبُ الآحـاد التِّسْعَـة ، فتَزيـدُ علَيْهـا تِسْعَـةً وتِسْعِيْنَ لِتَقُومَ بهـا طَبِيْعَـةُ المئـة ؛ فيجتَمِعُ لذلكَ تِسْعَ مئةٍ وتِسْعَةٌ وتِسْعُونَ[٢٨] .

فإذا تَجاوزَتْ قُوَّةُ الوَاحِدِ السَّارِيَةُ في الأَعْدادِ هذا العَدَدَ يكونُ الأَلْفُ بمـا سرى إلَيْـه[٢٩] [١٨] من قُـوّة الـواحِـدِ وقـوى[٣٠] الأعـدادِ الّتي بَيْنَـهُ وبَيْنَـهُ[٣١] واستـدارَ العَـددُ استـدارةً وهْمِيَّـةً فرجَع[٣٢] إلى مَرْتَبـةِ الواحـد ؛ فيكونُ ألْفٌ كواحِدٍ[٣٣] ، وألفان كاثنَيْن[٣٤] ، وثلاثَـةُ آلافٍ كثَلاثـةٍ إلى أنْ تَصِيْرَ تِسْعَةُ آلافٍ كتِسْعَة . وتُسَمَّى هذهِ دَوائرَ الآلافِ[٣٥] .

وهكذا أبداً تَنْمِي[٣٦] الأَعْدادُ بِما يَسْرِي إليها من قُوَّةِ الواحِدِ بوسَاطـةِ[٣٧]

---

(٢٨) في ط : فتزيدُ عليها ... فتجتمعُ لك تسع مئة وتسعين .

(٢٩) في ط : تكوّنت الألف بما يسري إليها .

(٣٠) في ط : وقوى الأعداد التي بينه وبينها .

(٣١) أي : بين الواحد وبين الألف . فجاء بالضميرين مذكّرين لتذكير الواحد والألف .

(٣٢) في ط : ورجع .

(٣٣) في ط : الألف كواحد .

(٣٤) في ط هنا ، وفي عبارة سبقت مشابهة (كاثنان) على الحكاية .

(٣٥) في ط : دوائر الألف .

(٣٦) في ط : تسمّى الأعداد .

(٣٧) في ط : بواسطة .

الأعـدادِ الّتي قبْلَهـا . ويكـونُ كُـلُّ عَـددٍ سَبَـق[٣٨] وجـودُه عِلّـةً لِمَـا تَـأخّر وُجُودُه ؛ فيكونُ لِمَـا بَعُـدَتْ مرتَبَتُـهُ عن مرتبـةِ الوَاحِـدِ عِلَـلٌ كثيرةٌ ؛ كُـلُّ واحِدٍ مِنها عِلّةٌ لِوُجودِهِ ؛ ويَصيرُ الوَاحِدُ عِلّةَ العِلَلِ ، وسَبَبَ الأَسْبَاب .

وكُلّما كَمُلتْ مَراتِبُ الآحادِ التّسْعَةِ اسْتَدارَ العَدَدُ إلى مَرْتَبَـةِ الواحِـدِ ؛ فصارت مِنْهُ دَوائِرُ وَهْمِيّةٌ[٣٩] .

وعَلى مِقْدار بُعْدِ ذلكَ العَددِ مِن الواحِدِ يَكُونُ عِظَمُ دَائرتِهِ وصِغَرُها . فاعتَبِرْ ذلكَ تَجِدْهُ على ماقُلْناه .

ولأَهْلِ الهِنْدِ وغَيْرِهِمْ في هذهِ الدّوائِرِ العَدَدِيَّـةِ رُموزٌ وأَلْغَـازٌ طُوِيَ عَنِ النّـاسِ عِلْمُهَـا ؛ إذْ كانتْ أذهـانُ الْجُمهورِ تَنْبُـو[٤٠] عن فهمهـا ؛ وعُقـولُهم تَقْصُر عَنْ عِلْمِها .

وَيَرَوْنَ أنّ في مَعْرِفَـةِ تَنَشُّـؤِ[٤١] العَـدَدِ من الـوَاحِـدِ ، ونِسْبَتِـهِ إلَيْـهِ ، وانْعِطَافِهِ عليه[٤٢] ، وكمال مَراتب الأعـداد التّسعـةِ عَلَيْـهِ مَعْرِفَـةَ[٤٣] العَـالَمِ وكيْفَ وُجِدَ عَنِ البارئ تَعالى .

---

(٣٨) في ط : ليسبق وجودُه علّة .

(٣٩) في ط : دائرةً وهميّة .

(٤٠) في ط : أذهان الناس تنبو .

(٤١) في ط : نشوء .

(٤٢) في ط : وانعطافه عند كمال مراتب ... إلخ .

(٤٣) في ط : (معرفته) نشوء العالم .

قــالُوا : ولَيْسَ يمكن الإنســان[٤٤] أن يَعْلَم حُــدوثَ الْمَــوْجُــوداتِ [وانبِعاثِها][٤٥] عن البارِئِ تعالى بِطَريقٍ أَقْرَبَ مِنَ طَريقِ العَدد .

وقـد عَلِمَ البـارِئُ جَـلَّ جَـلالُـه أَنَّ الْعُقـلاءَ الْمُسْتَعِـدّين بِفِطَرِهِم[٤٦] الشَّريفـة لِقَبُول الحِكْمَـةِ سَيُفَكِّرُونَ[٤٧] في حُـدوثِ المَوجُودات عَنـه : فـلا يَقْدِرُونَ[٤٨] على تَصَوُّرِ ذلك ؛ لأنَّ الإنسـانَ لا يُمْكِنُـهُ أَنْ يَتَصَوَّرَ حُـدوث شَيءٍ إلاّ مِنْ هَيُولى ، وفي زمانٍ وفي مكانٍ وبِحَرَكَةٍ[٤٩] وآلاتٍ[٥٠] وأدوات . ووُجودُ الْمَوْجُوداتِ عن البَارِئِ تعالى لَيْسَ هكـذا[٥١] ؛ لأَنَّ الأَشيـاءَ كُلَّهـا مُحْدَثَةٌ مُبْدَعَةٌ حَدَثَتْ كُلُّها مَعاً[٥٢] ؛ فَجَعَلَ البارِئُ عَزَّ وجَلّ لمعرِفَـةِ ذلـك طَريقـاً أَسْهَلَ مِن هـذه الطّريق ، وهـو[٥٣] الاعْتِبـارُ بِنَشْءِ[٥٤] العَـدِدِ عن الوَاحِدِ .

---

(٤٤) في ط : وليس يمكن للإنسان .

(٤٥) « وانبعاثها » من ط .

(٤٦) في ط : بفطرتهم .

(٤٧) في ط : لقبول العلم سيتفكّرون .

(٤٨) في ط : ولا يقدرون .

(٤٩) في ط : بحركة .

(٥٠-٥١) مابين هذين الرقمين سقط من : ط .

(٥٢) في ط : حديثةً كلها معاً .

(٥٣) في ط : وهي الاعتبارُ .

(٥٤) في ط : بنشوء .

- وفي اللغة يقال : نشأ نَشْأً ونَشْأَةً ونُشوءاً .

فكَما أنّ الواحدَ عِلّةٌ لِوُجودِ العَدَدِ وليسَ مِنَ العَدد ، فَكذلكَ البارئُ جَلَّ جَلالُه عِلّةٌ لِوُجودِ العَالَمِ وليسَ من العالَم .

وكَما أنَّ الواحِدَ لو تُوُهِّمَ ارْتِفاعُه وعَدَمُهُ لارْتَفَعَتْ الأعدادُ كُلُّها وعُدِمَت : فَكَذلكَ البارئُ تعالى [١٩] لو ارْتَفَع وعُدِمَ لَمْ يَكُن شَيْءٌ مَوْجُوداً .

وكما أنَّ الأعدادَ كُلّها لو ارتَفَعَتْ لم يُوجِب ارتفاعُها عَدَم الواحِد ؛ كذلكَ الموجوداتُ كُلُّها لو ارتفعَتْ لم يُوجِبْ ذلِكَ ارْتِفاعَ البارِئِ تَعالى[٥٥] .

فَثَبَتَ بِهذا أنَّ البارئَ عَزَّ وجَلّ غَنيٌّ عَنِ العَالَمِ ؛ والعالَمُ مُفْتَقِرٌ إلَيْهِ .

وكَما أنَّ وجودَ الواحدِ وُجودٌ مُطْلَقٌ أعْني أنَّهُ لا يَحْتاجُ في وُجودِهِ إلى غَيْرِهِ ووجود الأعدادِ كُلّها وجودٌ مُضافٌ [أعْني أنّها غَيْرُ مُسْتَقِلَّةٍ بِأَنْفُسِها في وُجُودِها ، لأنَّ وجودَها بوجُودِ الواحِدِ ، وكذلكَ البَارِئُ تَعالى وجودٌ مُطْلَقٌ لأنَّـهُ لا يَحْتاجُ في وُجُودِهِ إلَى غَيْرِهِ ، ووجُودُ الموجوداتِ كُلِّها وُجودٌ مُضَافٌ] لأنَّ وُجودَها مُقْتَبَسٌ من وُجُودِه فائِضٌ عَنْهُ[٥٦] .

وكَما أنَّ الأعْدَادَ كُلّها اقْتَبَست الوُجودَ من الواحِدِ من غَيْرِ حَرَكَةٍ ولا زَمانٍ ولا مَكانٍ ولم يَحْتَج الواحِدُ في إيجادِها إلى شَيْءٍ آخر غَيْرَ ذاتِه

---

(٥٥) في ط : « ... لو ارتفعت لم يوجب ذلك ارتفاعَ الواحد ، فكذلك لو ارتفع جميعُ الموجودات لم يوجب ذلك ارتفاع الباري تعالى » .

(٥٦) في ط : وفائضٌ عنه .

فكذلِكَ حُدوثُ الْمَوْجُودات عن البَارِئ تَعَالى بِغَيْر حركَـةٍ ، وبغَيْر زمـانٍ وبغَيْر مكان ، وبِغَيْر أدَواتٍ ، ومِنْ غَيْرِ أنْ يَحْتَـاجَ في إيجَـادِهـا إلى شَيْءٍ غَيْرِه .

وكما أنَّ الواحِدَ يُوصَفُ بأنَّهُ تقدمَ الأَعْدَاد بـالزَّمـانِ ، ولا يبطل ذلـك بأن تكون[٥٧] الأعداد محدثة عنه ، كذلك لايوصف[٥٨] البارئ بـأنـه تقـدَّم العالم بالزمان ولا يَبْطُل ذلكَ أن يكونَ العالَمُ مُحْدَثاً عنهُ .

وكما أنَّ الواحِدَ لم يتغيَّر[٥٩] عن وحدانيّته بِكَثْرةِ ماحـدَث من الأَعْـدَادِ عنه ولَمْ يُوجِبْ ذلـك تَكَثُّراً في ذَاتِـهِ ولا استِحَـالـةً في جَوْهره ، فكـذلـك حـدوثُ العـالَمَ على كثرتـه لم يُـوجب[٦٠] تَغَيُّر البـاري : ـ تعـالى ـ عن وَحْدَانيّته ، ولا تكَثُّراً في ذاتِه ؛ تعالى اللهُ عنْ صِفَاتِ النَّقْص .

وكَما أنَّ الأَعدادَ تُوجَدُ عن الوَاحِد بتوسُّطِ الآحادِ التِّسْعَة ، وما يَجْتَمِعُ في العشرةِ مِن قـواهـا كـذلـكَ وُجِـدَت المَوْجُودات عن البَـارئ تعـالى بوساطـة[٦١] الثَّواني التِّسْعَـة ومـا اجتمع[٦٢] في الموجود[٦٣] العـاشِر من القوى

---

(٥٧) في ط : ولا يُبطل ذلك أن يكون .

(٥٨) في ط : وكذلك الباري سبحانه وتعالى لا يوصف بأنه

(٥٩) في ط : لا يتغيّر .

(٦٠) في ط : فكذلك حدوث العالم وكثرته لاتوجب تغيّر الباري ...

(٦١) في ط : بواسطة الثّواني .

(٦٢) في ط : وما يجتمع .

(٦٣) في المطبوع : « ومـا اجتمع في المـوجـود (العقـل) العـاشر ... » والقـوس الـذي عنـد (العقل) من المطبوع .

السَّارِيَةِ إلَيْـه من الثَّواني ، ومَـا فـاضَ عَلَيْـه من قُـوّةِ الـوَحْـدانيّـة بوساطتها[٦٤] .

وكذلـكَ إذا اعْتبَرَ المُعْتَبِرُ وفكَّرَ المُفكِّرُ وجَـد كُلّ شيءٍ من الموجودات إنّما حَصَلَ[٦٥] موجُوداً بأنْ صارَتْ لَهُ ذاتٌ يُوجَدُ بِهَا وانْفَصل منْ غيره[٦٦] .

وتِلْـكَ الوَحْـدَةُ الّتي تَهْوَى بِهَـا وتَوحّـدَ[٦٧] إنّما سَرَتْ إلَيْـه من البـارئ تعالى بوساطة[٦٨] مابَيْنَهُ وبَيْنَهُ من المَوْجُودات . وتلكَ الوَحْدَةُ هيَ هُوِيّتُهُ وصُوْرَتُه التي بهـا قوامُـه ، وتميّزه عن[٦٩] سِوَاه ، فمَتى فـارقَتْـهُ تلـكَ [٢٠] الوحْدَةُ عَدِم .

فَسَريانُ الوَحْدَةِ من البارِئ تَعـالى إلى الأشيـاء[٧٠] هو الّـذي كَوَّنَهـا ، واقْتَضى[٧١] وجـودَهَـا على مرَاتِبهـا ، وصَيَّر بَعْضَهـا عِلَـلاً لِبَعْضٍ ؛ وهـو ـ تعالى ـ عِلّةُ وُجودِ الجَميع ، ولذلكَ سَمّوْهُ عَلّةَ العِلَلِ ، والفـاعِلَ المُطْلَق ، والفاعِلَ بالحَقِيْقَةِ ؛ لأنّ فعل غيرهِ إنّما هُوَ فِعْلٌ بالمَجاز . وبالإضَافة[٧٢] لأنّه

---

(٦٤) في ط : بواسطتها .

(٦٥) في ط : يصير .

(٦٦) في ط : .. ذات يتوحّد بها وفصل يفصل من غيره .

(٦٧) في ط : التي بها توجد إنما سارت إليه ..

(٦٨) في ط ، بواسطة .

(٦٩) في ط : وتميّزه عمّن سواه .

(٧٠) في ط : للأشياء .

(٧١) في ط : وأفاض الوجود على مراتبها .

(٧٢) في ط : والإضافة .

يَقْبَلُ الفِعْلَ عَمّا هو أسْبَقُ منه وُجوداً[٧٣] ، ويؤدّيه إلى ما بَعْدَه . فهو مُنفعِلٌ لِمَا فَوْقَهُ وفاعِلٌ لِمَا دُوْنَهُ[٧٤] ؛ وهو مُنْفَعِلٌ بالحقيقةِ فاعِلٌ بالمَجازِ والإضافةِ ، فيكونُ مَبْدَأُ الأفعالِ من فاعلٍ لا يَنْفَعِلُ كغَيْرِهِ البَتّةَ ، ومُنْتَهاها إلى مُنْفَعِلٍ لا يَفْعَلُ البَتّة ؛ وما بَيْنَهُما فاعِلٌ فيما دُونَهُ مُنْفَعِلٌ لِمَا فَوْقَهُ .

ولِمَا ذكرناهُ في هذا البابِ قالَت الحُكَماءُ إنّ البارئَ تعالى مع كُلّ شيءٍ[٧٥] .

وإنّما أرَادُوا بذلكَ وُجودَ آثارِ صَنْعَتِه في المَوْجُوداتِ ، وسريان الوحدةِ منهُ التي بها تكوّنت[٧٦] المُحْدَثات . ولم يُريدوا بذلكَ أنّهُ يَحُلُّ الأمكنةَ[٧٧] ، ويَقَعُ تَحْتَ الأزمِنَةِ أو يَلْتَبِسُ بِشَيْءٍ مِنَ العَالَمِ . تَقدّسَ عن ذلكَ وعَلا عُلوّاً كبيراً .

وقد غَلِطَ قومٌ من الفَلاسفة في هذا الموضع غَلَطاً فاحِشاً ؛ فزَعَمُوا أنّ البارئَ - تعالى عن قولهم -[٧٨] سَيّالَةٌ في العالَمِ[٧٩] ؛ ولهذا قال ثالس[٨٠] :

---

(٧٣) في ط : عما هو أسبق وجوداً منه .

(٧٤) في ط : وفاعلٌ لِمَا تحته .

(٧٥) في ط : في كل شيء إنما أرادوا .

(٧٦) في ط : تكون الحدثات .

(٧٧) في ط : أنه بِكُلّ الأمكنة .

(٧٨) عبارة (عن قولهم) لم ترد في ط .

(٧٩) في ط : صورة تتهيأ له في العالم .

(٨٠) ثالس ، ويرسم عادة : طالس (نحو ٦٢٤ - ٥٤٧ ق . م من ملطية (في اليونان) ، قال فيه في الموسوعة الفلسفية : ٢٨٤ : أول فيلسوف إغريقي قديم معروف من الناحية =

إنّ اللهَ نَاشِبٌ في الأشياء[٨١] .

وقال زينون[٨٢] : إن كُرَةَ العَالَمِ هو الله تعالى[٨٣] ؛ وأنّ المَعْلُولَ هو العِلّة .

وإنَّما حَملهُمْ على هذهِ الآراء الفاسِدَةِ ماراَوْهُ من سَرَيانِ الوحْدَةِ في المَوْجُودات ، وأنّ وجودَ كل شيءٍ مُتَعلّقٌ بوجود الباري تعالى . وسَمِعُوا مع

= التاريخية . واشتغل بالرياضيات والفلك ، واطلع على مدونات المصريّين والبابليّين عن الأجرام السماويّة . وفي الموسوعة الفلسفية المختصرة : (٢٨٠) ويبدو أن طاليس قد قال بأن الأشياء كلها مملوءة بالآلهة » وفسّرت هنا بمعنى أنها مملوءة بالروح أو الحركة ، ومبدأ الحياة الذي بسبب سعته وقوته لابدّ أن يكون إلهيّاً .

وفي الموسوعة الفلسفية ١ : ٢٢٧ قال د. بدوي : وهم يذكرون عن طاليس أنه كان يقول بإلّهٍ واحد ، وأن هذا الإلّه يختلف عن الإنسان ، وأن صفات الله ليست تلك الصفات التي ينسبها الشعراء إلى الآلهة فإنها صفات إنسانية خالصة . ثم قال : إن مَا ينسب إليه من هذه الناحية مشكوك فيه .. الخ ويراجع مقاله فيه .

(٨١) في ط : إن الله تعالى ثابت في الأشياء .

(٨٢) زينون : هو زينون الإيلي (نحو ٤٩٠ ـ ٤٣٠ ق . م) من تلاميذ برمنيدس أول الفلاسفة الحقيقيّين في المدرسة الإيليّة .

قال د. بدوي في الموسوعة الفلسفيّة « ويعدّه البعض أوّل فيلسوف ميتافيزيقي وجد في بلاد اليونان ، خصوصاً إذا لاحظنا أنه قد قصر بحثه على فكرة الوجود ، ونظر إلى الوجود بحسبانه شيئاً مجرّداً وليس هو الطبيعة نفسها ، كما أضاف إلى الوجود الصفات الأصليّة التي تجعل من هذا الوجود كالألوهية سواء بسواء ، ولهذا لم يكن يفرّق بين الوجود والآلهة .... فالوجود أوّلاً يتصف بالوحدة لأنه لاشيء غير الموجود ، ويتّصف ثانية بالثبات .. » .

(٨٣) في ط : هي الله .

هذا[٨٤] قول القُدَماء من الحُكَماء : إنَّ اللهَ تعالى مع كل شيء[٨٥] فَتَنَتَّجَ لهم من ذلكَ هذا[٨٦] التوهُّمَ الخَبيثَ ؛ ولم يفكّروا في أنَّ[٨٧] ذلك يَقُودُهم إلى المُحَال ، لأنّه لو كانَ كذلك لكانَ البارئ تعالى مَحْمُولاً في غَيْرِه ، لأنَّ كُلَّ صورةٍ مفتقِرَةٌ إلى مَوْضُوع يَحْمِلُها[٨٨] . ويَلْزَمُ من ذلكَ أن يكونَ العالَمُ قَديماً ، وتبطلُ دلائلُ الحُدوث ، ويلزمُ منه[٨٩] أن يكون البارئ تعالى واقِعاً تَحْتَ الأَزْمِنَةِ ، مَحَلاً[٩٠] في الأمكنة في اسْتِحَالةٍ دائمة ؛ لأَنَّ من شَأن الهَيُولى أن يَلْبَسَ الصُّورة تارةً ، ويَخْلَعها تارة ، وأن يكونَ البارئ تعالى شخصاً تارةً[٩١] ، وتارةً نوعاً . وتارَةً جِنْساً ، [وتارةً فَصْلاً][٩٢] ، وتارَةً فاعلاً وتارةً [٢١] مُنْفَعِلاً .

وشِبْهُ هذا من المُحال[٩٣] . نعوذُ بالله من الخِذلان !

ومِثْلُ هؤلاء إنّما يُعَدُّونَ في سُخَفَاء الفَلاسِفَةِ لا في عُقَلائهم[٩٤] ، وفي

(٨٤) في ط : وسمعوا مع ذلك

(٨٥) في ط : إن الله تعالى في كل شيء فأنتج

(٨٦) كلمة (هذا) لم ترد في : ط .

(٨٧) في ط : لم يفكروا أنّ

(٨٨) في ط : موضوع يَحُلُّها

(٨٩) في ط : ويلزمهم أن

(٩٠) في ط : مُحْتَملاً

(٩١) في ط : تارةً شخصاً .

(٩٢) ما بين معقوفتين من ط فقط . وتتمة العبارة لم ترد في ط .

(٩٣) في ط : من المحالات .

(٩٤) في ط : ومثل هؤلاء يُعَدّون من سخفاء ... لا من ...

جُهّالهم لا في عُلَمائِهم[٩٥] .

وقد أجْمَع العارِفُونَ بالله ـ عَزّ وجَلَّ ـ[٩٦] أنَّ الله تَعالى مُبَايِنٌ للعَالَمِ من جَميعِ الجهاتِ : لا يُشْبِهُ شيئاً ولا يُشبهُه شيء[٩٧] مُبَاينةً لا تَقْتَضِي تَحَيُّزاً بِمَكانٍ وانْفِصَالاً ؛ وأنّه موجُودٌ[٩٨] مع كل شيءٍ وجوداً لا يَقْتَضِي مُمَازَجَةً واتِّصَالاً ، بل صِفَةٌ مُبَايِنَةٌ ؛ وصِفَتُه صِفَةٌ لا تُحيطُ بِهَا العُقول[٩٩] . وإنَّما يُعْلَمُ ذلكَ بِمَا يدلُّ عليه الدَّليلُ[١٠٠] من غَيْرِ تَصْوِيرٍ وَلا تَمْثِيلٍ كسائرِ صِفَاتِه الّتي تُثْبَتُ ولا تُكَيَّفُ .

وقد رَدَّ أرسطاطاليس[١٠١] كُلَّ قَوْلٍ من هذه الأقوالِ[١٠٢] ، وأنْكَرَهُ ، وضَلَّل قائله وكَفَّرهُ .

فإنْ قال قائلٌ : كَيْفَ أَنْكرَ هذه الأقْوالَ[١٠٢] وكَفَّرَ مَنْ قالَها ، وهو قد قَالَ[١٠٣] في كتابه المَرْسُوم بـ (مابَعْدَ الطَّبيعة) إن البارئ تعالى عِلَّةٌ

(٩٥) في ط : ومن جهالهم .. لا من علمائهم .

(٩٦) في ط : وأجمع العارفون بالله تعالى على أن الله عزّ وجلّ مباينٌ .. الخ

(٩٧) في ط هنا تقديم وتأخير بين العبارتين .

(٩٨) في ط : وأنّه موجود منه كلُّ شيء .

(٩٩) في ط : بل صفة جليّة وصفية لا تحيط بها العُقول .

(١٠٠) في ط : بما تدلُّ عليه الدلائل .

(١٠١) في ط : أرسطو .

(١٠٢) في ط : من هذه الأقاويل .

(١٠٣) في ط : وهو قال في كتابه الموسوم .

ـ كان أرسطو يسمّي كتابه هذا : الفلسفة الأولى ، وإنما سمّاه : مابعْد الطبيعة أندرونيقوس (عاش في القرن الأول قبل الميلاد) ويتألف من أربع عشرة مقالة .

للعالم[١٠٤] ، على مَعْنى أَنّه فاعِلٌ لهُ ، وأَنّه غايَةٌ له ، وأَنّه صورَةٌ [له] .

فالجَوابُ : أَنّهُ لم يُرِدْ ماتوهَّمْتَهُ[١٠٥] . وكيفَ يصحُّ أن يُنكِرَ شيئاً ويقول بمثله ؟[١٠٦] وقد صَرَّحَ بأنّ البارئَ ـ سُبْحانَهُ ـ[١٠٧] لا يُوصَفُ بالصُّورة الشَّخْصيَّةِ ولا بالصُّورة النَّوْعيَّة ولا بصِفَةٍ يَلْحَقُهُ بها نَقصٌ ـ تَعالى عَنْ ذلِكَ ـ وأَنّهُ مُبايِنٌ[١٠٨] للأشْياء غيرُ مَوْصُوفٍ بصفاتها فَثَبَتَ بهذا أنّه إنّما وَصَفَهُ بأنّه صورَةٌ للعالَمِ بمعنى لا يَلْحَقُهُ به نَقْصٌ ولا شِبْهٌ كما يُسَمّى حَيّاً وعَالِماً وقَادِراً ونَحْوَ ذلك على معَانٍ [لا تُوجِبُ شُبَهاً ، ولا تقتضي نَقْصاً ، وذلك على ثلاثةِ معانٍ][١٠٩] :

أَحَدُها :

أَنّهُ لمّا لَم يكُنْ وُجودٌ على الحَقيْقَةِ[١١٠] إلاّ البَارِئَ تَعالى ومَصْنُوعاتُه ، ولم يَكُنْ لَهُ ضِدٌّ ولا نِدٌّ ، وكانَ هو المَوْجُودَ على الإطلاق ، فَوُجودُ[١١١] مَصْنُوعاتِه مُقْتَبَسٌ من وجُودِه حَتّى إنّهُ لو تُوُهِّمَ ارتفاعُه تَعالى لارْتَفَعَ كُلُّ مَوْجُودٍ وصَارَ وُجودُ العالَمِ كَلا وُجود إذْ لم يكنْ لَهُ قَوامٌ بذاتِه ؛ وصارَ

---

(١٠٤) في ط : عِلّةُ العالَم على معنى أنه فاعِلٌ ، وأنه غاية له ، وأنّه صورة له .

(١٠٥) في ط : ماتوهَّمَهُ .

(١٠٦) في ط : وهو يمثّله .

(١٠٧) في ط : وقد صرّح بأن البارئ تعالى لا يوصف بالصورة الخ .

(١٠٨) في ط : وإنما هو مباين للأشياء بمعنى أنه غير موصوف .

(١٠٩) مابين معقوفتين مستدرك من : ط .

(١١٠) في ط : أنه لمّا لم يكن موجوداً بالحقيقة إلا الباري .

(١١١) في خ : ووجود . والمثبت من : ط .

كأنَّـهُ مَوْجُودٌ واحِـدٌ[112] ، وصـارَ كأَنّـه صورةً لَـهُ إذْ كانَ وجودُهُ[113] بـه كما يوجَدُ المُصَوَّرُ بصُورتهِ ـ وإن كان تَعالى لا يوصَفُ بالصُّورة ـ

وقد قال أفْلاطُون[114] نحو هذا في كتاب طِيْمَاوُس ؛ وذلكَ أنَّهُ قَال :

« ماالشَّيءُ الَّذِي هو موجودٌ الدَّهْرَ وليس له تَكَوُّنٌ البتَّةَ ؟

ومـا الشَّيْءُ الـذي[115] يتكَـوَّنُ [٢٢] الـدَّهْرَ ولَيْسَ لـه البتَّـةَ وجُود ؟[116] » .

فَالأوّلُ[117] : الأنْواعُ والأَجْناس ، والثَّاني : الأشْخَاص .

فجَعَل الأَشْخاصَ الَّتي هي مَوْجُودَةٌ عِنْدَنا[118] كَـأَنَّهـا غيرُ مَوْجُودةٍ ؛ لأَنَّهـا في سَيَلانٍ مُتَّصِـلٍ ، واسْتِحَـالَـةٍ دائمَـة . وأَثْبَتَ الـوُجـودَ لأنـواعِهـا وأَجْنـاسِهَـا وإنْ كانَت غَيْرَ مَوْجُودَةٍ بـالحَـواسّ عِنْـدَنـا لِثَبـاتِهـا عَلى حـال

(١١٢) في ط : وصار كأنه موجوداً واحداً .

(١١٣) في ط : موجوداً به .

(١١٤) من كتب أفْلاطُون : كتاب طيماوس : (الموسوعة الفلسفية ١ : ١٥٧)
ـ وصدر الكتاب في ترجمة عربية ، في دمشق ١٩٦٨ عن وزارة الثقافة والإرشاد القومي (ترجمة الأب فؤاد جرجي بربارة وتحقيق ألبير ريفو وتقديمه : بعنوان ، الطيماوس واكريتيّس) .

(١١٥) في ط : الشيء الذي ... والشيء الذي يتكوّن

(١١٦) في ط : يتكون في الدهر ليس له وجود البتّة .

(١١٧) في ط : أرادَ بالأوّلُ : الأنواع ... وبالثّاني ...

(١١٨) في خ : عندها . والمُثْبَتُ من : ط .

واحِدَةٍ[١١٩] لاتَتَغيَّرُ عن طَبْعِها . فَهكـذَا جَعل أَرِسْطـاطـاليس[١٢٠] العـالَمَ حين كانَ لاقَوامَ له بِنَفْسِـهِ ، كأنَّـهُ غيرُ موجود ، وجعلَ الوجودَ[١٢١] إنَّما هو البـاريُ عَزَّ وجَلَّ وَحْـدَهُ ، وجَعَلـهُ كالصُّورةِ الَّتي لا يُوْجَـدُ الْمصَوَّرُ إلاّ بهـا تَقْريبـاً لا حَقِيْقَـةً حين كانَ وُجودُه سَببـاً لِوُجودِهَـا[١٢٢] كما تكونُ الصُّـورةُ سَبباً لوجودِ مُصَوِّرها .

وتُسَمّي الصُّوفِيَّةُ هذا : الفَناءَ[١٢٣] في التَّوْحيـد ، ويَروْنَـهُ أرْفَعَ مَراتِبـه فهذا أَحَدُ المعَاني الّتي بها سُمِّيَ[١٢٤] البارئ تعالى صُورَةً للأَشياء .

والمَعْنى الثَّاني :

أَنَّه تَعالى أَفَاضَ من وَحْدَتِه على كُلِّ مَوْجُودٍ ماصارَت*[١٢٥] له بِهِ هُوِّيَّةٌ يَتَصَوَّرُ بها : فكُلّ مَوْجُودٍ إنّما يُوْجَـدُ بِتلـكَ الوَحْـدَة الّتي سَرَتْ مِنْـهُ إلَيْـهِ بِصُورته[١٢٦] .

---

(١١٩) في ط : على حال واحدٍ لاتتغيَّر .

(١٢٠) في ط : أرسطو .

(١٢١) في ط : وجعل الموجود هو الباري وحده

(١٢٢) في ط : سبباً لوجوده

(١٢٣) في ط : ويُسَمّي هذا الصوفيةُ : الفناءَ ... الخ .

- وفي خ : « هذا لبنا في التوحيد » . وأثبت كلمة الفناء من : ط .

(١٢٤) في ط : يُسَمّى .

(١٢٥) في ط : ما صار .

(١٢٦) في ط : بصورتها .

والمَعْنى الثّالث :

أنَّ الصُّورةَ هي غايَـةُ المُصَوَّرِ وكَمالُـه : لأنَّ الشَّيْءَ إذا كانَ بـالقُوَّةِ فهوَ على كَمالِـــه الأوَّل . فـإذا خَرج إلى الفِعْـلِ كانَ عَلى كمالِـــه الآخر[١٢٧] . وخرُوجُه من القُوَةِ إلى الفِعْلِ إنَّما هو بالصُّورة .

فلمّـا كانَ البـارئُ تَعـالى هو الّـذي أخْرَجَ العـالَمِ من القُوّة إلى الفِعْل ، أعني من العَدَمِ إلى الوُجودِ ، صارَ مِن هذا الوَجْهِ كأنَّـهُ صُورةٌ للعـالَمِ[١٢٨] ، وإنْ كانَ غَيْرَ صورةٍ على الحَقِيْقَة .

وسَترى[١٢٩] كلامنا ، فيا بَعْدَ هذا ، بما يَزِيدُ[١٣٠] هذا المَعاني وُضوحاً : إن شاء اللهُ تعالى .

---

(١٢٧) في ط : صار على كماله الآخر .

(١٢٨) في ط : صورة العالم .

(١٢٩) في ط : وسترى في كلامنا .

(١٣٠) في ط : بأزيد من هذه المعاني ...

الباب الخامس

في شَرح قَوْلِهم : إنّ صِفاتِ البَارئ تَعالى لا يَصِحُّ أَنْ يُوصَفَ بِهَا إلاّ عَلى وَجْهِ السَّلْب

اعلَمْ أَنَّ الصِّفاتِ نَوْعان :

نوعٌ يوصَفُ به[1] الْمَوْصُوفُ لإزالةِ اشْتِرَاكٍ يكونُ بَيْنَهُ وبينَ مَوْصُوفٍ آخَر ، كقولكَ : « جاءَني زَيْدٌ » والْمُخاطَبُ يَعرِفُ رَجُلَيْن كُلُّ واحِدٍ مِنْهُما يُسَمّى بهذا الاسم ، أو رِجالاً : كُلُّ واحِدٍ منهُمْ لهُ هذا الاسم [٢٣] فيَحتاجُ الْمُخْبِرُ أنْ يَصِفَهُ بِصِفَةٍ يَمْتازُ بها عِنْدَ الْمُخاطَبِ ممَّن يشارِكُه في اسْمِهِ .

والنَّوْعُ الآخَرُ : لا يُرادُ بهِ إزالةُ اشْتِراكٍ[2] ، ولكنْ يُرادُ به مَدْحُ الْمَوْصُوف ، أو ذَمُّه . والمخاطَبُ غَنِيٌّ عن أنْ يوصفَ لهُ المذكورُ ؛ كقولِ القائِل : رأيْتُ ابْنَكَ النَّجِيْبَ ، ولَيْسَ لِمَنْ تُخاطِبهُ إلاّ ابنٌ واحِدٌ ؛ ونَحْوِ ذلك .

وصِفَاتُ البارئ ـ جَلّ جَلالُه ـ كُلُّها من هذا النَّوع الثّاني[3] ؛ إنّما هِيَ صِفاتٌ يُمَجِّدُهُ بها الواصِفُونَ ، ويُثْني عليهِ بها الْمُثْنُوْن .

---

(١) في ط : يوصَفُ بها لإزالة الاشتراك .

(٢) في ط : الاشتراك .

(٣) في ط : من هذا النوع ، وهذا النوع إنما هو صفاتٌ .. إلخ .

ولَمّا كانَ البارئ ـ جَلَّ جلالُه ـ بائناً عن جَميع الْمَوْجُوداتِ[٤] غير مُشَبَّهٍ بِشَيْءٍ من الْمَخْلُوقات صارَ الْمُثْنِي عَلَيْهِ مُقَصِّراً في ثَنائه ـ وإنْ اجْتَهَد ـ غَيْرَ بالِغٍ[٥] مَا يَسْتَوْجِبُه ـ وإن عَظَّم ومَجَّد ـ .

وبيانُ ذلكَ أنَّ الْمَدْحَ ثَلاثَةُ أنواع[٦] :

إفراطٌ ؛

واقتصادٌ ؛

وتَقْصِيْر ؛

فالإفراطُ : أن يَرْفَعَ المادِحُ الْمَمْدوحَ إلى مَرْتبةٍ أرْفع مِنْ مَرْتَبَتِهِ ، وَمَنْزِلَةٍ أعْلَى مِنْ مَنْزِلَتِهِ .

والاقْتِصَادُ : أن لا يَتجاوَزَ بهِ مَرْتَبَتَهُ ، ولا يَتَخَطَّى مَنْزِلَتَهُ .

والتَّقْصِيْرُ : أنْ يَحُطَّهُ عن مَرْتَبَتِهِ ، ولا يُوَفِّيَهُ حَقَّ مَنْزِلَتِهِ .

فالوجْهانِ الأوّلان مُحالٌ[٧] في وَصْفِ البارئ تعالى ؛ لأنَّهُ لا يُمْكِنُ المَادِحُ[٨] أنْ يَمْدَحَهُ بما يَسْتحِقُّهُ ويَسْتَوْجِبُه ؛ لأنَّ مرتَبَتَهُ مَجْهُولَةُ الْكُنْهِ ، لا تُحيطُ بها العُقُولُ ؛ وليسَ فوق مَرْتَبَتِهِ مَرْتَبَةٌ أعْلَى منها فَيُرْفَع[٩]

---

(٤) في ط : جميع الْمُحْدَثات غير مُشْبِهٍ لِشَيْءٍ .

(٥) في ط : غير بالغ لما .

(٦) في ط : على ثلاثة أنواع .

(٧) في ط : مُحالان .

(٨) كلمة (المادح) لم ترد في : ط .

(٩) في ط : فيرفعه .

إلَيْها : لأنَّهُ نهايةُ الأشياء وغايَتُها فليْسَ في مَدْحِ المادِحِ لَهُ إفراطٌ ولا اقْتِصَادٌ . وكُلُّ مادِحٍ لـه مُقَصِّرٌ في مَدْحِه غَيْرُ واصِفٍ لَهُ بالوَاجِب من حَقِّه ، لأنَّه يَصِفُه بصفاتٍ : الْمَعْقُولُ منها[10] معانٍ مُخالِفَةٌ لِما هُوَ عَلَيه . فإذا قالَ : إنّه حَيٌّ ، [11]وإنَّهُ عالِمٌ ، وإنه سَمِيْعٌ[11] ، وإنَّهُ بَصِيرٌ ، فإنَّما يَصِفُهُ بِصِفاتٍ إنْ حُمِلَتْ على تَعَلُّقِهِ بِجُزْءٍ منها لم تَلِقْ بهِ عَزَّ وَجَلَّ ، وأوجَبَتْ شَبَهَهُ بالْمَخلُوقاتِ ، تَعالى عَنْ ذلك[12] .

فَلِهذه العِلَّةِ افْتَرقَ النَّاسُ في وصْفِهِ ـ جَلَّ جَلالُه ـ فِرْقَتَيْن : فقالت فِرْقَةٌ لاتُثْبِتُ لَهُ صِفَةً على طَرِيقِ الإيجاب ؛ لأنَّ ذلكَ يُوجِب شَبَهَهُ بِخَلْقِهِ ، ولكِنْ تُسْلَبُ عَنْهُ أضْدادُ هذهِ الصِّفاتِ ؛ فلا نَقُولُ عنهُ[13] : عالِمٌ ، ولكِنْ نقولُ : ليسَ بجاهِلٍ ؛ ولا نقولُ : هو[14] قادِرٌ ولكِنْ ليسَ بعاجِزٍ ؛ ولا نقولُ : هُوَ مَوْجُودٌ ، ولكِنْ : ليسَ بِمَعْدُوم .

وقالَتْ فِرْقَةٌ ثانِيَةٌ : نُوجِبُ لَهُ الصِّفاتِ [٢٤] ونُتبِعُها حَرْفَ السَّلْبِ لِنُزِيلَ ماتُوُهِّمَ فيهِ من التَّشْبِيه بالْمَخْلُوقين[15] ؛ فنقولُ : هو حَيٌّ لا كالأَحْياء ، وعَالِمٌ لا كالْعُلَمَاء ، ومَوْجُودٌ لا كالْمَوْجُودات .

(١٠) في ط : المعقول فيها .

(١١) ـ (١١) مابين هذين الرقمين لم يرد في : ط .

(١٢) في ط : إنْ حُمِلَتْ على مانَعْقِلُهُ نَحْنُ مِنْها لَمْ يَلِقْ به عزّ وجَلّ ، بَلْ هذا رأيٌ خبيثٌ من الّذينَ شَبَّهوهُ بالمَخْلوقات ، تَعالى عن ذلك .

(١٣) كلمة (عنه) لم ترد في : ط .

(١٤) في ط : ولا نقولُ : قادرٌ ، ولكنْ نقولُ : ليسَ بعاجزٍ ، ولا نقول هو موجودٌ ولكن نقولُ : ليس بمَعْدوم .

(١٥) في ط : من الشَّبه للمَخلوقات .

قَالُوا :

وإذَا قُلْنَـا : هو حَيٌّ ، ومَوْجُـودٌ ، وعـالِمٌ ، وقـادِرٌ ؛ ولم نَـذْكُرْ حَرْفَ السَّلْبِ فـإنَّما نَتْرُكُ[١٦] ذاكَ اخْتِصَـاراً ؛ ولا بُـدَّ منْ أنْ يكـونَ مُضمّنـاً في الصِّفَةِ ، وإنْ لمْ يَكُنْ مُضَمّناً فيها لم تَصِحَّ[١٧] .

فإنْ قالَ قـائلٌ : منْ أيْنَ كَرِهَت الفِرْقَـةُ الأُولى إيجـابَ الصِّفـةِ ، وأبوْا أنْ يصِفُوه إلاّ علَى وَجْـهِ السَّلْبِ ، وقـد علِمْنَـا أنَّ قَوْل القَـائِـلِ : « زَيْـدٌ ليسَ بِجَاهِلٍ » يُفيد ما يُفيدُه قَوْلُنا : « زَيْدٌ عَالِمٌ » ؟

فـالْجَوابُ أنَّ الْقَوْلَ الْمَنْفِيَّ لا يُـوجِبُ حُكْماً غيرَ حُكْمِ النَّفْي ، وليسَ يَحْصلُ منهُ[١٨] تشبيهٌ ولا تَمثيلٌ يَقَعُ بِهِمَا قِياسٌ كما يَحْصُلُ من الإيجـاب . ألا تَرى أنَّـكَ إذا قُلتَ[١٩] : « زيـدٌ غيرُ قـائمٍ » و « عَمْرٌو غَيْرُ قـائِمٍ » فقـد نَفَيْتَ[٢٠] عَنْهُما جَميعـاً القِيَـامَ ، ولم تُـوجِبْ لهما اجْتِمَـاعـاً في معنىً آخَر ؛ لأنَّهُ[٢١] قد يجوزُ أن يكونَ أحَدُهما قاعِداً والآخَرُ نـائِماً [أو] مُضْطَجِعـاً[٢٢] وكِلاهُمَا غير قائم ؟..

---

(١٦) في ط : نتركهُ .

(١٧) في ط : لم يصحّ .

(١٨) في ط : يحصلُ فيه .

(١٩) في ط : أنّا إذا قلنا .

(٢٠) في ط : فإنّا نَفَيْنا .. ولم نوجب .

(٢١) في ط : إلاّ أنه .

(٢٢) حرف (أو) زيـادة من عنـدي . والـذي في المطبـوع : ... أحـدهمـا قـاعـداً والآخر مضطجعاً ..

وكَذلكَ أنَا[٢٣] إذَا نَفَيْنَا عن نَفْسَيْنِ البَياضَ لم نُوجِبْ لَهُمَا اجْتِمَاعـاً[٢٤] في لونٍ آخر من حُمْرَةٍ أو صُفْرَةٍ أو سَوادٍ أو غَيْرِ ذلك .

وكذلكَ لو شَهِد شاهدانِ عندَ حكمٍ[٢٥] بـأنَّ زَيْـداً لم يَبعْ ضَيْعَتَـهُ من عَمْرٍو ولم يَكُن مُوجِباً أنَّ عَمْراً لا يَمْلِكُها[٢٦] ؛ لأنَّ للمِلْكِ وجُوهـاً كثيرةً غَيْرَ البَيْع . فليسَ في شهـادَتِهِما أكثَرُ من نَفْيِ البَيْـع . وهـذا أمْرٌ مُتَّفَـقٌ عليـهِ في الأضـدادِ الَّتي بَيْنَهُمَا وَسائِط . فأمّا الأضداد التي ليسَ[٢٧] بَيْنَهُمَا وَسائط ففيها خِلافٌ .

فقَوْمٌ يَرَوْنَ أنّ القـائِـلَ إذا قـالَ : « في الـدّارِ رَجُـلانِ أحَـدُهمـا لَيْسَ بِحَيٍّ » فقَدْ أوْجَبَ أنَّ الآخَر حَيٌّ .

وقَوْمٌ يَرَوْنَ أنَهُ لم يُوجِبْ أكْثَر من مَوْتِ الّذي نَفَى عنهُ الْحَيَاةَ فَقط .

وكذلك إذا قالَ[٢٨] : « أحَدُهُما حَيٌّ » فَقـدْ أوجَبَ الْمَوْت للآخَر عِنْـدَ مَنْ رأى[٢٩] الرّأيَ الأوَّل . وليسَ فيه إيجابُ مَوْتِ الآخر على رأيِ مَنْ رَأى الرّأي الثّاني .

ولا حَاجَةَ بِنـا إلى ذِكْرِ مـا احْتَجَّ بِـهِ كُلٌّ واحـدٍ من الْفَرِيقَيْن في هـذا

---

(٢٣) في ط : وكذلك إذا نفينا عن جسمين .

(٢٤) في ط : اشتراكاً .

(٢٥) في ط : حاكم .

(٢٦) في ط : ... لم يكن ذلك موجباً إلا أن يكون عمرو ملكها ؛ لأنّ للملك ...

(٢٧) في ط : ليست .

(٢٨) في ط : كان أحدهما حيّاً .

(٢٩) في ط : ... فقد أوجب موتَ الآخر على رأي من رأى ..

الْمَوْضِع ؛ لأنَّ ذلكَ ليسَ مِمّا قَصَدْناهُ ؛ وإنَّما قصَدْنا ها هُنا شَرْحَ مَعْنى قَولِهم : إنَّ صِفَاتِ البارِئ ـ جَلَّ جلاَلُه ـ لا تَصِحُّ حَتّى يُقْرَنَ بها حَرْفُ السَّلْب [٢٥] .

بابُ ذِكْرِ الشُّبَهِ

الَّتي اغْتَرَّ بِهَا[٣٠] مَنْ زَعَمَ أَنَّ صِفَاتِ اللهِ[٣١] مُحْدَثَةٌ جَلَّ عَنْ ذلك

اعلَمْ ـ عَصَمَنَا اللهُ وَإِيَّاكَ مِنَ الضَّلاَلَةِ ، وأَرَانَا سُبُلَ العِلْمِ والْجَهالَة[٣٢] ـ أنَّ مادَعا هؤلاءِ القَوْمِ[٣٣] إلى هذا الاعتقادِ الْخَبيث أَنَّهُمْ رَأَوا أَنَّ إثباتَ الصِّفاتِ لا يَصِحُّ إلاَّ على وَجْهَيْن :

أَحَدُهما : العَقْلُ والنَّظَر .

والآخَرُ : السَّمْعُ والبَصَر[٣٤] .

---

(٣٠) في ط : باب ذكر التشبيه الذي اغترّ به ..

(٣١) في ط : ـ تعالى عن قولهم ـ .

(٣٢) في ط : سبل العلم والهداية .

ـ وقوله : سبُل العِلْم والجهالة : أي : معرفة طريقي العلم والْجَهْل للتميز بينهما . ولكل من عبارتي (ط) و (خ) وجه مقبول .

(٣٣) في ط : أن السبب الذي دعا هؤلاء القوم إلى هذا الرّأي الخبيث أنّهم ..

(٣٤) في ط : السَّمْعُ والْخَبر .

ولا طَريقَ إلى إثْباتِها إلا[٣٥] مِن هذينِ الْوَجْهَيْن . [٣٦]وإنما يَصِحُّ كُلُّ واحِدٍ من هذين الْوَجْهَيْن[٣٦] بِوُجودِ الْمُحْدَثاتِ . فلمّا كانَ البارئُ ـ تعالى ـ في القِدَمِ قَبْلَ حُدوثِ الأشياءِ مُنْفرِداً بالوُجودِ ، ولَمْ يكنْ هُناكَ مَوْجُودٌ يُسْتَدَلُّ عَلَيْهِ بآثارِ مَصْنُوعاتِه[٣٧] ، ويُخاطِبُهُ هو تَعالَى بمَشْرُوعاتِهِ لم يكُنْ حِينئذٍ موصوفاً بِصِفَةٍ لِعَدَمِ المخاطَبِيْنَ والْمُعْتَبِرِيْن . فلمّا أحْدَثَ الْمَوْجُوداتِ وَقَعَ حِينَئذٍ الاسْتِدْلالُ عَلَيْهِ ، ومُخاطَبَتُهُ للبَشَرِ[٣٨] بأنّه حَيٌّ وبأنّهُ عالِمٌ ، وبأنّهُ قادِرٌ ، ونحو ذلك : فَوُصِفَ حِينَئذٍ بالصّفاتِ ، ووصَفَ نَفْسَهُ هُوَ بِها . فَصارتْ الصّفاتُ مُحْدَثَةً بِحُدوثِ الْمَوْجُوداتِ .

ومَنْ لا يُقِرُّ بالنُّبوّاتِ ، ولا يَعْتَرِفُ بأنَّ اللهَ بَعَثَ بَشَراً فالصّفاتُ على رَأْيِهِ أُمورٌ أحْدَثَها الْمَخْلُوقونَ[٣٩] ، ثم اسْتَدلُّوا عَلَيْهِ بآثارِ مَصْنُوعاتِه ، واشْتَقُّوا[٤٠] لهُ مِن أفْعالِهِ وما تقرَّرَ في نُفوسِهِمْ من مَعْرِفَةِ صِفاتٍ وَصَفُوه بِها .

فَيُقالُ[٤١] لِمَنْ قالَ بِهذا القَوْلِ الفاسِدِ : هذا الّذي قُلْتُموهُ[٤٢] لا يُبْطِلُ

---

(٣٥) أكثر من هذين الوَجْهَين .

(٣٦-٣٦) ما بين هذين الرقمين لم يرد في ط ، وسقط منه سهواً .

(٣٧) في ط : بآثاره ومصنوعاته ، ومخاطبته .

(٣٨) في ط : ومخاطبته البشر .

(٣٩) في ط : المخلوقات .

(٤٠) في ط : بآثاره ومصنوعاته فاشتقّوا .

(٤١) في ط : فنقول .

(٤٢) في ط : ... هذا الذي قُلْتُمُوه من معرفة أنّه صفاتٌ وَصَفُوه بها لا يُبْطِلُ ...

أنْ يكُونَ مَوْصُوفاً بالصّفاتِ النَفسانِيّـة فِي الأزَلِ ، فيكونَ عـالِماً ، قـادِراً [مُرِيداً] ، مَوْجُوداً وَإنْ لم يكُنْ هُناكَ مَخلوقٌ يَسْتَدِلُّ أوْ يُخاطَبُ[٤٣] .
وليسَ من جِهَةِ الشّرط[٤٤] في الصّفاتِ النّفْسانِيّة ألاّ تَثبتَ لِمَوْصُوفِها حتّى يُوجَدَ مَنْ يَصِفُه بِهَا ، ويُخاطَبَ بصِحَّتِها .

وإنّما حَدثَ العِلْمُ لِلْعُلَماءِ[٤٥] مِنَ الْخَلْقِ بـاعْتِبـارِهِم ، وبِمُخـاطَبَـةِ اللهِ إيّاهُمْ بعدَ أنْ كانُوا جُهّالاً بالصّفاتِ .

وأمّا الصّفاتُ أنْفُسها فَثابِتَةٌ له تعالى ، لا يُبْطِلُهـا جَهْلُ مَنْ جَهِلَهَـا كَما لا يُثْبِتُها عِلْمُ مَن عَلِمَها .

ويَدُلُّ[٤٦] على صِحَّةِ قَوْلِنا وبُطْلانِ قَولِهِمْ أنَّ الكاتِبَ لا يُبْطِلُ كِتابَتَـهُ عَدَمَ الْمَكْتُوب ؛ وكـذلِـكَ البَـانِي لا يُبْطِلُ صِفَتَـهُ بـالبُنْيـان عَـدَمُ [٢٦] الْمَبْنِيّ ولا يَلْـزَمُ إذَا عَلِمْنَـا الشَّيءَ أنْ يكُـونَ الْمَعْلُـومُ والعِلْمُ [معـاً][٤٧] بـالزّمـانِ ؛ ولكنْ العَـالِمَ قَـد يَعْلَمُ الشَّيْءَ المـوجُـود في وَقْتِ عِلْمِـهِ ، وقَـدْ يَعْلَمُه[٤٨] بَعْدَ مُضِيِّهِ ، ويَعْلَمُ أنَّهُ سَيَكُونُ في الوَقْتِ الّـذي يَجِبُ أنْ يكونَ فيه .

(٤٣) في ط : مخلوقٌ يُستَدلُّ به أو مخاطَبٌ .
(٤٤) في ط : وليس من شروط الصفة النفسانية .
(٤٥) في ط : للحكماء . وفي بلاثيوس : العالم للحكماء . وفي ط : أو بمخاطبة الله ايّاهم .
(٤٦) في ط : وقد دلّ .
(٤٧) في ط : « العلم والمعلوم معاً » . وزدنـا (معـاً) من ط . وقـد ترك لهـا نـاسـخ (خ) فراغاً .
(٤٨) في خ : « يعلم » . وأثبتنا ما في : ط .

ومنَ الدَّليلِ على فَسادِ ماقالوهُ أنّ من صِفَاتِهِ ـ عَزَّ وَجَلّ ـ ما يَتعَلَّقُ بالذَّاتِ[٤٩] كَقَوْلِنا : إنَّهُ شيءٌ ، وإنَّهُ موجودٌ ، وإنَّهُ حَيٌّ . فيجبُ على هذا الرَّأي الفَاسِد أن يكونَ البارئُ تعالى كانَ في الأَزَلِ قَبْلَ خَلْقِ[٥٠] الأَشْيَاء غَيْرَ شيءٍ وغَيْرَ موجودٍ ، وغَيْرَ حَيّ[٥١] ؛ وهذا يُوجبُ أنّه كانَ مَعْدُوماً ، وَيلْزَمُهُم ـ إنْ كانت الصِّفاتُ مُحْدَثَةً مع الأشياء ـ أنْ يُخبِرُونا مَنْ أَحْدَثَها له . فإنْ كانَ هُوَ الّذي أَحْدَثَها لِنَفْسِهِ فكيفَ يَجْعَلُ نَفْسَهُ مَوجُوداً مَنْ هُوَ مَعْدُوم ؟ وشَيْئاً مَنْ لَيْسَ بشيء ؟ وحَيّاً مَنْ ليس بِحَيّ ؟ وحَقّاً مَنْ لَيْسَ بحَقّ ؟

وإنْ كان غَيْرُه أَحْدَثَها لَهُ : لم يَخْلُ ذلكَ الْغَيْرُ أنْ يكونَ إلَهاً آخَرَ غَيْرَهُ .

أو يكُونَ البَشَرُ هُمُ الّذِيْنَ أَحْدَثُوها له .

فإن كانَ أَحْدَثَها له إلهٌ آخَر فهو أحَقُّ بالعِبادَةِ منه .

وإن كانَ أَحْدَثَها البَشَرُ فكَيْفَ يُحْدِثُونَها لَهُ[٥٢] وهو الذي أَحْدَثَهم .

وإن جازَ للمَعْدُومِ أنْ يُحْدِثَ موجُوداً[٥٣] فَما الّذي يُنكِرُ مِنْ أنْ يكونَ العالَمُ هو الذي أَحْدَثَ نَفْسَه ؟

---

(٤٩) في ط : أنّ من صفاتِهِ عزّ وجلّ ما لا يتعلّقُ بالذّاتِ ، وما لا يَتَعلّقُ بشيءٍ من الموجودات ، وأنه موجودٌ وأنه حَقٌّ وأنّهُ حَيٌّ .

(٥٠) في ط : قبل خلقه الأشياء .

(٥١) في ط : وغير حقّ .

(٥٢) في ط : فكيف أحدثوها له ؟

(٥٣) كلمة (موجوداً) لم ترد في : ط .

وكيْفَ [يُحْدِثُ][٥٤] غيْرَهُ مَنْ هُوَ مُحْتاجٌ إلى أَنْ يُحْدِث نفسه[٥٥] ؟

وكيفَ يَصِحُّ أنْ يُوصَفَ بالأزَلِ مَنْ ذاتُه وصِفَاتُه مُحْدَثات ؟

فإن قالَ قائلٌ : فإذا أثْبَتّم له تَعالى الصّفاتِ فهَلْ تَقُولون إنّهـا راجعَـةٌ إلى الذّاتِ بِنَفْسِها[٥٦] أمْ إلى مَعانٍ غَيْرِ الذّات ؟

[٥٧]ففي هذه المَسْألةِ ثَلاثَةُ أقْوال :

أحَدُها :

أنّهـا تَرْجعُ إلى مَعـانٍ غَير الـذّاتِ ؛ وهو قَوْلُ الْمُجَسِّمَـة[٥٧] . وهـذا[٥٨] كُفْرٌ بَحْتٌ ، نَعُـوذ بـالله مِنْهُم ، لأنّهُمْ جَعَلُـوا البـارئَ تعـالى حـامِـلاً ومَحْمُولاً ، وجَوْهراً تَتَعلّقُ به الصّفاتُ والأعْراض . تَعالى اللهُ عَنْ قَوْلِهم .

والوَجْهُ الثّاني[٥٩] :

أنّها ـ على اختلافِها ـ تَرْجِعُ إلى الذّاتِ لا إلى مَعْنىً غَيْرِها زائـدٍ عليهـا بأنّهُ عالِمٌ وأنّهُ عِلْمٌ ؛ وأنّهُ حَيٌّ وأنّهُ حَياةٌ[٦٠] ، ذاتٌ واحِدَةٌ لا تَغايُرَ فِيها .

---

(٥٤) من : ط .

(٥٥) إلى مَنْ يُحْدِثُ نَفْسَه ؟

(٥٦) في ط : بعينها .

(٥٧ـ٥٧) مابين الرقمين لم يرد في : ط .

(٥٨) في ط : الأول قول المجسّمة ، وهو كُفْرٌ بحت نعوذ بالله منـه . وفي بلاثيوس : وهو كفر بحت .

(٥٩) في ط : والقول الثاني .

(٦٠) في ط : بأنه عالم وأنّه حيّ ، ذاتهُ واحدة لا تَغَيُّرَ فيها .

وكذلكَ سائرُ صِفاتِ الذّات .

وهـذا قَـوْلُ كُبَراء[٦١] الفَـلاسِفَـةِ وزُعَمائهم ؛ وإليـه ذَهَبَ الشّـافِعيّ وداوُود[٦٢] وجَماعَةٌ من عُلَماء [٢٧] المُسْلِمين .

وقَالَ قَوْمٌ :

لا تقولُ إنّها هو[٦٣] ولا إنّها غَيْرُه .

فاعْترضَ[٦٤] عليهم مَنْ قال : إنّها غيرُ زائـدةٍ على الـذّاتِ بـأنْ قـالُوا : « لَيْسَ يُعْقَلُ شَيْئـان ليسَ أحَـدُهـا الآخَر ولا هُو غَيْرُه[٦٥] » . فـاعْتَرض عَلَيْهم أصْحَـابُ هـذا القَوْلِ وقـالوا : من أيْنَ اسْتَحـالَ إثبـاتُ شَيْئَين ليسَ أحَـدُهُما الآخَر ولا هو غيره[٦٦] ؟ فـإنْ قُلْتُم : لأنَّ هـذا خِلافُ المَعْهُـودِ ، قُلْنا لكم : فكيفَ جَازَ لكُم أنْ يكونَ العالِمُ هو العِلْمَ ، والحياةَ هو الحَيّ ، والقادِرِ هو القُدْرة ؛ وهذا كُلُّهُ خِلافُ المَعْهُود ؟ فـإنْ جـازَ لكم هـذا جـازَ لَنا[٦٧] إثْبَـاتُ شَيْئَينِ لا يُقَـال إنَّ أحـدهمـا هو الآخر ، ولا هو غيرُه ، وإنْ كانَ خِلافَ المَعْهُود .

---

(٦١) في ط : أكثر .

(٦٢) الإمام الشافعي ، وداوود الظّاهري رأس المذهب الظّاهري .

(٦٣) في ط : لاتقولوا إنّها هي هو ولا أنّها غيره .

(٦٤) في ط : فإن اعترض .

(٦٥) في ط : بأن قال : لا يُعْقَلُ شيئان أحَدُهما ليس هو الآخر .

(٦٦) في ط : ليس أحدهما هو الآخر ولا غيره .

ـ قوله بعد هذا : « والحياة هو الحي » كذا ورد ترتيب الألفاظ في النسخ كلها .

(٦٧) في ط : ولم يَجُزْ لنا إثباتَ شيئين لا يقال إنْ أحَدَهُما ...

قَالُوا : ونَسْأَلُكُم : هَلْ يَجِبُ إذا قَامَ الدَّلِيلُ على صِحَّةِ شيءٍ[٦٨] أن يَبْطُلَ إذا لم يُوجَدْ لَه نَظِيرٌ من الْمَعْهُود أَمْ لا ؟ فَإِنْ أَوْجَبْتُم أَنَّهُ لا يَصِحُّ إثبَاتُ شيءٍ حتَّى يكُونَ لَهُ نظيرٌ من الْمَعْهُود لَزِمَكُم أَنْ يَبْطُلَ[٦٩] قَوْلُكُمْ : إنَّ العِلْمَ هو العالِمُ ، والْحَيَاةَ هو الْحَيُّ على ما قَدَّمنا . ولَزِمَكُم ألاَّ تُثْبِتُوا شَيْئاً ليسَ في زمانٍ ولا مَكانٍ ، ولا يُشْبِهُ شيئاً ، وَلا يُشْبِهه شيءٌ : لأَنَّهُ كُلَّهُ خِلافُ [الْمَعْهُود] .

وإنْ وجَبَ أن يَثْبُتَ الشَّيءُ إذا دَلَّ عليه الدَّليلُ من غَيْرِ أَنْ يُوجَدَ لَهُ نَظِيرٌ صَحَّ قَوْلُنا : إنّ صِفاتِ البارئ ـ تعالى وجَلَّ ـ لا يُقالُ إنّها هُوَ ولا[٧٠] إنّها غَيْرُه ؛ كما صَحَّ وصْفُه بأشياء يُخالِفُ جَمِيعُها الْمَعْهُود .

قالوا : فإن قال لنا[٧١] قائلٌ : فَمِنْ أَيْنَ صَحَّحْتُم[٧٢] قولَكُم وأَبْطَلْتُمْ قَوْلَ خُصومِكُمْ مِنَ الْمُعْتَزِلَة إنّ اللهَ عالِمٌ بلا عِلْم ، قادرٌ بلا قُدْرة ونحو ذلك ؟ وقد اسْتَوى قولُكُم[٧٣] وقَوْلُهم في أَنَّهُ خِلافُ الْمَعْهُود ؟.

فالجَواب : أَنّا إنّما قُلنا إنّ قَوْلَنا هو الصَّحيحُ لأنّ قَوْلَنا مَبْنِيٌّ على أصْلٍ صَحيحٍ يَجُوزُ أنْ يُوصَفَ اللهُ تَعالى به .

---

(٦٨) في ط : صحّة الشيء .

(٦٩) في ط : لزمكم بُطلان قولكم .

(٧٠) في ط : ولا يُقال .

(٧١) في ط : فإن قال قائل .

(٧٢) أي : من أين عددْتُموه (جعلتموه) صحيحاً ؟

(٧٣) في ط : قولك .

وقَوْلُهم مَبْنِيٌّ على أصْلٍ فاسِدٍ ، وهو أنَّ صِفاتِ اللهِ مُحْدَثَـةٌ ، وهُوَ أمْرٌ يُبْطِلُه الشَّرْعُ(٧٤) والعَقْل . وأيضاً فإنَّ نُصوصَ الشَّرْعِ تُصَحِّحُ قَوْلَنا وتُبْطِلُ قَوْلَهُم : لأنَّ اللهَ تَعالى قد أثبَتَ لِنَفْسِه عِلْماً في نَصِّ القُرآن . وتواتَرتِ الأخبارُ عن النَّبيِّ ﷺ بأنَّ لهُ قُدْرةً وإرادَةً ، ونَحْوُ ذلكَ مِمّا لاتَقْدِرُ المُعْتَزِلَةُ عَلى دَفْعِه(٧٥) .

وإنَّما في قولنا شُبْهَةٌ عَرَضَتْ وقَفْنا عِنْدَها(٧٦) . فإذا صَحَّ الأَصْلُ لَمْ يُتْرَكْ(٧٧) لِشُبْهَةٍ تَعْرِضُ في التَّفْرِيع : وأمَّا قَوْلُهم فَفاسِدُ الأصلِ والتَّفريعِ معاً .

[٢٨] وأمّا صِفاتُ الأَفْعالِ : كخَالِقٍ ، ورازِقٍ : فالقولُ فيها أنَّ البارئَ تعالى لم يَزَلْ موصوفاً بها ، لأنَّهُ يَسْتَحيلُ أن يكونَ البارئُ تعالى في الأزَلِ غَيْرَ خالِقٍ ، وغَيْرَ رازِقٍ ثم صارَ كذلك . وإنَّما المُحْدَثاتُ(٧٨) : الخَلْقُ ، والرِّزقُ ، والمخلوقُ ، والمَرْزُوقُ .

فإن قيل : هذا يُوجِبُ عليكم تَقَدُّمَ(٧٩) العَالَم ، وأنَّه لم يَزَلْ موجوداً معه . قُلنا : لا يُوجِبُ ذلكَ ؛ لأنَّ الصِّفاتِ(٨٠) في اللُّغة يُوْصَفُ بها مَنْ

---

(٧٤) في ط : السَّماعُ .

(٧٥) في ط : على رفعه .

(٧٦) في ط : وإذا عرضت في قولنا شُبْهَةٌ وقفْنا عِنْدها . وفي بلاثيوس : وآنا في قولنا .

(٧٧) في ط : لم نزل عنه إلى شبهة تعرض ..

(٧٨) في ط : وإنَّما المُحْدثاتُ هي الخَلْقُ ..

(٧٩) في ط : القول بقِدَم العالم .

(٨٠) في ط : .. لأنَّ الصِّفات يُوصف بها في اللغة من فعل ...

فَعل فيما مَضى ، ومَنْ يَفْعَلُ في الحَال ، من هو يُريدُ أنْ يفْعل في المُسْتَقْبَل ، فيقالُ : [81]إنَّهُ ضَارِبُ عَمْرٍو أمْسِ ، وضَاربٌ عَمْراً الآنَ ، وضارِبٌ عمراً غَداً . وهذا أشْهَرُ في اللُّغة العَربيّة مِن أنْ يَحْتاجَ إلى شَاهِد .

---

(٨١) في ط : يقال : زيد ضاربٌ عمراً أمس .
ـ وفي خ : فيقال : إنه ضارب عمرو أمس .

الباب السادس

في شرح قولِهمْ : إنَّ الباريَ تَعالى لا يَعْلَمُ[1] إلاّ نَفْسَهُ

هذا القَوْلُ ـ عَصَمنا اللهُ وإيّاكَ مِنَ الزَّلَلِ ـ قد أَوْهَمَ كَثيراً[2] من النّاسِ أنَّهم أرادُوا به أنّهُ غيْرُ عالمٍ بغَيْرِه .

واسْتَعْظَمَ قَوْمٌ مِنهم أن يَصِفُوهُ بهذِه الصِّفَةِ فزعَمُوا أنّه عالِمٌ بالكُلِّيّاتِ غيرُ عالمٍ بالْجُزْئيّات .

وزعَم آخَرُونَ أنّهُ عالِمٌ بعلمِ الكُلّيّاتِ[3] والْجُزْئيّاتِ بعلمٍ كُلّي .

وهذا القَولُ الثّالثُ أقْرَبُ أقوالِهمْ إلى الْحَقّ وإنْ كانَ فيه مَوضعٌ للتّعَقُّب . وأمّا القَوْلانِ الآخَرانِ فقد اجْتَمع فيهما الْخَطأُ الفاحِشُ ، والْجَهْلُ بصِفَاتِ البَارِئِ جَلَّ جلالُه ، وسُوءُ[4] التّأوّل لكَلام القُدماء من الفَلاسِفَة .

ويَجِبُ عَلَيْنا أوّلاً أنْ نُبَيّنَ مَعْنى قَوْلِ الفَلاسِفَةِ الْمُتَقَدّمينَ : إنّ الباريَ

---

(1) في ط : لا يعرف إلاّ نفسه .

(2) في ط : أوهم كثيراً (بحذف قد) .

(3) في ط : أنه يعلم الكلّيات والجزئيات بعلمٍ كُلّي .

(4) في ط : الخطأ الفاحش ، والجهل في صفات الله تعالى بسوء التّأويل .

تَعالى لا يَعْلَمُ إلاّ نَفْسَهُ ، وأَنَّهُم لم يُريدوا بذلكَ أَنَّهُ جاهِلٌ بغَيْرِه . ونُوردُ[٥] مِن كلامِهم ما يَدُلُّ على بَراءَتِهِمْ مِمّا توَهَّمَهُ هؤلاء عَليهم ، ثُمَّ نُناقِضُهم[٦] بَعْدَ ذلك فيما احْتَجُّوا بِه ؛ وبِاللهِ التَّوفيق .

فَصل

أَمَّا قَوْلُهم إنَّ البارِئَ تَعالى لا يَعْلَمُ إلاّ نَفْسَهُ فيَحْتَمِلُ أَرْبَعةَ مَعانٍ يَقْرُبُ بَعْضُها من بَعْض :.

أَحَدُها :

أَنَّ الوجودَ نَوْعان : وُجودٌ مُطْلَقٌ ، ووُجودٌ مُضَاف . فالوجُودُ الْمُطْلَقُ هو الّذي لا يَفْتَقِرُ إلى مُوجِدٍ ، ولا هُوَ مَعْلولٌ لِعلَّةٍ هِيَ أَقْدَمُ منه . والوجودُ الْمُضَافُ هو الّذي يَفْتَقِرُ إلى مُوجِدٍ كانَ عِلَّةً له .

فالوُجودُ الْمُطْلَقُ [٢٩] : هو[٧] الّذي يُوصَفُ بِهِ البارِئُ ـ جَلَّ جَلالُه ـ لأَنَّهُ الموجودُ الْمُطْلَقُ الذي لا عِلَّةَ لِوُجُودِه .

والوُجودُ الْمُضَافُ : هو الّذي يُوصَفُ به سِواهُ مِنَ الْمَوْجُودات . لأَنَّ وُجودَ كُلِّ مَوْجُودٍ[٨] مُقْتَبَسٌ مِنْ وُجودِهِ وتَابِعٌ لَهُ ، ومُتَعَلِّقٌ بِهِ ، حَتّى إنَّهُ لو تُوُهِّمَ ارْتِفاعُ وُجودِهِ تَعالى لارْتَفَعَ وجودُ كُلِّ شيءٍ .

---

(٥) في ط : فنورد .

(٦) في ط : تناقضهم (بالتاء) .

(٧) في ط : هو الوجود الذي .

(٨) في ط : كل شيء .

ولأجْلِ هـذا شَبَّهُوا وجـودَ الأشيــاء عنـهُ بـوجـودِ نُـور الشَّمس عن الشَّمس[٩] ، لأنَّ الشَّمسَ إذا ذهَبَتْ ذَهَبَ نورُها ؛ ولم يُريـدوا بِهـذا الكلامِ تشبيهَهُ[١٠] بالشَّمس على الْحَقِيقة ؛ لأنَّ البارئَ يَتَعالى عَن[١١] أنْ يكونَ لـه نَظيرٌ ؛ وإنّما أرادُوا بِهذا تَمثيلَ[١٢] افْتِقَارِ الْمَوْجُوداتِ إلى وُجودِه عَلى جِهَـةِ التَّقريب من الأفْهَام .

كما قالُوا أيْضـاً : إنّ وجودَ الْمَوْجُوداتِ عنـه كوُجودِ الكَلام من المتكلّم لا كَوُجودِ الدّارِ من البَنّاء ؛ لأنَّ الدّارَ يُمكِنُ أنْ تُوجَـدَ مع عَـدَمِ البَنّـاء ؛ ولا يُمكنُ أنْ يُوجَدَ شيءٌ إلاّ بِوُجودِ البارئِ تَعالى .

فلَمّا كانَ البارِئُ تَعـالى هو الْمَوْجُودُ الصَّحيحُ الوُجودِ كان وجودُ غَيْرِه لاحِقـاً بِوُجودِهِ وتـابِعـاً لَـهُ ، ولم يكُنْ في الوجودِ إلاّ هُوَ في مَصْنُوعـاتِـه[١٣] صارَ الوجودُ من هذه الجِهَةِ كأنَّهُ مَوْجُودٌ [واحِـدٌ][١٤] والْمَعْلُومُ كأنَّـهُ مَعْلُومٌ واحِدٌ ، وصار إذا عَلِمَ نَفْسَهُ فَقَدْ عَلِمَ كُلَّ وجودٍ تابعٍ لوجوده .

---

(٩) في ط : من الشمس .

(١٠) في ط : تشبيهاً بالشمس .

(١١) في ط : لأنّ البارئ تعالى عزّ أن يكون له نظير .

(١٢) في ط : أرادوا بهذا المثل افتقار ..

(١٣) في ط : ولم يكن في الوجود إلاّ هو ومصنوعاته .

(١٤) مابين معقوفتين مضاف من : ط .

والمَعْنى الثّاني :

أَنَّ المَعْقُولَ تَتْميمٌ للعاقِلِ وتتميمٌ للجَوْهَر[١٥] : ولولا ذلكَ مـاحْتـاجَ إلى أن يَعْقِلَ غيره . وليسَ في كثرةِ مَعْقُولاتِ[١٦] العاقِلِ دَليلٌ على فَضْلـِهِ ؛ بل فيهـا دِلاَلَـةٌ[١٧] على شِـدَّةِ نَقْصـِهِ . فَعَلى قَـدْرِ كَمالِ الشَّيءِ في جَوْهَرِه تَقِـلُّ مَعْقُولاتـهُ ، وعلى قَـدْر نَقْصِـه تكْثرُ مَعْقُولاتـهُ . ولأَجْلِ هـذا صَـار النَّقْصُ لازِماً لكلِّ موجُودٍ دونَ البـارِئِ تَعـالى ؛[١٨] لأَنَّهـا كُلُّها لاتَنـالُ الفَضيلَـةَ والكَمالَ إلا بِعَقْلِهَا البارِئَ جَلَّ جَلاَلَهُ[١٨] . فـأَقْرَبُهـا إليـه أكْمَلُهـا ، وأَقَلُّهـا نَقْصاً ؛ لأَنَّـه لايَحتـاجُ في كَمالِ جَوْهرِه إلى أَكْثَر من عَقْلـهِ العِلَّـةَ الأُوْلى . وكلّما انْحَطَّتْ[١٩] مَراتِبُ المَوْجُودات كَثُر نَقْصُها ، واحْتَاجَ كُلُّ واحدٍ مِنها في كَمالِ جَوْهَرِهِ إلى أن يَعْقِلَ كلَّ موجودٍ قَبْلَـهُ مع عَقْلِـه العِلَّـةَ الأُولى ؛ إذْ لا يُمكِنُهُ عَقْلُ العِلّةِ الأُولى حتّى يَعقِلَ الوسَائِـطَ الّتي بَيْنَـهُ وبَيْنَهـا . فلَمّـا كان البـارِئُ تَعـالى هو نهـايـةَ الكَمالِ كانَ غَنِيّـاً عن أنْ يَعْقِـلَ غَيْرَهُ ، وَإذَا [٣٠] كانَ[٢٠] عَقَلَ نَفْسَهُ فقَدْ عَقَلَ[٢١] سِوَاه .

---

(١٥) في ط : أن المعقول بتتميم العاقل وتكميل تجوهره ؛ ولولا ذلـك مـااحتجنـا إلى أن نعقل غيره .

(١٦) في ط : وليست كثرة المعقول دليلاً على فضله ...

(١٧) ضبطها في الأصل المخطوط بكسر الدال : دِلالة . ويصح فيها دِلالة ودَلالة .

(١٨ـ١٨) مابين الرقمين سقط من النسخة : ط

ـ وقوله : بعَقْلِها البارِئَ : كلمة البارئَ مَفْعُولٌ به للمصدر عقل .

(١٩) في ط : فكلّما انحطّت .

(٢٠) في ط : وكان إذا عقل ... إلخ .

(٢١) في ط : فقد عقل ماسواه .. المعنى الثالث (بحذف الواو) .

والمَعْنى الثّالِثُ :

قد ذكَرْناهُ في باب شرح قَولهم : إنّ الأعدادَ دَوائِرُ وهْمِيّةٌ ، عنـدَ شَرْح قَوْلِ أرِسطُو : إنّ البارِئَ تَعالى عِلّةُ الأَشْياء ، عَلى أنّه فـاعِلٌ لَهـا وعلى أنّـهُ غايَةٌ لَهـا ، وعَلى أنّـهُ صورَةٌ لهـا ؛ وذكَرْنـا أنّـهُ لَمْ يُرِد الصُّورة[٢٢] الّتي هِيَ شَكْلٌ وتخطيطٌ ، ولا الصُّورَةَ الّتي هِيَ النّوعُ ؛ لأنّـهُ لا يُوْصَفُ بـالصُّورة . وقُلْنا إنّ مَعْنى ذلكَ أنّ وُجودَ غيرِه لَمّا كَـانَ مُقْتَبسـاً مِن وجُودِه صـارَ مِن هذِه الجِهَةِ كَأنّـه صورَةٌ للمَوْجُودات إذْ كانَت إنّما تُوجَـدُ بِوُجودِه كَما يُوْجَـدُ المُصَوّرُ بِصُـورتِـهِ . وصـارَ وُجـودُهُ كالجِنْسِ الّـذي يَجْمَـعُ الأنـواعَ والأشْخـاصَ ، وإنْ كانَ البـارِئُ تَعـالى يَتَنَزّهُ[٢٣] عن أنْ يُوصَفَ بِجنْسٍ أو نَـوْعٍ أو شَخْصٍ ؛ ولكنّـهُ تَمْثِيـلٌ[٢٤] وتقريبٌ لا حقيقـة . فيصيرُ المَعْلُـومُ ـ أيضاً ـ مِن هذِه الجِهَةِ[٢٥] واحداً .

والمَعْنى[٢٦] الرّابِع :

أنّ الإنْسَانَ لا يَعْلَمُ[٢٧] الأشياءَ بِذاتِه وجَوْهَرِه ، ولو عَلِمَهـا بِـذلِـكَ[٢٨] لكانت ذاتهُ عالِمَةً أبداً ، ولم يَحْتَجْ إلى اكتسَابِ العِلْم . وإنّما يَعْلَمُ الأشْيـاءَ

---

(٢٢) في ط : لم يرد بالصُّورة ..

(٢٣) في ط : تَنَزّه عن

(٢٤) في ط : بتمثيل

(٢٥) في ط : فيصير المعلوم من هذه الجهة أيضاً واحداً .

(٢٦) في ط : المعنى الرابع (بحذف الواو) .

(٢٧) في ط : أنّ الإنسان لا يعرف

(٢٨) في ط : ولو علمها بذاته وجوهره .

بأمورٍ زَائِدَةٍ عَلى ذاتهِ يَتَّخِذُها آلاتٍ يَتَوصَّلُ بِهَا إلى نَيْلِ مَعْقُولاتِه[٢٩] ؛ وهي :

الحَواسُّ الخَمْسُ ؛

والمَعْقُولاَتُ الأُوَلُ الَّتِي يَجِدُها مركوزَةً في نَفْسِهِ ، ولا يَدْري من أيْنَ حَصَلت لَهُ .

فَبِهذيْنِ الصِّنْفَيْن من الآلاتِ يَتَوصَّلُ إلى اكْتِسابِ الْمَعَارِفِ الَّتي يَتَجوْهَرُ بها[٣٠] ، ويَحْصُلُ له عقلٌ مُسْتَفاد .

والبارئ تَعالى لا يُوْصَفُ بأنَّهُ يَعْلَمُ الأَشْياءَ بِهذِهِ الصِّفَةِ ، جَلَّ عَنْ ذلِكَ[٣١] .

وإذَا اسْتَحالَ أنْ يَعْلَم الأَشْيَاءَ على هذا السَّبيل صَحَّ أن عِلْمَهُ ذَاتِيٌّ ليسَ باكْتساب . وإذا اسْتَحالَ أنْ يُوصفَ بِأنَّ عِلْمَهُ شيءٌ زائدٌ على ذاتِهِ كانَتْ ذَاتُهُ هي العِلْمَ بِعَيْنِه . وإذا لَمْ يَصِحّ أن يُوصف بأنّه مُفتِقرٌ إلى غيره ، بلْ كُلُّ شَيءٍ مفتقرٌ إليه صَحَّ أنَّ العَالِمَ والعِلْمَ والمعلومَ منهُ شيءٌ واحِدٌ بخلافِ مانَعْقِلُه مِن أنْفُسِنا .

وإذَا ثَبتَ هذا بالدَّلائل الّتي يُضْطَرُّ إليها[٣٢] ، صارَ : إذا عَلِمَ نَفْسَهُ فقَدْ عَلِمَ كُلَّ شيء .

---

(٢٩) في ط : معلوماته .

(٣٠) في ط : إلى اكتساب المعاني التي تجوهر بها ، ويحصل له العقل المستفاد .

(٣١) في ط : بهذه الصفة ، عزّ ذلك . (أظنها سقط منها جلّ ، وتصحفت عن إلى عزّ) .

(٣٢) في ط : نضطر إليها (بالنون) .

فَصْل

ومِمَّا يَدُلُّ على اعْتِقَادِ كُبَراء الفَلاسِفَةِ وجلّتهم[٣٣] أنّ الباريَ تعالى عالِمٌ [٣١] بكُلِّ شيءٍ لا يَغيبُ عنهُ مقدارُ الذَّرَّة[٣٤] ومـاهو أَلْطَفُ مِنهـا ، وأنّـه عالِمٌ بضَمائِرِ النُّفوسِ ووَساوِسِ الصُّدور ـ مع قَوْلِهِمْ إنَّه لا يَعْرِفُ إلاّ نَفْسَـهُ ـ قولُهم[٣٥] : إنَّ البَاريَ تَعالى مَوجودٌ[٣٦] مع كُلِّ شيءٍ ؛ يُرِيدونَ أن الوَحْدَةَ السَّارِيَـةَ منـهُ تعـالى ، بِهَـا حَصَلَ لكلِّ مَوْجُودٍ ذاتٌ يَنْفَصِلُ بِهـا عَنْ ذاتٍ أُخْرى[٣٧] ؛ وبِهـا تَهَـوّى[٣٨] كُـلُّ مُتَهَـوٍّ . فكَيْفَ يُتَـوَهَّمُ ؛ على مَنْ يَعْتَقِـدُ هذا ؛ أنْ يقولَ : إنَّ الباريَ تَعالى يَجْهَلُ شَيْئاً أو يَغِيبُ عنهُ شَيءٌ ؛ وهـذا إثْبَاتُ الشَّيْءِ ونَقِيضِهِ مَعاً ؟.

ومِن ذلكَ قولُهم : إنّ البـاريَ تَعـالى عَقْلٌ مُتَجَرِّدٌ عَنِ المـادّة ، بِخلافِ مَا يُوصَفُ من أَنَّهُ[٣٩] عَقْلٌ ؛ إذْ كانَ لا يُشْبِهُ شَيْئاً ولا يُشْبِهُهُ شيءٌ[٤٠] .

---

(٣٣) في ط : ومِمّا يـدلُّ على اعتقـاد الفـلاسفـة وذكرهم أنّ . وفي بلاثيـوس : اعتقـاد ذكر الفلاسفة .

(٣٤) في ط : مقدارُ ذرّة .

(٣٥) في ط : فقولهم .

(٣٦) في ط : إن الباريَ تعالى مع كُلِّ شيء . (بإسقاط : موجود) .

(٣٧) في ط : ذات آخر .

(٣٨) في ط : يتهيّأ كل متهيّئ ، فكيف يتمّ (بدلاً من يتوهم) .

ـ و : تهوّى : من الهوّيـة وهي : « حقيقـة الشيء من حيثُ تميّـزه عن غيره ، وتسمّى أيضاً وحدة الذات » ـ من المعجم الفلسفي ـ

(٣٩) في ط : مايوصفُ بأنّه عقلٌ .

(٤٠) في ط : إذا كان لا يشبهه شيءٌ ولا يُشبه شيئاً

وإذا كانَ عِنـدَهُم عَقْـلاً مُتَجَرِّداً[٤١] من المـادّة لم يَخْفَ عنــهُ شَيءٌ لأنَّ المانِعَ لنَا مِن إدراكِ الأشْياء إنّما هو المادّة .

ومِنْ ذلـكَ قَوْلُهم : إنَّ العـاقِلَ والعَقْـلَ والْمَعْقـولَ منـهُ شَيْءٌ واحـدٌ . وكـذلـكَ : العـالِمُ والعِلْمُ والْمَعْلُومُ[٤٢] شَيءٌ واحـد . فَـذَاتـهُ عِنـدَهُمْ عَقْـلٌ وعِلْمٌ ، فكيفَ يُتَوهَّمُ عَلى مَنْ ذاتُهُ عَقْلٌ وعِلْمٌ أنّهُ[٤٣] يغيبُ عنه شَيءٌ ؟

ومِنْ ذلــكَ قَــوْلُهم : إنَّ الغَرضَ في[٤٤] العِلْمِ القُرْبُ من اللهِ تعــالى في الصِّفاتِ ، وقولُهم في حَدِّ الفَلْسَفةِ : إنّ مَعْنَاها التَّشبُّهُ باللهِ تَعـالَى بِمِقْـدارِ طاقَةِ الإنسان . فصحَّ[٤٥] بهذا أنَّهُ تَعالى العالِمُ[٤٦] على الإطلاق ، وأنَّ عِلْمَهُ هو العِلْمُ على الإطلاق .

مِنْ ذلـكَ قولُ أفْلاطُون في كتـابِ طِيْمَـاوُس حين[٤٧] تكَلَّم في العَـوالِمِ العالية فَذكرَ فَضْلَها ثم قال : وهذا ليسَ لنَا في عَالَمِنا هـذا بَلْ لَوْ عسى أنّـا في العَوالِمِ العـاليَـةِ إذا[٤٨] نَحْنُ تَهـذَّبْنـا فَجُزْنـا الأفلاكَ التِّسْعَـةَ وحَركاتِهـا بِتَطَلُّعِنَا ؛ وجُزْنَا عَالَمَ النَّفْسِ بِتَهذِيبِنَا[٤٩] حَتّى نَحُلَّ في عالَمِ العَقْلِ الّـذي

(٤١) في ط : مجرّداً عن المادّة .

(٤٢) في ط : والمعلوم منه .

(٤٣) في ط : أنْ يغيب

(٤٤) في ط : الغَرض من العلم . (وهذا هو المشهور في مثل هذه العبارة) .

(٤٥) في ط : فيصحّ

(٤٦) في ط : عالِمٌ على الإطلاق .

(٤٧) في ط : حيث تكلّم .

(٤٨) في ط : إذْ نَحْنُ

لاتَخفَى عَلَيْهِ خافِيَةٌ ، ولاتَحُوزهُ[٥٠] صُورَةٌ[٥١] ، وليسَ فيهِ زَمانٌ ، ولا مَكَانٌ ، ولا حَرَكَةٌ ، ولا كيفيّةٌ ، ولا هَيُولى ؛ بَل الأشياءُ فيه حقائقُ مُجَرَّدةٌ مكشُوفَةٌ لَيْسَ فيه قُوّة[٥٢] ، بل الصُّورَةُ فيه ثابِتَةٌ راجعَةٌ[٥٣] على أنْفُسِهَا [وذواتِها تعْرِف أنْفُسَها][٥٤] وغيرِها لِمَا فيه مِنْ مُطالَعةِ البارِئ جَلّ وعَزّ لَها .

وقالَ في موضِعٍ آخَر ، وهو [يُريدُ] أنْ يَنْفِيَ عن نَفْسِه أنْ يُتَوهَّمَ عَلَيه القَوْلُ بأزَلِيَّةِ العَالَمِ وقِدَمِه ، فقال :

« إنّما نُرِيدُ [٣٢] بقَوْلِنَا : إنّ العالَمَ لَمْ يَزَلْ : أنّ العَوالِمَ قد كانَتْ مُصَوَّراتٍ عندَ البارِئِ عَزّ وجَلّ مُتَمَثّلاتٍ بالقُوّة قَبْلَ كَوْنِها . وذلكَ أنّ البارِئَ تَعالى لَمْ يَزَلْ مُتَطَلِّعاً إلَيْها ، ناظِراً إلى ذَاته ، عَارِفاً بوَحْدَانيَّتِه . فَتَرْدادُهُ[٥٥] على ذاتِه بالمَعْرِفَةِ هو عالَمُ العَقْلِ المُطابِقِ لَهُ فيهِ الصُّوَرُ مَحْضَةٌ » .

وهذا الكَلامُ وإنْ كانَ فيهِ ما يَحْتاجُ إلى التَعَقُّبِ فَقد صَحّ منهُ أنّ

---

(٤٩) في ط : فهذّبنا .

(٥٠) في ط : ولا تجوز عنه .

(٥١) زاد في المطبوع هنا : ومنه انتشاقَ الصُّورة .

(٥٢) في ط : ليس قوّة (بإسقاط الأداة : في) .

(٥٣) في ط : ثابتة وراجعة (بحرف العطف) .

(٥٤) ما بين معقوفتين من : ط .

(٥٥) في ط : غير زائد على ذاته بالمعرفة هو ...

مَذْهَبَهُ : أَنَّ البَارِئَ جَلَّ جَلالُهُ عالِمٌ بالأَشْيَاء قَبْلَ كَوْنِها بخلافِ ما يُتَوَهَّمُ عَلَيْه .

وممَّا يَدُلُّ على ذلكَ أَيْضاً مِنْ مَذْهَبِهِ[٥٦] قَوْلُهُ في النَّواميس :

« مَا مِنْ[٥٧] شَيْءٍ أَعْوَنُ عَلى صَلاحِ أَمْرِ كُلِّ واحِدٍ مِنَ النَّاسِ ، وأَمْرِ جَمَاعَتِهم مِنْ أَنْ يَعْلَمُوا ويَعْتَقِدُوا ثلاثَةَ آراءٍ ، ولا أَضَرُّ من أَن يَجْهَلُوها ويَعْتَقِدُوا خِلافَها :

أَحَدُها : أَنْ يَعْلَموُا أَنَّ للأَشياء صانِعاً ؛

والثاني : أَن يَعْلَمُوا أَنَّهُ لا يُغْفِلُ شَيْئاً ، ولا يَفُوتُهُ شَيءٌ ، بل كُلُّ الأَشْيَاء تحتَ عِلْمِه[٥٨] وتَحْتَ عِنَايَتِهِ وتَدْبيرِه .

والثَّالِثُ : أَنَّهُ لا يُرضِيهِ ولا يَقْبَلُ من أَحَدٍ أَن يُخْطِئَ خَطِيئَةً يَتَعَمَّدُها ؛ على أَنْ يُقِيمَ بإزائها قُرْباناً إليه فيغفِرَ لَهُ بَلْ إنّما يَقْبَلُ قُرْبانَهُ إذا عَمِلَ عَملاً صَالحاً » .

ثُمَّ قال :

« وهذِه معانٍ إنّما مَعْدِنُها ومَوْضِعُ تَعلُّمِها من عِلْمِ[٥٩] الأُمورِ الإلَهِيَّة » وهو يُسَمّى باليُونانيَّة[٦٠] : أثولوجيا .

---

(٥٦) سقطت كلمة « مذهبه » من ط .

(٥٧) في الأصل المخطوط : بل هي شيء . وأثبتُ مافي ط لجريه مع نَسَق العبارة ؛ ويكون من ناسخ (خ) تصحيفاً .

(٥٨) في ط : في علمه .

(٥٩) في ط : من عالم الأُمور الإلَهيّة .

(٦٠) لم تظهر الكلمة بوضوح في خ . وأثبتنا ما في : ط .

ومِمَّا يَدُلُّ على ذلكَ من مَذاهِبِهِمْ اعتقادُهُمْ وتَصْرِيحُهم بأنَّ العَالَم إنْسانٌ كَبِيرٌ : كَمَا أَنَّ الإنْسانَ عالَمٌ صَغِير . فكما أنَّ المحسُوسات تَصِلُ إلى النَّفْسِ الجُزْئِيَّة بِتَوسُّطِ الحَواسِّ الجِسْمَانِيَّةِ ، بلا زمانٍ فتنطَبِعُ صُوَرُها(٦١) في العَقْلِ الجُزئيِّ الهَيُولانيِّ فكذلكَ في العَالَمِ الَّذِي هو الإنسانُ(٦٢) الكَبِير أشياءُ هي بمنزلة(٦٣) الحَواسِّ للنَّفْسِ الكُلِّيَّةِ الَّتي هِيَ نفسُ الإنسانِ الأكبرِ يَتَّصِلُ(٦٤) بها مِن قِبَلِها أحوالُ العَالَم بلا زَمان . وإذا اتَّصَلَتْ بالنَّفْسِ الكُلِّيَّةِ اتَّصلَتْ بالعَقْلِ الكُلِّي كاتِّصالِها بالعَقْلِ الجُزْئِيِّ ؛ وإذا اتَّصلَتْ بالعَقْلِ الكُلِّيِّ اتَّصَلَتْ بالبارئِ جَلَّ وتَعالَى ؛ لأنَّ العَقْلَ الكُلِّيَّ لا واسطةَ بَيْنَهُ وبينَ اللهِ تَعالَى .

فهذِهِ جُمَلٌ من كلامهم(٦٥) تَدُلُّ مَنْ تأمَّلها على براءَتِهِمْ مِنْ سُوء تأويلِ من نَسبَ إليهم القَوْلَ(٦٦) بأنَّ البارئَ لا يَعْلَمُ الأشياء : [ولا يَعْلَمُ إلا نَفْسَهُ](٦٧) .

---

(٦١) في ط : فتُطْبَعُ صُورَتُها

(٦٢) في ط : إنسانٌ كبير

(٦٣) في ط : تماثِلُ

(٦٤) في ط : تتصل

(٦٥) في ط : تتصل من كلامِهم ومذاهبهم (بزيادة هذه الأخيرة)

(٦٦) في ط : قولهم إنَّ

(٦٧) العبارة مزيدة من : ط .

فصل

وقد احتَجّ مَنْ زعَمَ أنّ اللهَ تعالى لا يَعْلَمُ الأشْيَاءَ بأنْ قالَ : إنّما استَحالَ أن يُوصَفَ بأنّهُ يَعْلَمُ [٣٣] الأشْياءَ لأنّ العِلْم بالأشياء[٦٨] يُحْتاجُ فيه إلى إدْراكِ الحَواسّ ، وتَقْديمِ المُقَدّمات الّتي بِها يُتَوصّلُ إلى مَعْرِفَةِ الكُلّيات مِنَ الجُزئيات ، وفيه كَمالُ العالِمِ ؛ ويُحْتَاج فيه إلى تَصَوُّرٍ وتَخَيُّلٍ ؛ والبارئُ سُبْحانَهُ يُجَلّ عَنْ أنْ يُوصَفَ بأنه يَتَصَوّرُ شَيْئاً أو يتَخَيَّلُهُ ، أو [أنه][٦٩] ذُو حَواسّ يتوصّلُ بِها إلى مَعرفةِ شيءٍ ، أو يُحْتاجُ إلى مقدّماتٍ ، وأنّ غَيْرَهُ يُفيدُهُ[٧٠] كَمالاً في ذاتهِ ، بل هو المفيدُ الكمالَ[٧١] لِكُلّ كامِلٍ عَلى مِقْدارِ مَرْتَبَتهِ[٧٢] ؛ وهو غَنِيٌّ عَنْ غَيْرِهِ ؛ وغَيْرُهُ مُفْتَقِرٌ إليه ، ففي وَصْفِنا لَهُ بأنّهُ يَعْلَمُ غَيْرَهُ نَقْصٌ لَهُ لا كَمال » .

وجَوابُنا عَنْ هذا هو أنْ نَقُولَ لهم :

هل تَزْعُمُونَ أنّ البارئَ تَعالى يُشْبِهُ البَشَر في ذَاتِهِ وصِفَاتِه أمْ هُوَ مُخالِفٌ لهم ؟ فإنْ زَعَمُوا أنّه مُشْبِهٌ لَهُم بالذّاتِ والصّفات ، أو في بَعْضِ ذلكَ لَزِمَ أنْ يَلْحَقَهُ مِنَ النَّقْصِ ما يَلْحَقُ البَشَر ، وأنْ يلزمَهُ من الحُدوثِ ما يَلْزَمُ سائِرَ الأشياء .

---

(٦٨) في ط : لأنّ العالِمَ بالأشياء .

(٦٩) « أنه » مضافة من : ط .

(٧٠) في ط : يفيد كمالاً .

(٧١) في ط : بل هو مفيدٌ للكمال

(٧٢) في ط : على قدر مرتبتهِ منه .

وإنْ قالُوا إنّهُ مُخالِفٌ للبشَر لا يُشْبِهُ شَيْئاً ولا يُشْبِهُهُ شيْءٌ قُلنا لَهُم : مِنْ أينَ قِسْتُمْ عِلْمَهُ عَلى عِلْمِكُم ، وأَوْجَبْتُم أنّهُ إنْ كانَ عالِماً لَزِمَ[٧٣] أن يَعْلَم باسْتِنْبَاطٍ ومُقَدّماتٍ ، واحْتَاجَ إلى حَواسّ ؟.

ومَا تُنْكِرُوْنَ من[٧٤] أنْ يكُونَ يَعْلَمُ الأشياءَ بنوعٍ آخَر من العِلْمِ لا يُكَيِّفُ ، ولا يُشْبِهُ عِلْمَ البَشر ؟.

وما الّذي تُبْطِلُون بهِ هذا ؟ فإنْ قالُوا لا يُعْقَلُ عِلْمٌ إلاّ بهذهِ الطُرُقِ لَزِمَهُمْ تَشْبِيهُ البارئ تَعالى بِمَخْلُوقاتِه ، وقُلْنا لَهُم : مِنْ أَيْنَ زَعَمْتُم أنّهُ عالِمٌ ، وأنّهُ عِلْمٌ ، وأنّهُ مَعْلُومٌ : شيءٌ واحِدٌ لاتَغايُرَ فيه ؟ وكذلكَ أنّهُ عاقِلٌ ، وأنّهُ عَقْلٌ ، وأنّهُ مَعْقُولٌ شَيْءٌ[٧٥] واحدٌ من صِفاتِه[٧٦] ، وهذا أمرٌ غيرُ مَعْقُولٍ فِيما نَعْهَدُهُ مِن أنْفُسِنَا ؟.

ويُقالُ لَهُم كَذلكَ : لا نَعْقِلُ مَوْجُوداً إلاّ أنْ يَكُونَ جَوْهَراً حامِلاً للأعْراضِ ، أو عَرَضاً مَحْمُولاً في جَوْهَرٍ . فاحْكُموا علَى البارئ تعَالى وَجلّ أنّهُ جَوْهَرٌ من جِنْسِ الجَواهِرِ المَعْقُولة ، ولا فَرْقَ .

ويُقال لِمَنْ زَعَم مِنهم أنّهُ يَعْلَمُ الكُلّياتِ ولا يَعْلَمُ الجُزئيّات : مِنْ أيْنَ فَرّقْتُمْ بَيْنَ الأمْرَيْن ؟.

---

(٧٣) في ط : لزمه

(٧٤) في ط : وما تنكرون أن يكون (بحذف الأداة : من)

(٧٥) في الأصل المخطوط : بشيءٍ واحدٍ . ورجّحت مافي (ط) لمجاراته العبارة السابقة .

(٧٦) في ط : شيء واحد في صفاته . وهذا غير معقول . (بإسقاط كلمة : أمر) .

فإنْ قـالُوا : لأنَ الْجُزئيّـات تَـدْخُل تَحْتَ الزّمـانِ ، وتَتَغيّرُ بِتَغَيُّرِه ، ويُحْتاجُ في مَعْرِفَتِها [٣٤] إلى الحَواس[٧٧] .

وجَوابُنا[٧٨] عَنْ هذا أنْ نَقُول[٧٩] :

أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أنّ الإنْسَانَ إنّما يَعْلَمُ الكُلّياتِ بِمُشاهَدَةِ الجُزْئيّات الواقعةِ تَحْت الزّمان ، والاسْتدلال عَلَيْها بالْمُقَدّماتِ الغَرِيْزِيّات . فهل تَزْعُمونَ أنّ اللهَ تَعالى يُدْرِك الكُلّياتِ بِهذا السَّبيل ؟.

فإنْ قالُوا : نَعَم شبَّهوه بالبَشَرِ ، وقُلْنا لَهُم : إذا جازَ عِنْدَكُم أن يُشْبِهَ البَشَر في عِلْمِ الكُلّياتِ فما الّذي يَمْنَعُه أن يُشبِهَهم[٨٠] في عِلْمِ الْجُزْئيّات ؟

وإنْ قالُوا : لا يَجُوز أنْ يعلمَ الكُلّياتِ على نَحْوِ ما يَعْلَمُه[٨١] البَشَرُ ، وإنّما يَعْلَمها بنوعٍ آخَر مِنَ العِلْمِ لا يُكَيَّفُ ولا يُشْبِهُ عِلْمَ البَشَر [قُلنا : فما الْمَانِعُ أنْ يَعْلَمَ الجُزئيّاتِ بِهذا العِلْمِ] ولا فَرْقَ ؟.

وعُمْدَة هذا البابِ ، وغيرِه ، من الكَلامِ في صِفَاتِ اللهِ تَعالى أن تَجْعَلَ أصْلَكَ[٨٢] أنّ البارئ - سُبْحانَهُ - لا يُشْبِهُ شَيْئاً ، ولا يُشبِههُ شَيء . وتَجْتَهِدَ في أن تَعْلَم هذهِ الجُمْلَةَ بالبَراهينِ الوَاضحةِ .

---

(٧٧) في ط : إلى الحَواسّ الخَمْس .

(٧٨) في : خ وفي : ط أيْضاً : « وجوابنا » بالواو . والكلام يقتضي الفاء .

(٧٩) في ط : أن نقول لهم .

(٨٠) في ط : يُشبهه .

(٨١) في ط : ما يَعْلَمُها .

(٨٢) في ط : أَمَلك (بالميم) وهو تحريف ظاهر .

فإذا تقرّرت في نَفْسِكَ سَقَطتْ عَنْكَ هذِهِ الوَساوِسُ كُلُّها :[٨٣] لأَنَّ الَّـذِيْنَ غَلِطُوا في هـذه المعَاني إنّما عَرَضَ لهمُ الغَلَـطُ[٨٣] لأَنَّهم يَقِيْسُـونَ اللهَ تَعالى بالبَشَرِ ، ويُشَبِّهُونَ صِفَاتِه بِصفاتِهِم[٨٤] .

وقد أثبتَتْ شَرِيعَتُنا الحَنيفِيّةُ ، الّتي شَرَّفَنا اللهُ تعَالى بها ، أنّ اللهَ عَـالِمٌ بكبيرِ الأَشْياء وصَغيرِها ، لا يَعْزُبُ[٨٥] عَنْهُ مِثْقَـالُ ذَرّةٍ في السَّموات ولا في الأَرْض[٨٦] ؛ وأنّـه ﴿ يَعْلَمُ خَـائِنَـةَ الأَعْيُنِ وَمَـا تُخْفِي الصُّـدُوْرُ ﴾[٨٧] ؛ و ﴿ مـاتَسْقُـطُ من وَرَقَــةٍ إلاّ يَعْلَمُهـا ، وَلاَ حَبّـةٍ في ظُلُمَـاتِ الأَرْضِ ولا رَطْبٍ وَلاَ يَابِسٍ إلاّ في كِتَابٍ مُبِيْنٍ ﴾[٨٨] .

وهـذِهِ صِفَـةُ الكَمالِ الّتي تَلِيْـقُ بـاللهِ تَعـالى ، لا مـا زَعَمَـهُ[٨٩] هـؤُلاء المُبْطِلُونَ .

(٨٣-٨٣) ما بين الرقمين سقط من : ط .

(٨٤) في ط : صفاته بصفاته .

(٨٥) في ط : لا يغيبُ .

(٨٦) من الآية (٣) من سورة سَبأ (٣٤) : وتمامها : ﴿ وَقَالَ الَّذِيْنَ كَفَرُوا لا تَـأْتِيْنا السَّاعَةُ قُلْ بَلى وربّي لَتَأتِيَنّكُمْ عَالِمِ الغَيْبِ لا يَعْزُبُ عنه مِثْقَالُ ذَرّةٍ فِي السَّماواتِ وَلاَ فِي الأَرْضِ ولا أَصْغَرُ مِنْ ذلكَ ولا أَكْبَرُ إلاّ فِي كِتَابٍ مُبِيْنٍ ﴾ .

(٨٧) الآية (١٩) من سورة غافر (٤٠) .

(٨٨) من الآية (٥٩) من سورة الأنعام (٦) . وتمامها : ﴿ وعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الغَيْبِ لا يَعْلَمُهَا إلاّ هُوَ ويَعْلَمُ مافِي البَرِّ والبَحْرِ وَمَـاتَسْقُـطُ مِنْ وَرَقَـةٍ إلاّ يَعْلَمُهـا ولا حَبّـةٍ في ظُلُماتِ الأَرْضِ وَلا رَطْبٍ وَلا يَابِسٍ إلاّ في كِتَابٍ مُبِيْنٍ ﴾ .

(٨٩) في ط : لا مازعَم

وقد ذَكَرْنا مِن كَلامِ الفَلاسِفَةِ الْمُتَقَدّمينَ ما يُطابِقُ هذا الّـذِي وَرَدَ بِـهِ شَرْعُنا[٩٠] ؛ وقد قُلْتُ في ذلك :[٩١]

[من مخلّع البسيط]

يــا واصِفــاً رَبّــهُ بِجَهْـلٍ لَمْ تَقْــدِرِ اللهَ حَــقَّ قَــدْرِهْ
كَيْفَ يَفُــوْتُ الإلَــهَ عِلْمٌ بِسِرِّ مَخْلُــوقِــهِ وجَهْرِهْ
وَهْــوَ مُحِيْــطٌ بِكُــلِّ شَيْءٍ وَكُلُّهــا كائِنٌ بِــأَمْرِهْ ؟!

(٩٠) في ط : وردت به شريْعَتُنا

(٩١) الأبيات في مجموع شعره .

البابُ السابع

فِي إقَامَةِ البَراهِينِ
علَى أنَّ النَّفْسَ النَّاطِقَةَ حَيَّةٌ بَعْدَ مُفارَقَةِ الْجِسْم

النُّفُوسُ ثلاثةٌ :

نَباتيّة ؛

وحَيوانيّةٌ ؛

ونَاطقة .

فأمَّا النَّفْسُ النَّباتيَّةُ والنَّفْسُ الْحَيوانيّةُ فلا نَعْلَمُ خِلافاً في عَدَمِها بِعَدَمِ[1] الجسْمِ ، وإنّما وقَع الْخِلاَفُ في النَّفْسِ [٣٥] النَّاطِقَةِ ؛ وهي العَاقِلَةُ الْمُمَيِّزة . فَزعَم قَومٌ أنَّها تُعْدَم عند فِراقِها الْجِسْمَ كَعَدَمِ النَّباتيّةِ والْحَيوانِيَّة .

وقالَ قومٌ إنّها باقيةٌ حَيّةٌ ، لا عَدَم لَهَا ، وهوَ مَذْهَبُ [سُقراط وأرِسْطُو وأفلاطُون ، وسائر][2] زُعَماء الفَلاسِفَةِ . وعلى ذلكَ تَدُلُّ الشرائعُ كُلُّها .

---

(١) في الأصل المخطوط : بَعْدَ الْجِسم . ورجّحت ما في : ط ، ائتلافاً مع ما سيلحقُ في كلام المؤلف .

(٢) ما بين معقوفتين مضاف من : ط .

وأنا أذْكُر جُمْلَةً من البَراهِيْنِ الفَلْسَفيَّة على بَقائِها ؛ لأنَّ الشَّرْعِيَّة لا تَليْقُ بهذا الْمَوْضِع ؛ وباللهِ التَّوفيق .

بُرْهَانٌ أوَّل[٣]

مَيْلُ الإنسانِ إلى الشَّهَواتِ الطَّبيعيَّةِ ، وانْغِمارُه في اللَّذَّاتِ الجَسَديَّة[٤] تَمْنَعُهُ من تَصَوُّرِ الْحَقائق ، وقَبُولِ الْمَعَارِف ، وتُكْسِبُ ذِهْنَهُ بلادَةً . وإقْلالُهُ مِنْ ذلكَ يُفيدُ ذِهْنَهُ حِدَّةً ، ويُعينُهُ على قَبُولِ الْمَعارف وتَصَوُّر الحقَائق . فدَلَّ ذلكَ على أنَّ المادّة الطبيعيّةَ آفَةٌ للنَّفْسِ النَّاطِقة[٥] ؛ وأنَّها كُلَّما انسَلَختْ مِنها كانَت أكْثَرَ تَمْييزاً ، وأصَحَّ معرفةً[٦] ؛

وينتجُ مِنْ هذه الْمُقَدّمات أنْ تكُونَ عند الْمَوْتِ أصَحَّ تَمْييزاً ، وأبْصَرَ للحقَائقِ لانْسِلاخِها من جَميعِ المادَّة . ولا يَكُونُ التَّمييزُ والتَّصَوُّرُ إلا لِحَيٍّ ، فالنَّفْسُ إذنْ حَيَّةٌ بعدَ مَوْتِ الْجِسم[٧] .

وقد وَافَقَ هذا البُرْهانُ الفَلْسَفِيُّ من نُصوصِ شَرْعِنَا قَوْلَ اللهِ تعالى :

---

(٣) في ط هنا ، وفي سائر ما ورد من (برهان) في هذا الباب من عناوين جاء في ط معرّفاً : البرهان الأول ، والبرهان الثاني ... إلخ .

(٤) في ط : الطبيعية والأهواء واللّذات الجَسديّة .

(٥) في ط : فدلّ ذلك إذابَة الطبيعة للنّفس الناطقة .

(٦) في ط : وأوضح معرفة ؛ فينتجُ من ...

(٧) في ط : بعد الجسم . (بنقص كلمة : موت) .

﴿ لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هذا فَكَشَفْنا عَنْكَ غِطاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴾[8] .

وقَوْلَ نَبِيِّنا عَلَيْه السَّلام :

« النَّاسُ نِيامٌ فَإذا مَاتُوا انْتَبَهُوا »[9] .

بُرْهَانٌ ثَانٍ[10]

كُلُّ مَوْجُودٍ بـالفِعْلِ مِنَ الأشيـاء الطَّبيعِيَّـةِ فَقَـدْ كانَ موجوداً بـالقُـوَّة وكُلُّ ما كانَ مَوْجُوداً بالقُوَّةِ ثُمَّ وُجِدَ بـالفِعْلِ فَمُخْرِجُـهُ[11] إلى الوجُود شَيءٌ آخَرُ هو مَوْجُودٌ بالفِعْلِ كالْمَـاء الَّـذي هو بـارِدٌ بـالقُوّة ، ويُخْرِجُـه[12] إلى الْحَرارَةِ بالفِعْل : النَّارُ الَّتي هي حارَّةٌ بالفِعْل . وهـذا اضْطِرارٌ إذْ لا يَصِحُّ أنْ يُوجِدَ الشَّيءُ نَفْسَهُ[13] . ولا يَصِحُّ أيْضاً أنْ يُخْرِجَـهُ مِنَ الوجُودِ بـالقُوَّةِ

---

(٨) الآية ٢٢ من سورة ق (٥٠) .

(٩) قال في « كشف الخفا ومزيل الإلباس عمّا اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس » ١ : ٣١٢ عند ذكره الكلام المشهور « الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا) مانصّه : « هو من قول علي بن أبي طالب ؛ لكن عزاه الشعراني في الطبقات لسهل التستري . ولفظه في ترجمته ، ومن كلامه : « الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا ، وإذا ماتوا ندموا ، وإذا ندموا لم تنفعهم ندامتهم » .

(١٠) في ط : البُرهان الثاني .

(١١) في ط : يُخرجه إلى الوجود .

(١٢) في ط : ويخرجه إلى الحرارة .

(١٣) في ط : إذ لا يصح أن يكون موجد الشيء نفسه .

إلى الوُجودِ بالفِعْلِ ماهُوَ موجودٌ بـالقُوَّةِ لأَنَّهُما[14] قَـدْ تَسَاوَيـا في العَـدَم . وكُـلُّ واحِـدٍ مِنْهُما مُفْتَقِرٌ إلى مُـوجِـد[15] . وإذا اسْتَحـالَ الأَمْرانِ صَـحَّ أَنَّ مُخْرِجَ الشَّيءِ[16] مِنَ القُوَّةِ إلى الفِعْلِ لا يكونُ إلاّ غَيْرَهُ ، ولا [يكون] إلاّ مَوْجوداً بالفِعْل .

وإذا ثَبَتَ[17] هذا قُلْنا : إنَّ بَعْضَ الأَجسَـامِ حَـيٌّ بـالقُوَّةِ ، ثم يصيرُ[18] حَيّـاً بـالفِعْل ؛ فَمُخْرِجُـه إذَنْ[19] إلى الْحَيـاة [٣٦] جَوْهَرٌ آخَرُ غَيْرُه حَيٌّ بالفِعْل . والْجِسْمُ أيْضـاً إنّما يَصيرُ حَيّـاً بِمقـارَنَـةِ النَّفْسِ لـه . فـالنَّفْسُ إذَنْ حَيَّةٌ بالفِعْلِ ؛ وما هُوَ حيٌّ بـالفِعْلِ لا يَعْدَمُ الْحَيـاة فـالنفسُ إذَنْ لا تَعْـدَمُ الْحَياة .

بُرْهَانٌ ثَالِثٌ[20]

نَفوسُنا النَّاطِقَةُ إنّما تَفْتَقِرُ إلى الْحَواسِّ الْجَسَديّة مـادامَتْ عـاريـةً مِنَ الصُّوَرِ العَقْلِيّة . فـإذَا حَصلتْ فيهـا صُورَةٌ من الصُّوَر العَقْلِيّـة لم تَحْتَجْ إلى استعمالِ الْحَاسَّـةِ الّتي كانَت تَتوصَّلُ بهـا إليهـا ؛ فَـدلَّ ذلـكَ على أنَّ للنَّفْسِ

---

(١٤) في ط : فإنها قد تساويا في العدم فكلُّ واحدٍ .

(١٥) في خ : موجود . وأثبتنا ما في : ط .

(١٦) في خ : يخرج . وأثبتنا ما في : ط .

(١٧) في ط : فإذا ثبت . وهي بالفاء أمثل .

(١٨) في ط : لم يصر حَيّاً .

(١٩) في ط : فَمُخرجه إلى الحياة (بإسقاط : إذنْ) .

(٢٠) في ط : البُرهان الثالث .

استِقْـلالاً بِـذَاتِهَـا تَسْتَغنِي بِـهِ عَنِ الْجِسْمِ ، وأنَّ أعْضَـاءَ الْجِسْمِ إنَّما هِيَ آلاتٌ[٢١] تلتقطُ بِهَـا معـارِفهـا . فـانْتَتَج مِن ذلِـكَ أنَّ النَّفْسَ النَّـاطِقَـةَ إذا تَجَوْهَرتْ بـالمعـارِفِ[٢٢] ، وحَصَل لَهَـا العَقْلُ الْمُسْتَفـادُ لم تَحْتَجْ إلى التَّعَلُّقِ بالجِسْمِ .

بُرْهَانٌ رابِعٌ[٢٣]

نفُوسُنـا تَجِـدُ الأشيـاءَ الْهَيُولانِيَّـةَ مُصَوَّرةً فِي ذَاتِهـا[٢٤] ، عِنْـدَ مَغيبِ الأشْياء الْمُصَوَّرَةِ عن حَواسِّنـا . وكَـذلـكَ نَرى الأشْيـاءَ في حَـالِ نَوْمِنَـا . ومـا تَراهُ نفُوسُنـا مِن ذلِـكَ في حـالَتَيِ[٢٥] اليَقْظَـةِ والنَّـومِ إنّما هي صـورةٌ مُجَرَّدَةٌ من هَيُولاتِها[٢٦] . فثبتَ بذلك أن الصُّوَر لَها وجُودان .

وجودٌ في الْهَيُولى ؛

ووجودٌ خِلْوٌ مِنَ الْهَيُولى[٢٧] .

---

(٢١) في ط : وأن أعضاءَ الجسم إنما هي آلاتٌ لها تلتقط بها . (بزيادة : لَهَا) . وبهـا يكون الكلام أكثر وضوحاً .

(٢٢) كلمة « بالمعارف » من خ فقط .

(٢٣) في ط : البرهان الرّابع .

(٢٤) في ط : مصورة في ذواتها .

(٢٥) في ط : في حالي .

(٢٦) في ط : صورة مجرّدة من هَيُولاها .

(٢٧) في خ : خَلِقَ من . وفي ط : خِلْوٌ عَنْ ؛ وأثبتناه .

ولولا ذلكَ لم يُمكنْ نفوسَنا أنْ تَجِدَ صُورةً إلاّ في هَيُولاتِها[٢٨] .

وإذا ثبتَ ذلِـكَ لم يُسْتَنْكَر وُجودُ الإنسـانِ بَعْـدَ الْمَوْتِ صُورَةً مُجَرَّدةً مِنَ الْهَيُولى ولَمْ يَمْنَعْ مِن ذلكَ مانعٌ .

بُرْهَانٌ خَامِسٌ[٢٩]

نَجِدُ الإنسانَ بالْمُشَاهَدةِ يبدأ طِفْلاً لا يَعْلَمُ شَيْئاً . ثم لا يَزالُ كُلَّما نَشَأَ يَتَرقَّى في المَعَـارِفِ ، وتكثُر المعقـولاتُ في نَفْسِـه حتى يصيرَ فيلَسُـوفـاً حكيماً .

فلا يَخْلُو ما يَسْتفيدُهُ[٣٠] من التَّمييزِ والْمَعْرِفةِ أن يكونَ :

من قِبَلِ جِسْمِهِ فَقط ؛

أو من قِبَلِ نَفْسِه فقط ؛

أو مِنْ قِبَلِهِما معاً .

فإن كانَ من قِبَلِ جِسْمِه فيجبُ أن يكونَ الإنْسَانُ كُلَّما[٣١] ضَخُمَ جِسْمُهُ وكَثُرَتْ مادَّتُه كانَ أَقْعَدَ بقَبُول الْمَعارِف[٣٢] ، [وكُلَّما ضَؤُلَ ، وقَلَّت مادَّتُـهُ

---

(٢٨) في ط : لم تتمكّن نفوسَنا أن تجد صورة لا في هيولاها . (كأن : لا مصحفة من : إلاّ) .

(٢٩) في ط : البرهان الخامس .

(٣٠) في خ : مايستفيد ؛ وأثبتنا ما في : ط .

(٣١) في ط : مَهْما ضَخُم .

(٣٢) في ط : كان أشدَّ تهيّؤاً لقبول المعارف .

كانَ أبْعَدَ عَن قَبُولِ المعَارِف][٣٣] . ونَحْنُ نجِدُ الأَمْرِ بِعَكْسِ ذلك[٣٤] ؛ لأنّا نَرى مَنْ به السُّلال[٣٥] والذُّبولُ يَنْقُصُ جِسْمُهُ كُلَّ يَوْمٍ وذِهْنُهُ باقٍ على كَمالِهِ إلى أن تفارِقَهُ النَّفْس . فَبطَلَ[٣٦] بِهـذا الـدَّليلِ أن يكون [ذلـك][٣٧] من قِبَلِ جِسْمِه .

وبِنَحْوِ هذا الدَّليل يَبْطُل أن يكونَ [ذلك][٣٨] من قِبَلِ نَفْسِهِ [٣٧] وجِسْمِهِ مَعاً ؛ فإذَنْ ما يستَفيدُهُ [الإنسانُ][٣٩] من التَّمْييزِ والْمَعـارِفِ [إنما هو من قِبَلِ النَّفْسِ فَقط ؛ ولا حَظَّ في ذلـكَ للجِسْمِ أكْثَر مِن أنّـه آلـةٌ لهـا بِمَنْزِلَـةِ الآلاتِ للصّنـاعـة . ولا يَصِـحُّ وجـودُ التَّمييزِ والْمَعـارِف][٤٠] مِنْ مَواتٍ ، وإنَّما يصحُّ وجودُهما[٤١] من حيٍّ .

فالنَّفْسُ إذَنْ حَيَّةٌ بالطَّبْعِ ؛ لأنَّ في طَبْعِها قَبُولَ العُلومِ والْمَعارِفِ .

والجِسْمُ مَواتٌ بالطَّبْعِ ؛ إذ ليسَ في طَبْعِهِ قَبُول شيءٍ من ذلك .

فَبان بالبُرْهانِ أنّ الإنسانَ مُرَكَّبٌ من جَوْهَرَيْن :

---

(٣٣) ما بين معقوفتين من : ط ؛ وسقط من : خ .

(٣٤) في ط : ونحنُ نرى الأمْرَ بالعكسِ من ذلك .

(٣٥) في ط : السلّ .

(٣٦) في ط : فيبطل .

(٣٧) الزيادة من : ط .

(٣٨) الكلمة من : ط .

(٣٩) كلمة الإنسان من ط .

(٤٠) ما بين معقوفتين مستدرك من : ط .

(٤١) في ط : وجودها (بإفراد الضمير) .

أحدُهُما حَيٌّ بالطَّبْعِ ؛ وهي النَّفْسُ .

والآخَرُ[٤٢] مَواتٌ بالطَّبْعِ ؛ وهو الجِسْم .

وإنها لَمَّا اقْتَرنا عَرَضَ لِكُلٍّ واحِدٍ منهُمَا عَرَضٌ[٤٣] مِن قِبَلِ صاحِبِه . [٤٤]فعَرض للجِسْمِ الْحَيـاةُ التي هي الحِسُّ مِن قِبَلِ النَّفْس ، وعَرَض للنَّفْسِ الْمَوتُ الذي يُرادُ به الجهلُ من قِبَلِ الجِسم[٤٤] .

فالنَّفْسُ إذَنْ حَيَّةٌ بالطَّبْعِ مَيِّتَـةٌ بـالعَرَضِ ، والجِسْمُ مَيِّتٌ بـالطَّبْعِ حَيٌّ بالعَرَض . فإذا انْفَصل كُلٌّ واحِـدٍ مِنْهُما من صَـاحِبِـهِ خَلَصَ للجِسْمِ الْمَوْتُ الْمَحْضُ الَّذي هو طَبْعُه وفارقَتْهُ الْحَيـاةُ العَرضيَّـةُ الَّتي كانَ استَفـادَهـا من النَّفْسِ . وخَلَص[٤٥] للنَّفْسِ الحيـاةُ الْمَحْضَـةُ التي هي طَبْعُهـا . وفـارقَهـا الْمَوْتُ العَرَضِيُّ الَّذي كانَ عَرضاً لَها من قِبَلِ استِغْراقِها فِي الجِسْم .

بُرْهَانٌ سَادِسٌ[٤٦]

النَّفْسُ النَّـاطِقَـةُ تُنـاقِضُ النَّفْسَ الْحَيـوانيَّـة لأَنَّهـا تَرْغَبُ فِي كَسْبِ الفَضـائِل واطِّراحِ الرَّذائِـل . وتَـزْهَـدُ في اللَّذَّاتِ الْجَسـديّـة ، وتَرْغَبُ في اللذّاتِ العقليّة .

---

(٤٢) في ط : والثاني موات .

(٤٣) في ط : وإنها لَمّا افْتَرقا زالَ ماعَرض لكل واحدٍ من قِبَلِ صاحبه .

(٤٤ـ٤٤) مابين الرقمين لم يرد في : ط .

(٤٥) في ط : وخلصت .

(٤٦) في ط : البرهان السَّادِس .

والنَّفْسُ الْحَيَوانِيَّةُ بِضِدِّ ذلِكَ ، ولذلكَ سُمِّيَتْ بَهِيمِيَّةً .

فإنْ كانَ لا بقاءَ للنَّفْسِ الناطِقَةِ بعدَ فِراقِ[٤٧] الجسَد ، ولا لَها حَياةٌ أُخْرى تَجْنِي فِيها ثَمرةَ ما كانَتْ تَسْعى فيه ، وتَحُضُّ عليه[٤٨] ؛ فالنَّفْسُ الْحَيوانِيَّةُ [إذَنْ أَشْرَفُ من النَّاطِقَةِ وما تَأْمرُ بهِ النَّفْسُ الحيَوانِيَّةُ][٤٩] من استغراقها[٥٠] في الشَّهَواتِ هو الصَّوابُ والعَقْلُ ؛ وما تَأمرُ بهِ النَّفْسُ النَّاطِقَةُ هو الْخَطأُ والْجَهْلُ .

وهذا قَلْبُ العُقولِ[٥١] وعَكْسُ ماتَقْتَضيه الحِكْمَة .

بُرْهانٌ سَابعٌ[٥٢]

كُلُّ شيءٍ مُرَكَّبٌ مِنْ بَسَائطَ فَإنَّهُ يَنْحَلُّ إلى بَسائط[٥٣] . والإنْسَانُ مُرَكَّبٌ من سببين[٥٤] :

رُوحانيٌّ

وجِسْمانيٌّ

---

(٤٧) في ط : فِراقها الجسد .

(٤٨) في ط : ما كانت فيه تسعى وعليه تحرص فالنفس ..

(٤٩) ما بين معقوفتين من : ط .

(٥٠) في ط : من الاستغراق .

(٥١) في ط (مصر) : وهذا قلب للمعقول ، وعكسٌ لما ..

(٥٢) في ط : البُرهان السّابع .

(٥٣) في ط : إلى بسائطه .

(٥٤) مُرَكَّب من شيئين .

ونَحْنُ نَرى الإنْسانَ إذا مَاتَ لَحِقَ جِسْمَهُ بِجِسْمَانِيّ مِثْلِه ، فكذلك رُوحانِيَّهُ يَجِبُ أنْ يَلْحَقَ بِرُوحانيٍّ مِثْله[٥٥] .

وَقد صَحَّ مما قَدَّمْناهُ في البَراهِين السَّالِفَةِ أنّ ذلكَ الرُّوحانِيَّ هو الَّذي يُفِيدُ جِسْمَهُ الْحَياة ؛ وأنّهُ حَيٌّ بالفِعْلِ ، فهو إذَنْ حَيٌّ بَعْدَ مُفارَقَةِ الجِسْم[٥٦] ، لا يَعْدَمُ الْحَياة .

بُرْهَانٌ ثَامِنٌ[٥٧]

[٣٨] مَعْنى الْحَياةِ الْجَسديَّةِ عِنْدَنا[٥٨] هو مُقارنَةُ النَّفْسِ لِلْجِسْمِ[٥٩] واستِعْمالُها إيّاهُ ؛ ومَعْنى الْمَوْتِ مُفارَقَةُ النَّفْسِ إيَّاهُ وتَرْكُها استِعْمالَه .

وقالَ مَنْ زَعَمَ أنَّ النَّفْسَ هالِكَةٌ بِهَلاكِ الجِسْمِ : « مَعْنى الْحَيَاةِ أنْ تَكُونَ النَّفْسُ ذَاتَ حِسٍّ . ومَعْنى الْمَوْتِ أن تَعْدَمَ الحِسّ » .

فَنَسألُهُم عن الحِسِّ الْمَوْجُودِ للنَّفْس طولَ مُقارنَتِها للجِسْمِ[٦٠] : هل هُوَ ذاتيٌّ لَها ، أوْ عَرَضيٌّ فِيها[٦١] ؟

---

(٥٥) في ط : روحانيته يجب أن تلحق بروحانيّ مثلها .

(٥٦) في ط : بعد مفارقة الجسد .

(٥٧) في ط : البُرْهَان الثامن .

(٥٨) في ط : معنى الحياة الجسدية عندنا هو ؛ وفي خ : عند مقارنة . وأثبتنا ما في ط .

(٥٩) في ط : الجِسْمَ (بحذف أداة الجرّ) .

(٦٠) في ط : للجسد .

(٦١) كلمة : فيها ، لم ترد في : ط .

فإن كانَ ذاتياً لها بَطل أن تُعْدَمَ الحِسّ بعد مُفَارقَتِهَا الجِسْم[٦٢] ؛ وإنْ كانَ عَرَضِيّاً فيها[٦٣] فلا يَخْلُو من أن يكونَ استَفادَتْهُ من الجِسْمِ ، أو مِنْ جوهَرٍ آخَر مُصاحِبٍ له[٦٤] .

فإنْ كانَ الجِسْمُ هو الّذي يُفِيدُها الحِسّ وجَبَ ألاّ يَعْدَمَ الجِسْمُ [الحِسّ][٦٥] إذا فارَقَتْهُ النّفْسُ ؛ وهذا خِلاف[٦٦] ما نُشاهِدُهُ مِن حَالِها ، وحالِ جِسْمِهَا .

وإن كانَت[٦٧] النّفْسُ إنّما تستَفِيدُ الحِسّ من جَوْهَرٍ آخَر روحانيٍّ مُتّصِلٍ بها وَجَبَ أنْ نسألهم عن ذلكَ الْجَوْهرِ الآخَرِ : هَلْ هُوَ حَسّاسٌ بذاتهِ أمْ بِجَوْهَرٍ[٦٨] آخَرَ أيْضاً ؛ ويستمرُّ ذلك إلى ما لا نِهاية لَه . وما لا نِهايَة لَهُ بالعقل[٦٩] فمَحالٌ ؛ فَثَبتَ أنّ النّفْسَ حَسّاسَةٌ بِذاتِها وجَوْهَرِهَا . وما كانَ حسّاساً بذاتِه وجَوْهَرِه بَطل أنْ يُعْدَمَ الْحَياة .

فالنّفْسُ إذَنْ حَيّةٌ بعدَ فِراقِ الجِسْم .

---

(٦٢) في ط : للجسد .

(٦٣) كلمة : فيها ، لم ترد في : ط .

(٦٤) في ط : مصاحب لها .

(٦٥) الزيادة من : ط .

(٦٦) في ط : وهذا ضد مانشاهده .

(٦٧) في ط : فإن كانت .

(٦٨) في ط : أو بجوهر .

(٦٩) في خ : وما لا نهاية بالعَقْلِ . وفي ط : وما لا نهاية له بالفِعْل . وأثبتنا (له) من : ط .

وقد اسْتَدَلَّ الْحُكَماءُ على بَقَاء النَّفْسِ النَّاطِقَة بأَدِلَّةٍ كثيرةٍ غَيْرِ هذه .

وفيما ذَكَرْناه مِنْها مَقْنَعٌ .

وباللهِ التَّوفيق .

كملت المسائل الفلسفيّةُ والحمد للهِ كثيراً(٧٠) .

---

(٧٠) في ط ، في موضع هذه العبارة : « تَمَّ الكتابُ بحمد الله وعونه وتوفيقه . والحمدُ للهِ وصلاتُه على سيّدنا محمّد وآله وصحبه وسلامه » . انتهى .

المستشرق الإسباني البحّاثة
مقدمة ميغيل آسين بلاثيوس
على طبعته لكتاب (الحدائق) في مجلة الأندلس
وتعريف به

ترجم المقدمة : الدكتور سهون حايك

م . آ . بلاثيوس ، ومقدمته لكتاب الحدائق

في أثناء ندوة حطين التي دعت إليها وزارة الثقافة عام ١٩٨٧ م ، التقيت مرة أخرى بالصّديق الأستاذ الدكتور سهون حايك ، وسألته أن يتفضل بمراجعة مقدّمة كتاب (الحدائق) التي كتبها المستشرق الإسباني ميچيل أسين بلاثيوس حين أصدر هذا الكتاب في مجلة الأندلس ، ويتكرم بترجمتها .

ولبّى الزميل الكريم رغبتي فترجم مقدمة بلاثيوس : وها أنا ذا أضعها مع هذه المقدّمات التي أصدّر بها نشرتي لكتاب الحدائق[١] .

وإنني أسجل هنا شكري وتقديري للدّكتور حايك ، وأرجو أن يستمر تعاوننا في مجال الدراسات والبحوث العربية عامة والأندلسية خاصّة .

وأقدّم قبل النصّ المترجم بتقدمة سريعة عن هذا الباحث الإسباني القدير ، المحب للثقافة العربية الإسلامية ، والذي قدّم جهوداً عظيمةً في الأدب العربي ، والفلسفة الإسلامية ، وكان له شأنٌ خاص في حقل تبيّن الأثر الإسلامي في الفكر الأوربي .

ميغيل آسين بلاثيوس

ميغيل آسين بلاثيوس (١٨٧١ ـ ١٩٤٤ م) أحد أعلام الدراسات العربية في إسبانية ، وأحد أركان المدرسة الأندلسية في هذا القَرْن .

ولد في مدينة سرقسطة عاصمة مقاطعة أرغون . ودرس في مدارسها ، ودخل كلية الآداب في جامعتها . ودرس في الوقت نفسه في المعهد الجمعي (معهد ديني لتخريج رجال الدّين) ؛ وتخرج فيه فعلاً سنة ١٨٩٥ م وعيّن قسيساً في كنيسة سان كينانو بسرقسطة .

(١) تركت المقدمة على حالها . لم أحذف منها شيئاً . أعني خصوصاً تقويمه لكتب ابن السيّد التي اطلع عليها م . أ . بلاثيوس . وما أورده عن كتاب الإنصاف : فتحت أحكامه نظر كثيرٌ .

وتتلمذ ميجيل آسين بلاثيوس على خليان ريبيرا (١٨٥٨ ـ ١٩٣٤ م) وهو مستشرق من ذوي الفضل على الدراسات الأندلسية ، وأسهم في نشر عدد من النصوص التراثية الأندلسية وساعد ريبيرا تلميذه على دراساته العربية .

وحصل م . آ . بلاثيوس على درجة الدكتوراة من جامعة مدريد سنة ١٨٩٦ م . وكانت رسالته عن الإمام الغزالي ، ثم أصدرها معدّلة سنة ١٩٠١ م بعنوان الغزالي : (العقائد والأخلاق ، والزّهد) .

وخلف م . آ . بلاثيوس أستاذه ربيرا على شغل منصب أستاذ كرسي اللغة العربية في جامعة مدريد سنة ١٩٠٣ م .

وأسهم هذا المستشرق النشيط في كتابة المقالات وتقديم البحوث ، إلى المجلاّت المتخصصة ، والمؤتمرات الأدبية والثقافية ، واشترك في المؤتمر الدولي للمستشرقين المنعقد في الجزائر ١٩٠٥ م بصحبة كوديرا ، وحضر معه المؤتمر الآخر لهم في كوبنهاجن ١٩٠٨ م .

واختير سنة ١٩١٢ م عضواً في الأكاديمية الملكية للعلوم الأخلاقية والسياسية وألقى سنة ١٩١٤ م ـ عند ممارسته الفعلية لهذه العضوية ـ بحثاً عن : ابن مَسَرَّة ومدرسته : أصول الفلسفة الإسبانية الإسلامية . وتابَع أثر هذه المدرسة في الفكر الأوربّي .

و م . آ . بلاثيوس معروف في الدراسات الإسلامية والأوربية ـ وخصوصاً عند المهتمين بالأثر الإسلامي في أوربة ـ بالبحث الخطير الذي ألقاه في ٢٦ كانون الثاني ١٩١٩ م ، بمناسبة تعيينه عضواً في الأكاديمية الملكية الإسبانية بعنوان : « الأُخْرَوِيَات الإسلامية في الكوميديا الإلَهيّة » . فقد قرّر بالأدلة والاستنتاجات ـ التي أيدتها البحوث التالية ـ تأثر دانتي بالتصورات الإسلامية للآخرة في وضعه للكوميديا الإلَهيّة .

وتابع هذا المنهج فأثبت أن الراهب تورميدا الفرنسكاني (نحو

١٣٦٢ ـ ١٤٢٣ م) نسب إلى نفسه أجزاء من رسائل إخوان الصفا . وقد أسلم هذا الراهب (ينظر في تفصيل هذا موسوعة المستشرقين : ٧٨) .

وأنفق بلاثيوس زماناً متطاولاً في العناية بكلّ من ابن حزم القُرطبي ومحيي الدين بن عربي . ودرس كتاب طوق الحمامة قبل أن يصدره بتروف أول مرة . وأصدر ترجمة لكتابه : الفصل في الملل والأهواء والنحل ، ودراسة مستفيضة عن ابن حزم . وأصدر عن ابن عربي أكثر من أثر ، أشهرها كتاب بعنوان « ابن عربي : حياته ومذهبه » وكتب بحثاً عن أثر ابن عباد الرندي في يوحنّا الصليبي . وترجم بعض كتب الغزالي ...

واستمرّ م . آ . بلاثيوس على نشاطه في أثناء الحرب الأهلية الإسبانية وبعدها . في التأليف والترجمة والتصنيف ، والمشاركة في نشاط الأكاديميات الثلاث التي كان عضواً فيها : (الأكاديميّة الإسبانية ، وأكاديميّة التاريخ ، وأكاديمية العلوم الأخلاقية والسياسيّة) .

وجمع مقالاته المتعلّقة بتأثير الإسلام في أوربة والمسيحيّة في كتاب عنوانه « تأثيرات الإسلام » أصدرهُ سنة ١٩٤١ م .

وعني سنة ١٩٤٠ بدراسة الأسماء العربية للبلاد الإسبانية ، وحاول التعرف إلى نظائرها الحالية في إسبانية . وبحث في الأسماء الرومانثية التي سجلها عالم نبات أندلسي مسلم مجهول لقيه في مخطوط في الأكاديميّة الملكية للتاريخ .

وكانت وفاته سنة ١٩٤٤ م في ١٢ آب من ذلك العام ، وهو ابن ثلاث وسبعين سنة .

وصدر له بعد وفاته مجموعة مختارة من آثاره طبعت بعنوان : (مؤلفات مختارة) صدرت في ثلاثة أجزاء .

وقد أُثبتت عناوين مقالاته وبحوثه ودراساته ومؤلفاته وتراجمه في ترجمته

في مجلة الأندلس الصادرة سنة ١٩٤٤ م : (ج ٩ ص ٢٦٧ ـ ٣١٩) .

وأثنى مُتَرجمو م . آسين بالاثيوس عليه ؛ ونذكر هنا قول الدكتور بدوي في ترجمة له في موسوعة المستشرقين : « لقد كان آسين بلاثيوس طوداً شامخاً من أطواد الاستشراق ؛ يحتلُّ مكان الصدارة التي يحتلُّها نلّينو (إيطالية) وجولدزيهر (المجر) ونولدكه (ألمانية) وماسينيون (فرنسة) وكراتشكوفسكي (روسية) ودوزي (هولندة) ، وبه رسخت أقدام البحث العلمي المتميّز في تاريخ الإسلام الرُّوحي في إسبانية ، ولئن كان منهجه العلمي يستند إلى اللمحات البعيدة واللوامع العبقرية أكثر مما يستند إلى الوثائق والقواعد المنهجية الوثيقة ، ويحفل بالفروض أكثر ممّا يحفل بالوسائل الكفيلة بتحقيقها على أصول راسخة فإن كثيراً من نظراته اللّماحة التي بدت في البدء خياليّة ، قد جاءت الوثائق المكتشفة فيما بعد لتؤيّدها ؛ فضلاً عن أنها وجّهت ـ وستوجّه البحث ـ في اتجاهات جديدة ما كان يمكن الانتباه إليها لولا قبساتُ الوضّاءةُ هذه . ومن هنا جاء الكثيرُ منها موحياً أكثر منه مُقْنِعاً ... » .

وقد اختير بلاثيوس عضواً في مجمع اللغة العربية بدمشق تقديراً لجهوده في الثقافة العربية وكان له تقديره ومكانته في كل محفل له اهتمام بالتراث العربي الإسلامي أو عناية بالثقافة العربيّة ، وخصوصاً : آدابها وفلسفتها وفكرها الديني .

(ترجم لميغيل آسين بلاثيوس : إميليو غارثية غومس في مجلة الأندلس ج ٩ ـ الصادرة سنة ١٩٤٤ م ـ الصفحات : ٢٩٣ ـ ٣٢١ .

واهتم به الكتّاب الذين اعتنوا بالمستشرقين : ينظر مثلاً : المستشرقون لنجيب العقيقي ٢ : ٥٩٥ ، وموسوعة المستشرقين ٧٧ ، ومناهج المستشرقين في الدراسات العربية الإسلامية الصادر عن المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم في جزأين ، والدراسات العربية والإسلامية في أوربة : ١٣٨ ...) .

مقدمة لكتاب (الحدائق) لابن السِّيد البطليوسي(☆)

بقلم ميفيل آسين بلاثيوس

انتقلت شخصيّةُ هذا الكاتب الإسباني الْمُسلم إلى تـاريخ الثقـافـات العربيـة كأنها صورةٌ للغوي ونحوي عـادي ، وامتزجت مع جمـاعـاتٍ لا تُحصى من الأُدبـاء من هذا النّوع ، واللائمة تقعُ على الذين تَرجموا له[1] فقد أبرزوا فيـه تلـك الْمَواهب التي لم يتميّـز بهـا وتَركُـوا ـ جـانبـاً ـ مـواهبَـهُ الحقيقيّـة ؛ أي : « المفكّر والفيلسـوف » . وهـاتـان الصّفتـان لا يَنظر إليهما بعين الرّضى في الأنـدلس الْمُؤرّخون وغيرهم ، فابنُ بَـاجّـة وابن طُفَيل وابنُ رُشـد لاقوا المصيرَ نفسـه ، وإذا أُدرجت أسماؤهم في جُملة الأدباء والعلماء والأطباء غير ذلـك ؛ فـذلـك لكي يَتركوا مؤلفاتهم الفلسَفيّة في الظلّ أو لكي يَستنكروا مذاهبهم الفِكريّـة لأسبـابٍ لاهوتيّـةٍ دون التوقّف لتحليل فَحْواها . وقد توصّلوا إلى إهمـال عنـاوين مُؤلّفـاتهم نفسِهـا . ولا عَجب إذا رأينا أَن مؤلّفات ابن السِّيد الفلسفيّة لم تَحْظَ بالشُّهرة التي تستحقُّهـا حتى ولم تُنعت بخروجها على الدّين لأنّها ظَلّت مَجْهُولة ، ومعَ ذلـك ففي تـاريخ الفلسفة الإسلاميّة الإسبانيّـة فـإنّ مؤلفـات هـذا الرّجُل الفلسفيّـة تمثّل نواةَ تلـكَ الفَلسفة الْمُتمخّضة التي وُلدت عندَ ابنِ بَاجة وابن طُفيل وابن رُشد .

حياته :

عاصرَ ابن باجّة وسَبق ابنَ طُفيل وابنَ رُشـد ، لقـد تطوّرت حيـاتُـه في فترةٍ حرجةٍ انتقـاليّـةٍ من مُلـوك الطّـوائف إلى الْمُرابطين أي عنـدمـا بـدأ الانحطـاط

(☆) من ترجمة الأستاذ الدكتور : سهون حايك .

(١) ابن بشكوال رقم ٦٣٩ ، الضبي رقم ٨٩٢ ، ابن خلكان وفيات طبعة القاهرة ١٢٩٩ م ، ابن خاقان طبعة مرسيليا باريس ١٢٧٧ م وبروكلمان جزء أول ٤٢٧ .

السّياسي الإسلامي الإسباني ، فوَحدةُ الخِلافة الأمويّة في قرطبة تحطّمت ، وملوكُ الطّوائف مُعرّضُون من الخارج لغَزواتِ النّصارى المُستمرة ، فهرع بعضُ مُلوكِ الطوائف إلى يُوسف بن تاشفين لِينشلهم من الهُوّة التي وَقعُوا فيها على أيدي النّصارى غيرَ أنّ الأزمات السّياسية لا يرافِقُها دائماً الانحطاطُ الثّقافي ، ففي الغالب يُقابِلُها ازدهارٌ أدبيٌ وعلميٌ هو بالواقع نتيجةُ الجُمود أي مجرّد استمرار الازدهار الذي حدَث قبل وُقوع الأزمة . ويقول لنا صاعد الطّليطلي مؤرّخ تاريخ العُلوم ـ وعاش قبل ابن السّيد بزمنٍ قليل ـ في كتابه « الطّبقات[1] كيف أن مُلوك الطوائف وَرِثُوا الازدهار البلاطي عن قُرطبة ثم نَما هذا الازدهارُ عن طريق سياسةٍ أكثر انفِتَاحاً من قِبَل أُولئك المُلوك الصّغار الذين رحّبُوا بالعُلَماء والأُدباء ووضعوهم تحت حمايتهم نابذين الوساوس ذات الطابع الديني .

في بلاطِ مملكةِ بَطَلْيَوْس قاعدة بني الأفْطَس ، وُلد ابن السّيد عام ٤٤٤ هـ ، ١٠٥٢ ميلادية على عهد المُظَفّر وهو ثالث ملكٍ من ملوكِ بني الأفطس ، ولا يظهرُ أنّ الفلاسفةَ شارَكُوا في تثقيفِه الفِكريّ بل ثقفه فقهاء وأدباء . وبلاط المظفر ازدهرت فيه الآداب أكثر من أيّ بلاط آخر . والملك نفسُه أسْهَم في ازدهاره . وما لبث أن غادر ابنُ السّيد مسقط رأسِه وانتقّل إلى مناطق أكثر أماناً وسِلْماً إذ أن مملكة بَطَلْيَوس هي على عراكٍ مستمرّ مع مملكة إشبيلية ، ومهدّدة باستمرار من قِبل الملك فِرْنَنْدُه الأوّل القَشْتَالي فأصبحت مملكة بَطليوس تدفعُ الجزيةَ لقَشْتَالة وما لبث الأمر أن سقطت بأيدي المُرابطين ، ومن المرجّح أن ابنَ السّيد انتقّل إلى بَلنسية إذ أن جميعَ الّذين ترجَمُوا له يتحدثُون عن هذه المدينة ، ولا يَذْكُرون مدينةً أُخرى . وابن خاقان ـ وحده ـ يقدم لنا معلوماتٍ واضحةً

(١) راجع ترجمة (بلاشير) باريس ١٩٣٥ م صفحة ١٢٧

(والمقصود هنا كتاب : طبقات الأمم لصاعد الأندلسي ، وله أكثر من طبعة عربية ، وهو في حاجة إلى تحقيق علميّ ـ المحقق) .

وكاملـةً تقـول إنّ ابنَ السّيـد طلبَ حمـايـة الأمير عبـد الملـك بن رَزين (١١٠٢ ـ ١٠٥٨) فقد شغلَ عنـده وظيفـةَ كاتب ؛ إذ أن ابنَ السّيـد يُسَيطر على هـذه المِهنـة ويُجيـدُهـا تمـام الإجـادة . وقـد سَقطت مملكـةُ ابن رزين بـأيـدي المُرابطين عام ١١٠٣ ميلادية ، وابنَ السّيد الذي توقّع هـذا المصير غـادرَ وظيفتـه قبلَ ذلكَ بزمانٍ وانتقلَ إلى طُلَيطلة عازمـاً على تكريـس مـا بقيَ من حيـاتـه في استثمار العُلوم . وكانَ يملـك في طُليطلـة آنـذاك المـأمُون (١٠٧٥ ـ ١٠٣٧) وهـذا المركزُ يعتبرُ من أحسن المراكز لتحقيق غايَتهِ ؛ فهو يتقاسم مع سَرقُسطـة احتكارَ الثّقافة في المَنـاطِق الشّماليـة من الأنـدلس ، بينمـا إشبيليـة وقُرطبـة تُهيمنـان على المَناطق الجنوبية منه . لا نَعرف شيئاً عن حيـاة ابنِ السّيـد في طُلَيطلـة ، غير أن ابنَ خـاقـان يـذكرُ أنّ ابنَ السّيـد لم يَنصرف في طُلَيطلـة إلى تَعـاطِي العُلـوم بـل انصرف إلى الآداب . ويذكر لـه مقطوعـةً شعريّـةً أنشـدَهـا أمـام المـامون بن ذي النون . ومن الأكيـد أيضـاً أنـه أقـامَ فترةً قصيرةً في سَرقُسطـة كما يتبين ذلـك من حـادثـةٍ أُخرى ذكَرهـا ابنُ خـاقـان ؛ إذ أنّ ابن السّيـد نظمَ قصيـدةً يمدحُ فيهـا المُستعين بنَ هُود ملـكَ سَرقُسطـة المتـوفّى عـام ١١١٠ ، وقـد يُمكن أن نضـع في هذه الفترة من حياته النّقاش الذي دارَ بينه وبين ابنِ بـاجـة حول مواضيع تتعلّق بالقَواعِد والجَدل . وقد ذكَرهُ ابنُ السّيد في كتـابـه الـذي يحمل عنوان : « كتـاب المَسائل » . يستعملُ فيه لهجةً احتقاريّةً لابنِ باجّةَ إذ أنّ ابنَ بَاجّة في ذلـك الحِين لم يكن بعدُ أميرَ الفلسفة الإسبانيّـة الإسلاميـة بل كان رجل أدب عـاديّـاً . توفّي المستعين في معركة بلتيرة (١١١٠) ربحها ألفونسو المُقاتل ملك أراغون ممّـا أدّى إلى أن تصبح سَرقُسطة تحت رحمةِ المُرابطين . وبعد ثمانية أعوام أي في عـام ١١١٨ استَولى عليها النّصارى ومن المُفترض أنه في أيّام اضطرابـات مثل هـذه غـادر ابن السّيـد سَرقُسْطَـة كما اضْطرّ إلى مغـادرة بَطلَيوس والبَراسين وطُلَيطلـة لكي يبحث عن ملجأ ، ووجده في مملكة بَلنسيـة التي خَضعت مثل بقيّـة المنـاطق الأنـدلسيـة

لِحُكم المُرَابطين ، وهنـاك توفي عـام ٥٢١ / ١١٢٧ . وكرس أعـوامـه الأخيرة للنّظرِ في مُؤلّفاته والإشراف على تلاميذِه الذين قَصدُوه من جميع الأنحاء لكي يتقبّلُوا تعاليمه .

مؤلفاته :

أكثرها في علم القَواعِد واللُّغة والانتقاد الأدبي . وقليلة تلك الّتي لا تحمل هذا الطّابع اللّغوي . وهذه لائحة بمؤلفاته التي تكرم بها علينا ابن خلكان :

١ ـ **كتاب الأسماء**[1] : ويقول عنـه ابن خلكان أنـه أسمى من كتـاب قُطرب المتوفى عام ٨٢١ نظراً لدقّة معلوماته ، واتّساعه .

٢ ـ **شرحُ سقط الزند** : وقـال عنـه ابن خلكان إنـه أكمل وأجود من شرح أبي العلاء نفسه لهذا الكتاب تحت عنوان « ضوء السقط » .

٣ ـ **كتاب الحُروف الخمسة** : أي السين والصّاد والضـاد والطّـاء والـذّال لأن لفظها يحملُ على الالتباس والتبديل .

٤ ـ **كتاب الحُلَل في شَرح أبيات الجمل** : وهو شرح للأشعـار الواردة في كتـاب (الجمل) وهو من أهم التآليف في القواعد العربية في الإسلام كتبه الزجاجي (٩٤٩) .

٥ ـ **الخلل** : تكملة الكتاب السابق وفيـه يصلح ابن السيـد أخطـاء وردت في كتاب الزجاجي .

٦ ـ **كتاب شرح الموطّأ** : وهو شرح لأشهر كتاب لمالك في الشّرع .

٧ ـ **شرح ديوان المتنبي** : وهو شرح لقصائد أمير الشعراء العرب المتوفّى عام ٩٦٥ م .

٨ ـ **كتاب الاقتضـاب في شَرح أدب الكُتّاب** : وهو شرح لكتـاب ابن قتيبـة المتوفى عام ٨٨٩ م .

---

(١) يريد كتاب المثلثات (انظر مقدمة التحقيق) .

٩ ـ كتاب الإنصاف في التنبيه على الأسباب المُوجبة لاختلاف الأمّة .

١٠ ـ كتاب المَسائل .

١١ ـ كتاب الحَدائق .

وإذا استثنينا رقم ٦ و ٩ و ١٠ و ١١ فإن بقيّة الكُتب هي في اللّغة ، وقليلةٌ جداً الكُتب المحفوظة ، فبروكلمان يذكر الكتاب الذي يحمل رقم ١١ أي كتاب الحدائق الذي نعمل على طَبْعِه[1] إذ أنّ « شرح الخمس مقالات من كلام الفلاسفة » الّذي يذكره بروكلمان ليس في الواقع سوى كتاب الحَدائق . طبع اثنان من هذه الكُتب وهما رقم ٨ في بيروت ١٩٠١ ورقم ٩ في القاهرة ١٣١٩ هجرية .

كتاب رقم ١٠ موجود مخطوطاً في مكتبة الاسكوريال تحت رقم ١٥١٨ وقد تحدثت عن هذا الكتاب في مجلة الأندلس عام ١٩٣٥ م مجلد رقم ٣ من صفحة ٢٤٥ إلى ٢٨٩ ، ويتحدث عن عدم إيمان الشاعر الوقاشي ، وقد طرحت هذه المسألة في إسبانية ، والشّاعر يحلّل على طريقته الخاصة التوفيق بين العقل والإيمان قبل ابنِ رُشد بمئة عام . والمسائل الأخرى التي تتناول مواضيع فلسفية هي هذه :

١ ـ حول خطأٍ مزعومٍ للفارابي في تَعداد المَقُولات الثّلاث الأُولى بكتاب أُورغانون لأرسطو .

٢ ـ حول خُلود النفس .

٣ ـ حول « إصابة العين » .

٤ ـ حول الكيمياء السّحرية .

٥ ـ حول الجَدل الذي حصَل بين المُؤلّف وابن باجة ، المُشار إليه سابقاً .

ليس هذا هو الكتاب الذي يبين عن تَثقيف ابن السِّيد الفلسفيّ ، فبصرفِ النّظر عن كتاب (الحَدائق) الذي نحن بصدده يوجد كتابان هُما المذكوران تحت

---

(١) الطبعة التي أخرجها المستشرق الأستاذ آسين بلاثيوس (انظر مقدمة التحقيق) .

رقم ٨ ورقم ٩ ، يلمحُ فيهما ابنُ السِّيد إلى مواضيع فلسفيّة مضطراً لِمُجاراة متطلّبات شَرْحِ النُّصوص الغَرِيبة عنه ، ونظراً للعلاقات الوثيقة التي تربط المسائل اللاهوتية بالفلسفة .

تحليل كتاب الاقتضاب :

إنه تعليقٌ على كتاب ابن قتيبة « أدب الكتّاب » ، وبالحقيقة فإن ابن السِّيد لا يشرحُ ولا يحلّل سوى مقدّمة هذا الكتاب إذ أنه في الباقي يقتصر على تصحيح وتوضيح الأشعار التي أدرجها ابنُ قُتَيبة في تأليفه . وعندما يحلّل ابنُ السِّيد المقدّمة كلمةً كلمةً يتوقف عند تلك الكلمات التي لها طابع فلسفي لكي يفسرها باقتضاب ولكن بكل وضوح وحسب المعنى المطلوب وكما هو موجود في الموسوعة اليونانية ، والأمثلة على ذلك في كلمة « الكون » ، وكلمة « الفساد » ، والجوهر ، والعَرَض ، والخَطّ والنُّقطة والسَّطح والجِسم والآن والزَّمان ، ويفسّرُ الكلماتِ الهَندسيّة كما يُوافق الهندسةَ والكلماتِ الفَلكيّة كما يُوافق عِلم الفَلك ، وفي كل هذا ظهَرت مواهبُ ابنِ السِّيد كما اعْتَرف له بذلك الذين ترجَمُوا له : الوُضوح والبَساطة والنِّظام في التَّفسير . أمّا بقيةُ الكِتاب فلا تقدّمُ لنا الفائدةَ المرجوّةَ ؛ إذ أنّها تبحث في مواضيع بورقراطية[1] . وحتى في هذه المواضيع لا توجد مطابقة مع الزّمن الذي عاش فيه ابنُ السِّيد ، ولو أنه جاري عصره لكان لهذا الشرح قيمةٌ كبيرةٌ بالنّسبة إلى تاريخ التنظيم الإداري في الأندلس ؛ إذ أنّه على التّوالي يتكلّمُ عن الكاتب البَسِيط ثم عن أمين السّر للمُراسلات ثم الكاتب المالِي ثم الكاتِب الحَربي ثم كاتب العَدل ثم كاتب الشّرطة ثم كاتب الدّولة .

تحليل كتاب الإنصاف :

في هذا الكتاب يظهر الطابع الفلسفيّ عند ابنِ السِّيد أكثر من الكتاب

---

(١) يريد قضايا تتعلق بأدب الكتّاب ، ولغة الدواوين . (المحقق) .

السّابق لأنه يـدرسُ موضوعاً من أخطر المَشـاكل الّتي واجَههـا المُفكّرون المُسلمون وهي كثرة الفِرَق في الإسلام والدّواء لردها إلى فرقة واحـدة ، ويعترف ابنُ السِّـيد في المقـدمـة أنّـه من المُستحيل الوصول إلى هـذه الوحـدة في الحيـاة الـدُّنيـا[٢] لأن الاختلاف في وجهات النظر ناتجٌ عن الفوارق الإنسانيّـة وهي غيرُ قـابلـةٍ للتوفيق لا طبيعيّاً ولا نفسيّاً ولا أخلاقياً فبقضاءٍ إلّهي يختلفُ النّـاس فيا بينهم من حيثُ العِرق واللّونُ واللّغـة والأسـاليب وطُرق التفكير ، ولكن مجرد هـذه الفَـوارق التي لابُدّ منها تعني ضمناً ضرورة ردّها إلى الوَحدة عندما تكونُ الخلافات عقـائـديّـة ؛ لأن الحقيقةَ هي واحدةٌ بحدّ ذاتهـا وإن تغيّرت الأسـاليبُ للوُصول إليهـا في هـذه الحَياة الدُّنيا . لا يمكنُ أن توجدَ الكثرةُ دون وجودِ الوَحدة ؛ ولهذا نقعُ في الشّـك المُطلق الذي يتخَبّط به السّفسطائيون إذا لم يكن يُوجد حياةٌ أُخرى يتحوّل فيهـا الخلافُ في الرّأي عند النّاس في المَسـائل اللاّهوتيـة إلى وحـدةٍ كَـاملـة . وحتى يتمّ ذلك لابُدّ لنا في هـذه الحَيـاة من وُجود وسيلـةٍ تُزيل هـذه الفَوارق أو تخفف على الأقل من حدّتها ، أو البحث في مصـدرهـا عن الأسبـاب التي أدّت إلى حُصولها ، وهي على العُموم المعاني المختلفة التي تَبنّاهـا النـاسُ في التّعبير عن أفكارهم عنـدمـا يريـدون الكـلامَ عن العَقـائـد المُنـزّلـة . والفِرَقُ التي يُشير إليهـا ابنُ السِّـيد هي الجبرية والقَدرية والجهمية والشيمية وغيرها ، ولا يتوقّف عند كُلّ فرقة من هـذه الفرق بل يكتفي بذكر الأسباب العـامّـة لوجود مثل هـذه الفِرَق ، ويَعْزُوهـا إلى ثمانية أسباب[١] :

١ ـ استخـدام ألفـاظ قـابلـة للالتبـاس وقـابلـة لعـدّة تفسيرات وبعض هـذه التفسيرات متناقضة بحد ذاتها أو بعوامل أُخرى صرفيّة أو نحوية .

---

(١) الإنصاف : (القاهرة ١٣١٩ هجرية) ص ٥ ـ ١٠

(٢) انظر مقدمة تحقيقنا لكتاب (الإنصاف) الطبعة الثـالثـة بـدار الفكر (المحقّق) ، ومقـدمـة ابن السِّيد لكتابة هذا ، فإن في عبارات المستشرق الفاضل شيئاً من الغموض واللّبس .

٢ ـ اختلاف الآراء المتولّدة عن أخذ المعنى الحقيقي ، أو المعنى المَجازِي في العقائد الموحاة .

٣ ـ اختلاف في الآراء متولّد عن استخدام نصوص موحاة ولكنّها بحد ذاتها لا تتضمن المعنى الكامل والحاسم بل تحتاج إلى إيضاحات بنصوص أخرى عن طريق بُرهان القياس .

٤ ـ اختلافات متأتية عن أخذ كلمات النّصوص (الموحاة) بمعنى مطلق بينما في الحقيقة لها معنى مقيد ، أو العكس .

٥ ـ اختلاف في الآراء ناتج عن الاستعمال غير الدقيق للحجج بالاعتماد على الحديث المشكوك في صحة نسبته .

٦ ـ اختلاف حاصل عن التفكير نفسه وعن برهان القياس في مسائل لا تحل عن طريق النصوص الموحاة .

٧ ـ خلافات ناتجة عن إهمال النصوص الموحاة التي تلغي نصوصاً أخرى .

٨ ـ اختلاف الآراء في موادّ عملية يعتبرها الشّرع الدّيني جائزةً .

تحليل كتاب الحدائق

من الواضح أنه من كتاب « الاقتضاب » وكتاب « الإنصاف » لا يُمكن أن نعتبر ابنَ السّيد فيلسوفاً ولا حتّى من هُواة الفلسفة ولولا كتابُه « الحدائق » لما كان يستحقّ أن يُسَمّى أكثر من لغويّ . فبصرف النّظر عن مَواهِبه الشعرية التي لا مجال لذكرها هنا ، وقد أشاد بوصفها الذين ترجموا له ، مَرُّوا بكتابه هذا مَرّ الكرام كما لو كان غيرَ موجود ؛ والأوروبيون أنفسهم أيضاً أهملوا هذا الكتاب حتى جاء بروكلمان وذكَره في مؤلّفه الضخم (المجلد الأول ص ٤٢٧) . وعُرف هذا الكتاب بين اليهود فقط بفضل ترجمةٍ عِبرية له قام بها الكاهن اليهودي المعروف مارسيلا ، موسى بن طبون ١٢٤٠ ـ ١٢٨٣ ونشرها يهودي آخر قشتالي اسمه صموئيل بن موطوط في وادي

الحِجارة عـام ١٣٧٠ ، ولكن اسم ابن السِّيـد البطليوسي حَرّفـه اليهـود بحيث اعتقـد الناس أن هذا الرجل هو بطليوس العالم الفلكي اليُوناني . وهـذا جعل اسمَ ابنِ السِّيـد يضيع حتى جاء « كُوفمان » عام ١٨٨٠ وكشف الغُموض عن هذه القضية عندما طبع التّرجمة العِبرية لموسى بن طبون (راجع دافيد كوفمان في كتابه المطبوع في بودابست عـام ١٨٨٠ م ، وجـورج سـارتـون في كتـابـه مقـدمــة لتـاريـخ العلوم المطبـوع عام ١٩٣١ م ذاك بالألمانية وهذا بالإنكليزية) .

وأهمية هذا الكتاب الفلسفيـة بـاديـةٌ من حيث أنّ ابن طبون موسى وهو من أهم المُتَرجمين في القُرون الوسطى قرّر ترجمة هـذا الكتـاب إلى العِبريـة ، وبفضل هـذا المترجم الكبير تعرفت أوروبـا على قسم كبير من مؤلّفـات الفـلاسفـة وعلمـاء الحساب وعلماء الفلك والأطباء العَرب مثل ابن رشد والفارابي وابن سينا وجابر ، والبطروجي والرازي وغيرهم ، مؤلفات نقلت فيما بعد إلى اللاتينيـة وطُبع بعضهـا في إيطاليا ، غير أننا لا يجب أن نسترسل في المُبَالغة في قيمة هذا الكتاب ، إذ أنـه بالواقع لا يتعدى كونه تأليفاً لكي يُوضع في أيدي المُبتـدئين بِعلم الفلسفـة ؛ فـإنّـه يعكس المَعارف الفلسفيّة السّائدة في إسبانية الإسلاميّة آنذاك عندما كان ابنُ باجّة يؤلّف كتبه ، وعندما كانَ ابنُ طفَيل وابنُ رشد غير موجودين ، أو قبل أن يفكر ابنُ رشد في شرح أرسطو .

تزداد أهميّـةُ ابن السـيـد عنـدمـا نعلم أنّـه استشهـد ببعض مقـاطع من كتـاب أفلاطون « طيـمـوس » ، وهي استشهـاداتٌ لا تَتّفـق تمـامـاً مـع الأصـل اليـونـاني المعروف . وبصرف النظر عن هذا فـإنّ كتـابَ (الحَدائق) هو أوّل مُحـاولـة في الأندلس للتوفيق أو لانسجام اللاّهوت الإسلامي بالفِكر اليُونـاني ، وقـد دافَع ابنُ السِّيد عن هذا الانسجام عندمـا قـال : إنّ الوَحي والفلسفـة لا يَختلفـان : لا من حيث الموضوع ولا من حيثُ الغايَة ؛ فالاثنـان يَبحثـان عن الحَقيقـة ويُعَلّمانهـا ، وإن اختلف الأُسلـوب . ويكتفي ابنُ السِّيـد بإيراد هـذه المبـادئ دون التّعرُّض

لِتَطبيقها : لا يمكن أن يقومَ نزاعٌ بين الفلسفةِ والعقيدة المُوْحَاة إذ أن الفَلاسفة أنفسهم مثل أفلاطون وأرسطو دافَعا عن ضرورة الإيمان الدّيني بإلـهٍ مُدبّر وقدير وعادل ، أمّا الذين في الإسلام يقولون بهذا النزاع فإنّهم لا يستحقون اسم « فَلاسفة » : إمّا لأنّهم كَفرة أو لأنهم فاسدو الأخلاق ، وهذا هو الغَرضُ من كتاب الحدائق لابن السّيد : التوفيق بين الفَلسفة والدّين . وهي ثغرةٌ في إسبانية الإسلامية حاول ابنُ السّيد أن يَسُدّها . ولذا عَمدنا إلى طبع هذا الكتاب بأصله العربيّ وترجمته إلى الاسبانية . وقد اعتَمدْنا على المخطوط الوحيد الموجود في المكتبة الملكية ببرلين رقم ٢٣٠٣ من الورقة ١٦٧ حتى ١٩٥ والمخطوط واضحُ الخَطّ والكتابة شرقية والنص مُتواصِل دون مقاطع أو فصول .

المحور الأساسي الذي اتّخذه ابنُ السيد هو النّظرية الأفلاطونية الحديثة ، ونظرية أفْلُوطين في مبدأ الانبثاق والصدور[1] مع إضافات من الفيثاغوروثية الجديدة . ولكن كل هذا متستّر بلباقة تحت الصِّيَغ التقليدية للعقيدة الإسلامية الصّحيحة : الله إلّه القُرآن خالق الكون والمدبر ، يرمز إلى « الواحد » عند أفلوطين وفيثاغوروس . فهو وإن لم يكن عدداً هو مبدأ وسبب وماهيّة وغاية جميع الأرقام . كل الأشياء تتولّد عن الخالق غير المخلوق كما تتولّد الأعداد عن الواحد .

ولكي ينزّهَ اللهَ ـ تعالى ـ عن كل تركيبٍ وتَبديل يدافِعُ ابنُ السّيد عن أزليّة صفاتِ الله ، وهذه الصفات لا تتميّزُ عن ماهِيّته قبل وبعد خلق العالم والإنسان (الحدائق فصل ٥) .

وعِلْمُ الله لا يُستثنى عن هذه القاعدة ، فاللهُ بماهيّته ليس فقط يعرف ذاته بل يعرف أيضاً جميعَ الكائنات المتميّزة عنه ، الكليّات منها والجزئيات .

والانتقال من الوحدة إلى الكثرة أي أصل العالم لا يفسّره كتاب الحدائق

(١) في نظرية الفيض (المحقق) .

بالخلق من العدم كما هو وارد في اللاهوت الإسلامي رغم أن ابن السيد يدعو الله « البارئ » ، بل هذا الخلق يتم عن طريق الإفاضة (الفيض) كما هي معروفة عند الأفلاطونيّين المُحْدَثين . فبينما الفلاسفة العرب الشرقيون مثل الفارابي وابن سينا ؛ وابن باجة وابن طُفَيل في الأندلس ؛ يكتفون بإيراد التسلسل الأفلوطيني من حيث الانبثاق من الواحد[1] ، فإن ابنَ السّيد يتبنّى براهينَ ذات طابع حسابيّ فيثاغُوري . وهذا غير وارد عند الفلاسفة الذين جئنا على ذكرهم . (هنا يذكر آسين بلاثيوس نظرية ابن السّيد في الإفاضة كما جاءت في كتاب الحَدائق الفصل السادس والفصل الأول) .

ويؤكّد ابن السّيد أنّ هذه النظرية الانبثاقية المعقدة موجودةً عندَ سقراط وأفلاطون وأرسطو وغيرهم ، ولكن هؤلاء الفلاسفة لا يُثبتونها ، فابن السّيد يرى أنّ الأعداد هي رمزُ الكَون . فمن الواضح أن ابنَ السّيد لم يلجأ إلى الفلاسفة اليونانيّين لتوضيح نظريته هذه في الانبثاق والصّدور والإفاضة ، فمن المعروف أنّه في الأندلس قبل ظهور ابن السّيد بمئة عام ونيف ظهر أو بالأحرى انتشرت تآليف من هذا النوع استَقى منها ابنُ السّيد مذهَبه . وهي رسائل إخوان الصّفا . فهي تحتوي على تسلسل لمبادئ الأفلاطونية الحديثة في الكائن . وهي تشبه كثيراً ما جاء عند ابن السّيد (يمكن مراجعة رسائل إخوان الصّفا « طبعة بومباي ١٣٠٦ هـ ، المجلد الثالث من صفحة ٤ إلى ٨ و ١٦ و ٣٢ و ٣٣ و ٣٩ و ٤١ . بشأن إخوان الصّفا ووصول رسائلهم إلى الأندلس راجع مجلة الأندلس العدد ٤ عام ١٩٣٦ ـ ١٩٣٩ صفحة ٤٦٢) .

وبعد النّظرية اللاهوتيّة ، والنّظرية الكونية ، تأتي النظريّة النّفسية في كتاب الحدائق . وهذه النظرية في النفس وعلمها لا يقدّم لنا شيئاً جديداً لا من حيث جوهرُ النّظرية ولا من حيث عَرَضُها . وقد شاءَ ابنُ السّيد في آخر فصل

---

(١) الفيض عن الواحد .

من فصول كتابه أن يبرهن عن خُلود النفس البشرية لكي يكون على وفاق مع الدّيانة الإسلامية ، والبُرهان عن النّفس العَقلية أو العاقلة . وقد جاء بثمانية براهين يقول عنها إنه أخذها من الفلاسفة الذين ورثوا أفكار سُقراط وأفلاطون وأرسطو . فالنّفس تفهم أكثر وأفضل عندما تتجرد من المحسوس والحس ؛ وهما من خصائص الجسد وتتخلّص منهما في الْمَوت وعندما تُصبح جوهرية باقترانِها بالعَقل الفَعّال لا تعود بحاجةٍ إلى الحَواسّ الجَسدية لكي تتوصل إلى الصُّوَر القابلة للفهم .

إذا تركنا جانباً هذا الثّوب الفيثاغوري الجديد الذي لبسه ابنُ السيد ، رأينا أنه يقتربُ كثيراً جدّاً من الفلاسفة الأفلاطونيين المحدثين في الأندلس أمثال ابن باجة وابن طُفيل وابن رشد الذين ـ بعد ابن السّيد ـ استطاعوا أن يلفِتُوا أنظار الناسِ إليهم ، لكي يصبُّوا عَليهم الحرم من قبل اللاهوتيين الْمُسلمين بينما لم يتعرض أحد لابن السّيد كما لو أن فلسفته ظلّت مجهولة . وأنا أعتقد أن هذا الاهمال الذي وجده ابنُ السّيد عائد إلى أن فلسفته سطحيّة لم يعبأ بها المتعمّقون في دراسة الْمَذاهب الفلسفيّة .

أكثر من حرص ابن السيد على التّوفيق بين الفلسفة والإيمان ، فإن ابن رشد حرص أكثر بكثير من ابن السّيد على التّوفيق بين الفلسفة والدّين في كتاب **فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتّصال** ، وفي كتابه أيضاً **مناهج الأدلة** ومع ذلك فلم يَستطع التخلّص من غَضب اللاّهوتيين الْمُسلمين . ولكن ابنَ رُشد في شروحه لكتاب النفس لأرسطو قد ترك جانباً كلّ ما له طابعٌ لاهوتيّ ، واقتصرَ فقط على دَرْس الْمُشكلة بواقعيّتها : « وحدة النفس » عند جميعِ البَشر . فانتقل مذهبُه إلى الرُّشديين بعده وإلى تُوما الإكويني مُعارضه ، مع أن الاثنين : ابن رشد وابن السّيد قالا بوحدةِ العَقْلِ الفَعّال ؛ وهذا ما أدى إلى ذلك النّقاش الذي استمرّ طيلة القُرون الوُسطى المتأخّرة ، فهذا العقل الفَعّال هو الخالد وَحده في نظر الاثنين : أي ابن رشد وابن السّيد .

فَهَارِسُ الكِتَاب

١ ـ فهرس الآيات القرآنية .
٢ ـ فهرس الأحاديث والآثار .
٣ ـ فهرس الشّعر .
٤ ـ فهرس الأعلام .
٥ ـ فهرس البلدان والأماكن .
٦ ـ فهرس الكتب والمجلاّت والموسوعات .
٧ ـ فهرس لغويّ مصطلحيّ .
٨ ـ فهرس المحتويات .

فهرس الآيات

فهرس الأحاديث

فهرس الشعر

فهرس الأعلام

فهرس البلدان والأماكن

فهرس الكتب والمجلاّت

فِهرِسٌ لُغَوِيٌّ مُصْطَلَحِيٌّ



رابط بديل
lisanerab.com
أ. علاء الدين شوقي
www.lisanarb.com

فهرس المُحْتَوَيَات

الموضوع | **الصفحة**

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

تم طبع هذا الكتاب بتاريخ ١٩٨٨/٤/٣٠م
عدد النسخ (١٠٠٠)